

# حواضر العالم الإسلامية

## القاهرة

منارة الحضارة الإسلامية

دكتور  
عبد الرحمن زكي









# هواضر العالم الإسلامي في ألف وأربعمائة عام

القاهرة  
منارة الحضارة الإسلامية

أليف  
دكتور عبد الرحمن زكي

ملتزمة الطبع والنشر  
مكتبة الأنجلو المصرية



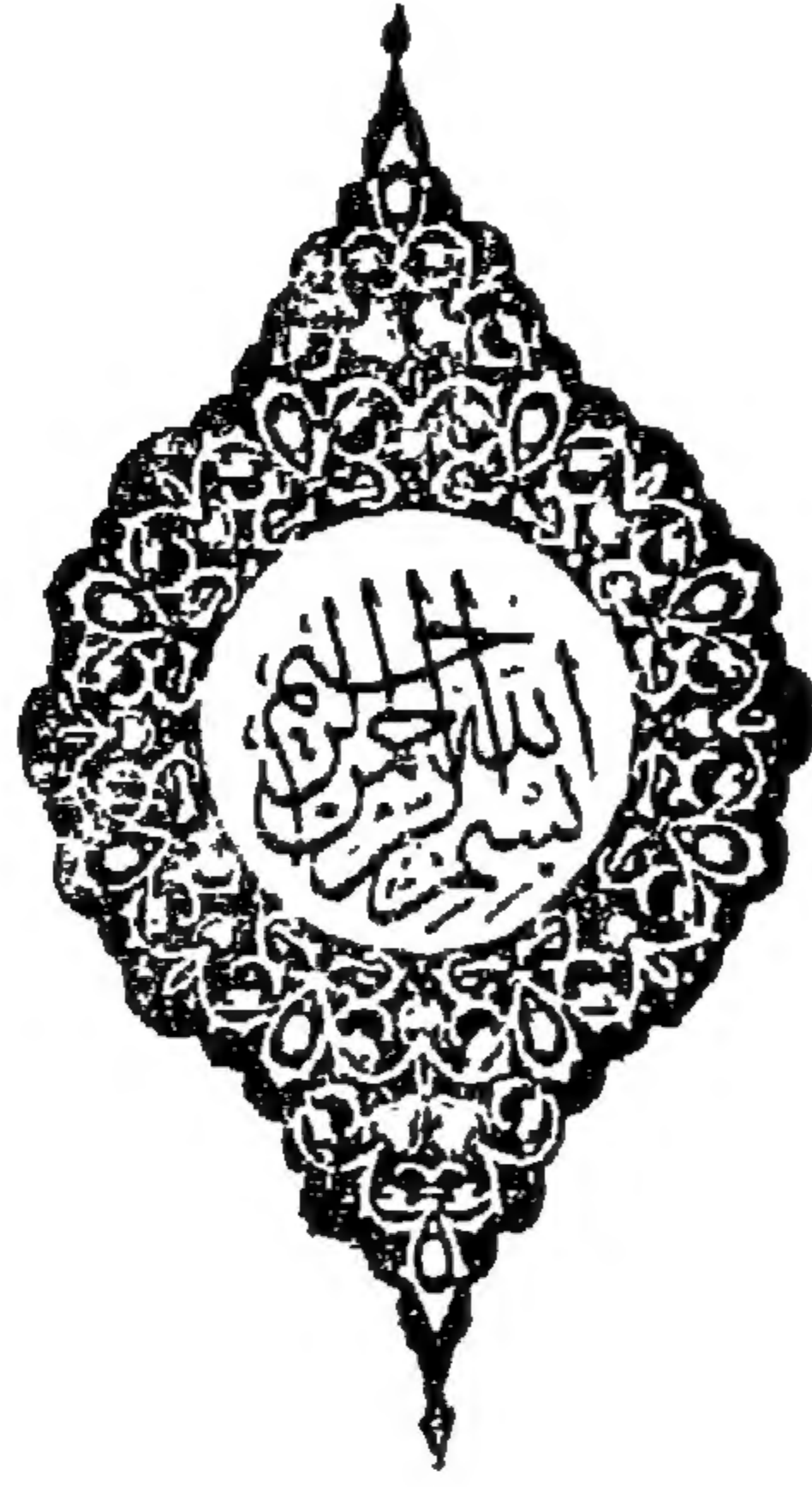
# لوقدرو

إلى

مؤرخى القاهرة وعجيبها  
وجميع العاملين لرفعها







### تمهيد —

بعد ما أسس عمرو بن العاص مدينة الفسطاط عام ٦٤١ هـ لتكون حاضرة مصر الإسلامية ، سرعان ما صارت مركزا يزدهر بالتجارة الراحمة ، ويستعجوز على عنايه الرحالة في الشرق والغرب . وبعد انهيار حكم الأمويين القصير الأجل في دمشق ، أقام العباسيون مدينة العسكر قاعدة لهم في مصر ، ثم جاء أحمد بن طولون ، نائبا عن والي العباسي فأسس عاصمة جديدة لحكمة ، وأطلق عليها اسم القطائع ، وظلت عاصمة مصر حتى أسس القائد جوهر مدينة القاهرة عام ٩٦٩ م لتكون مقلا للفاطميين ، ثم كانت إقامة الأزهر الذي أقيمت فيه الخطبة الأولى في السابع من رمضان عام ٣٠١ هـ أو الثلاثين من أكتوبر عام ٩٢١ ، وأعتبر . تأسيس الأزهر حادثا جليلا في تاريخ الحضارة الإسلامية . ومنذ ذلك الحين عاشت القاهرة أحداث ألف عام ونيف ، مرت بهادول وحضارات جعلت منها عاصمة العالم الإسلامي ومركزا للإشعاع الفكري .. كما أن موقع القاهرة الوسيط جعلها بؤرة تلتقي فيها خيوط السياسة والاقتصاد الإسلامي .



وقد أدت رعاية القاهرة للأما كن المقدسة ، كمكة والمدينة ، ونشاط علماء الأزهر وشتى المعاهد الدينية بها ، أن صارت إمتنع باهمية روحية وعلمية في العالم الإسلامى ، كما أن معظم طرق التجارة بين أوروبا وآسيا وشرق أفريقيا وقلبها كانت تمر بالقاهرة جعلت منها سوقا كبرى لتفيس السلع والمواد ، كالتوابل والمنسوجات والرقيق والأحجار الكريمة !

ولما استهان حكام مصر المماليك بقوة العثمانيين ، انتهت فترة ازدهار القاهرة عام ١٥١٧ ومنذ ذلك التاريخ انتقل مركز العالم الإسلامى المشرق من القاهرة إلى استانبول ..

ومع ذلك استطاعت مصر أن تستيقظ من نوم عميق ، وشهدت القاهرة نجاح عشرات من المشروعات العلمية والثقافية الباهرة ... ولا غرو ، فإن القاهرة كما وصفها المؤرخ الفيلسوف ابن خلدون - هى بلا شك جنة الدنيا وواسطة عقد المدائن الإسلامية ...

القاهرة فى أول المحرم ١٤٠٠ الموافق ديسمبر ١٩٧٩ ،

المؤلف





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## القسطاط

### قاعدة مصر الإسلامية الأولى

لما فتح العرب مصر في سنة ١٩ هـ (٦٣٩ م) كانت عاصمتها البلاد - الإسكندرية. ففكر القائد عمرو بن العاص في أن يتخذها قاعدة للإدارة والجيش. إلا أن ذلك الخليفة عمر بن الخطاب لم يوافق على ذلك ، بل أمره بإنشاء مدينة أخرى لا يفصله عن المسلمين فيها ماء في شتاء أو صيف . ولما عاد عمرو من فتح الإسكندرية قصد ذلك المكان الفسيح الذي يقع شمال حصن بابليون الروماني حيث عسكرت قوات العرب للمرة الأولى ، وأمر بتأسيس القسطنطينية ليجعلها قاعدة للبلاد ودار الإمارة واختط عمرو الجامع العتيق ، الذي عرف فيما بعد باسمه ، ثم اختطت القبائل العربية من حوله ، وكان عمرو قد ولي على الخطط أربعة من المسلمين للفصل بين القبائل في تنظيم خطة كل منها ، وهم معاوية بن خديج التجيبي وشريك بن ميمى الغطيفي وعمرو بن محزم الحولاني ، وجبريل بن ناشرة المعافري . ويصف المؤرخ ابن الحكم في كتابه « فتوح مصر » خطط القسطنطينية الأولى ويبين كثيرا من مواضع الدور والأمكنة التي بناها رؤساء الجند والزعماء . وقد استند المستشرقون إلى ما كتبه ، فرسموا تخطيطات في غاية الدقة لطبوغرافية القسطنطينية . وقد حدد المؤرخ المقرئ موقع القسطنطينية في خطته فقال :



« يُعلم أن موقع الفسطاط الذي يقال له اليوم مدينة مصر كان فضاء ومزارع فيما بين النيل والجبل الشرقى الذى يعرف بجبل المقطم . وليس فيه من البناء والعمارة سوى حصن يعرف بعينه اليوم بقصر الشمع وبالمعلقة ينزل به حامية الرومان .  
وتاريخ إنشاء الفسطاط مختلف فيه ، ومن المحتمل أن يكون بناء المدينة بدأ بعد صلح الإسكندرية ، وأنها زادت فيما بعد حتى صارت مدينة وحاضرة ذات شأن كبير ثم نمت نمواً سريعاً بعد عام واحد من إنشائها . وقد قال المؤرخ أبو المحاسن أن « عمرو بن العاص بنى الفسطاط عام ٢١ هـ بعد فتح الإسكندرية ، وعما زاد فى مكانة الفسطاط أنه كانت تصل بابلون والبحر الأحمر عند القلزم (السويس) قناة قديمة اسمها أمنمس تراجانوس (ترعة طرايانوس) ، وكانت تمر بمدينة بابيس وبحيرة التمساح ، لكنها أهملت فى وقت ما فأعاد حفرها عمرو ابن العاص ، وعادت إليها أهميتها القديمة فكانت ترسل بواسطتها الغلال إلى الجزيرة العربية .

ولما انتهى عمرو من بناء الحاضرة الجديدة ، أنشأ الجامع المتبق أقدم المساجد فى مصر وأول نواة للعمارة الإسلامية فيها (١) وقد اختار عمرو موضع بنائه فى المكان الذى كان فيه لواءه ، وقد عرف باسم مسجد أهل الراية ، وهم نخبة من الجند الأنصار والمهاجرين كانوا يؤلفون قوات الجيش وتلقب حولهم كل قبيلة برأيتها .

وفى الجهة الشمالية من الجامع بنى عمرو داراً له وأخرى غربها لآبائه عبد الله عرفت بالدار الصغرى تميزاً لها عن دار أبيه التى عرفت « بالدار الكبرى » .

---

(١) مجلة الهندسة - العددان ١١ و ١٢ بتاريخ نوفمبر وديسمبر سنة ١٩٣٣ .



كذلك بنى الزبير بن العوام دارا بجوار دار عبد الله (١) . ولما رسخت أقدام المسلمين في مصر اتسعت وزادت عمارة القسطنطين وفاقَت البصرة والكوفة في كثير من الوجوه (٢) وبلغ امتدادها على ضفة النيل ثلاثة أميال كما ذكر ابن حوقل (٣) .

وفي القسطنطين شيد الوالي عبد العزيز بن مروان أمير مصر من قبل أخيه الخليفة عبد الملك دارا للإمارة عرفت بدار عبد العزيز كانت مطلة على النيل باخ من سعتها وكثرة ساكنيها أنهم كانوا يصبون فيها أربعمائة راوية ماء كل يوم . وكانت تعلو هذه الدار قبة مذهبية شأن الأمويين في تفخيم بناياتهم حتى تبرز للباني البيزنطية التي خلفها الروم وراهم في الأقطار التي انتزعها العرب منهم .

ولعل دار الإمارة هذه كانت أول بناية إسلامية كبيرة بمصر وصل إلينا نبأ زخرفتها . وقد مرت على القسطنطين بعد ذلك مراحل كثيرة ، فكانت كما ذكر الجغرافي ابن حوقل « في زمن من الأزمان نحو ثلث بغداد ومقدارها نحو فرسخ على غاية العمارة والطيبة ذات رحاب في محالها ، وأسواق عظام ومتاجر فخام ، ولها ظاهر أنيق وبساتين نضرة ومنتزهات حضرة » .

وكان سكان القسطنطين يستمدون مياه الشرب بوساطة السقائين الذين كانوا يجلبونها من النهر بالقرب ، وكانت تحفظ في أزيار من الفخار أو في صهاريج صغيرة معدة في الصخر تحت المنازل ثم تسحب منها بالدلاء كما دعت الحاجة .

---

(١) مجلة الهندسة - العددان ١١ و ١٢ بتاريخ نوفمبر وديسمبر سنة ١٩٣٣ .

(٢) جورجى زيدان : تاريخ التمدن الاسلامى - الجزء الثانى ص ١٧٤ .

(٣) ابن حوقل رحالة بغدادى زار القسطنطين في النصف الاخير من القرن الرابع الهجرى

(أواخر القرن العاشر الميلادى) .



وقد حفرت آبار كثيرة في الفسطاط وكانت تمد بمائها الأحواض العليا في الدور .  
وقد نقرت هذه الآبار في الصخر وتجاوزته إلى الطبقة الرملية حيث توسع الماء  
الغائرة . ولكن هذه المياه كان يكثر فيها الملح كلما بعدت الآبار عن النيل ولذلك  
كانت مياهها غير صالحة للشرب ، وكانت تستعمل فقط في غسيل الملابس والأواني  
والنافورات ، وكانت هذه المياه ترفع إلى الأحواض العالية بالدور إما بواسطة  
السواقي أو بالآلات الرافعة اليدوية ثم تنجس من الأحواض إلى أنحاء الدور  
المختلفة في أنابيب من الفخار عثر على كثير من بقاياها في أعقاب تنقيبات  
الفسطاط .

وكان في بناء بعض الدور نافورة أو حوض مربع مبني بالطوب الأحمر وقد  
يحيط به الحضرة ، كما أنه كان في بعض المنازل أحواض لغسيل الأيدي .

### خليج أمير المؤمنين

وبما ساعد على ازدهار الفسطاط وانتعاش حركتها التجارية ، إعادة حفر  
القناة القديمة التي كانت توصل النيل بالبحر الأحمر ، وكانت تعرف باسم خليج  
تراجان على زمن الرومان . وكانت تخرج من النيل شمال بابليون وفي أثناء الفتح  
العربي كان مبدؤها بشارع الخليج المصري في حذاء مدخل شارع بني أزرق  
بأرض جنبنة لاف الواقعة في الجهة الشمالية الغربية من جامع السيدة زينب

ولما كان هذا الخليج قد طمس في كثير أجزائه عند فتح العرب لمصر ،  
فقد استأذن عمرو الخليفة عمر في إعادة شقه ، فسمح له وسمى بالخليج أمير المؤمنين  
وجرت فيه السفن ووصلت إلى الحجاز محملة بالغلال والعروض وأنواع الطعام ،  
وظل يؤدي أعمالا جليلة حتى أهمل في زمن عمر بن عبد العزيز سنة ٧٢٣ م  
وفي أيام من جاءوا بعده من الولاة ، وبعد إنشاء القاهرة عرف باسم خليج



القاهرة فالخليج الحاكى ثم سمي خليج اللؤلؤة نسبة إلى قصر اللؤلؤة الذي كان قائماً في العصر الفاطمي في موقع مدرسة الفرير بالخرنقش . وسمى أيضا خليج مصر أو الخليج المصري ، وفي سنة ١٨١٧/١٨١٩ ردم الجزء الواقع من الخليج داخل مدينة القاهرة وحل محله شارع الخليج المصري .

#### ميناء الفسطاط

أصبحت ميناء الفسطاط أعظم موانئ مصر منها تصدر وترد المتاجر من أقصى البلاد إلى شمالها ، وقد دهش الرحالة ابن سعيد المغربي من نشاط الميناء فقال « أما ما يرد على الفسطاط من متاجر البحر الإسكندراني ( الأبيض ) والبحر الحجازي ( الأحمر ) فإنها فوق ما يوصف ، وبها جمع ذلك بالقاهرة . وليس يخاف أيضاً أن أول دار للصناعة أنشئت بمصر الإسلامية كانت تلك التي أنشئت بالفسطاط وكان مقرها جزيرة الروضة على ساحلها الجنوبي الشرقي ، أنشئت عام ٦٧٣ لبناء السفن حتى أيام ابن طولون ثم أحرقتها عام ٩٣٤ سفن أسطول محمد بن طنج الاخشيدى ، ثم نقلها من الجزيرة إلى الفسطاط مكان بستان الطواشي ويقال إن جزءاً منها هو الذي نقل إلى الفسطاط ، يؤيد ذلك ما ذكره بعض المؤرخين بقولهم إنه كان هناك داران للصناعة في عهد الفاطميين ، أحدهما بالروضة ، والآخرى بالفسطاط ، ولما طرح البحر في المسافة بين الفسطاط ودير النحاس ، وتكونت أرض جديدة نقلت دار الصناعة إلى ساحل مصر تجاه دار النحاس ( دير النحاس ) حيث استقرت فترة طويلة ، ثم نقلت إلى ساحل بولاق في أيام محمد علي في القرن التاسع عشر .

#### • القرافة

وكانت القرافة من معالم الفسطاط التي أفاض المقرئ وغيره من المؤرخين



السلام عنها. فقد روى أن تكون للحاضرة الإسلامية مقبرة، ولذلك جمعت بأرض المقوقس عند سفح المقطم شرقى الفسطاط، ودفن فيها عمرو بن العاص وأربعة من الصحابة، وخصص في جنوب المقبرة مكان لدفن موتى الأقباط، وظلت مستعملة حتى أيام الفاطميين ثم أخذ خلفاؤهم يدفنون موتاهم في ربة الزعفران في القصر الكبير (خان الخليلي)، أما الأهالي فقد ظلوا يدفنون موتاهم في مقبرة الفسطاط.

وبعد اضمحلال الفسطاط طغت المقابر على مساكن خطة المعافر التي خلت تدريجيا من ساكنيها وعلى مساكن خطة بني قراقة، ومن هنا أطلق اسم القراقة على المدافن بتلك الجهة أولا ثم عم سائر المدافن وعرفت باسم القراقة الكبرى. وفي أيام الأيوبيين أنشئت حول قبة الإمام الشافعي جملة قبور أطلق عليها القراقة الصغرى وتضاهل الدفن بالقراقة الكبرى إلى أن عاد إليها في أيام السلطان الناصر محمد بن قلاوون، وأخذ الناس يدفنون موتاهم بعد عام ١٣٠٠ تحت سفح المقطم فيما يلي قلعة الجبل. ثم انتشرت القراقات في شرقى القاهرة وفي شمالها. بين باب الوزير وباب النصر إلى باب شرقى باب الحسينية ومنها إلى العباسية الشرقية وكان للقراقة الكبرى خندق حفر حولها وحول الفسطاط وكان ذلك في عام ٦٨٤/٨٦٥ م حينما خشي الوالي هجوم مروان بن محمد على مصر من تلك الجهة. وفي ٨١٥ م طمس هذا الخندق، ثم أعيد حفره أثناء فترة الشقاق بين الأميين والمأمون.

#### • خاتمة الفسطاط :

حدث للفسطاط في أثناء عمرائها خاوتان عظيمتان هما قيام ضاحيه العسكر ثم مدينة القطائع وجاء الدور النهائي للفسطاط وجاء عقب ذلك في حادئين، كان



الأول في أيام الشدة العظمى في أثناء خلافة المنتصر بالله الفاطمى . وكان الحادث الثانى حريق مصر في وزارة شاور أثناء خلافة العاضد بالله ، أما المناسبة الأولى فكانت عندما تمرد الجند وساد الاضطراب وحلت البلاد المسغبة والمجاعة ، ولجأ المنتصر بالله إلى حاكم الشام بدر الجمالى ، فكتب إليه سرا يستقدمه إلى مصر لتدبير الأحوال ، فلما قدم بدر اهتم بتحسين القاهرة وعمل على تخريب الفسطاط فقد أباح للجند وللقادرين على البناء أن يعمرُوا ما شاءوا في القاهرة وغيرها ، فعمرت وسكنها الناس ولم يبنوا شيئاً في الفسطاط أو العسكر أو القطائع وتركوا موقعها موحشاً مقفراً .

أما المناسبة الثانية فهي حريق الفسطاط المائل الذى أمر بأخراجه شاور سنة ( ٥٦٥ هـ ) لما غزا ملك بيت المقدس عمورى ( أميريك ) الديار المصرية ، عندما عجز عن الدفاع عنها وأراد أن يتجنب وقوعها في أيدي الصليبيين .

أمر شاور بإخلاء الفسطاط وحرقتها ويقول المقرئى : « بعث شاور إلى مصر بعشرين ألف قارورة نعط وعشرة آلاف مشعل نار فرقت فيها فارتفع لهب النار ودخان الحريق إلى السماء فصار منظرأ مهولاً . واستمرت النار تأتى على مساكن مصر في اليوم التاسع والعشرين من صفر لتنام أربعة وخمسين يوماً . ومن ثم تحولت الفسطاط إلى الأطلال المعروفة الآن « بسكبان مصر » . فلما حدث الحريق رحل « عمورى » من بركة الحبش (١) ونزل بظاهر القاهرة مما يلي باب البرقية وقاتل أهلها قتالاً عنيفاً .

---

(١) كانت هذه البركة واقعة جنوب مدينة مصر بين النيل والمطعم وكانت تطلق على خوض من الاراضى الزراعية التى يسمها ماء النيل وقت فيضائه سنوياً وكانت تشغل الارامى مساحة ٣٠٠٠ فدان ( تعليق محمد رمزى - النجوم الزاهرة ج٦ ص ٣٨١ و ٣٨٢ ) .



ولما تولى حكم مصر يوسف صلاح الدين الأيوبي ، أراد أن يجمع بين القاهرة وما بقي من الفسطاط بسور واحد فانتقلت الحركة التجارية إلى ساحل النيل حيث كانت ترسو السفن وتسكن المخازن والمصانع ، وقد قال الرحالة ابن سعيد المغربي : وقد نفخ روح الاعتناء والنمو في مدينة الفسطاط الآن لجاورتها للجزيرة الصحاحية وكثير من الجند قد انتقل إليها للقرب من الخدمة .

وقد كتب لنا المؤرخون المصريون ابن دقاق والمقريزي والقلقشندي بالإضافة إلى ما كتبه ابن سعيد عن مدينة الفسطاط معلومات اضافية تقول أن تدهور المدينة كان يزدها قرنا بعد قرن . وفي العبارة الآتية لحص الفلقشندي المحن التي نزلت بالفسطاط فقال :

« لم يزل الفسطاط زاهي البنيان نامى السكان إلى أن كانت دولة الفاطميين بالديار المصرية وعمرت القاهرة فتتمقر حالة وتناقص . وأخذ سكانه في الانتقال إلى القاهرة وما حولها فخلا من أكثر سكانه . وتناقص الخراب في بنيانه إلى أن بلغ الفرنج أطراف الديار المصرية في أيام العاضد آخر الخلفاء الفاطميين » .

وعلى هذه الحالة تحولت الميناء النهرية والعاصمة الإسلامية الأولى إلى أكوام من التراب وتلال من الأنقاض حتى أتاح الله للفسطاط العالم الأثرى الجليل على بك بهجت فكشف فيما بين عامي ١٩١٢ و ١٩١٣ أجزاء كبيرة من تلك المدينة البائدة التي لم يتخلف من بقاياها إلا جامع عمرو وأبراج قصر الشمع .

ومن يزور الفسطاط الآن ، يرى أنها تنقسم قسمين ، قسم شرقي مجاور للبحيل ، وقسم غربي واقع على النيل . فأما القسم الشرقي وهو الفسطاط الأصلية التي وقع فيها الحريق في عام ٥٦٤ هـ / ١١٦٨ فكله خراب وأرض مشنولة بالتلال



والسكبان ، ويتخلل بعض أجزائها الحفائر التي هممت للكشف عن أساس بعض دورها القديمة ، وليس في هذا القسم من المباني سوى قصر الشمع وجامع عمرو ومن الأمكنة المسكونة خط كوم ابن غراب ( كوم غراب الآن ) . وأما القسم الغربي من الفسطاط فهو الذي يعرف اليوم بمصر القديمة ، ويسمى العامة « مصر عتيقة » ويحده من الشرق القسم الشرقي السابق التحدث عنه ، ومن الشمال المسكن المقام عليه الآن قناطر مجرى الماء المعروفة بمحائط العيون والتي تنتهى من الغرب بسواقي مجرى الماء التي كانت تنقل مياه النيل إلى القلعة وبساتينها ، ومن الغرب مجرى سيالة جزيرة الروضة التي تمتد بين شرق النيل وجاردن سيتي .

وفي حي مصر القديمة ٤١٢ شارطا وزقاقا وحارة ، وأهم معالمه جزيرة الروضة وكان بها قطعة كبيرة شيدها الصالح نجم الدين الأيوبي ، كما كان بها عدة أبراج وقصور ، وفي الحى أيضاً مقياس النيل . وقد جدد بناؤه مرات كثيرة وهو اليوم من أهم الآثار العربية . ويقدر سكان هذا الحى بقرابة ثلث مليون نسمة نصفهم تقريباً من الإناث .

## الفسطاط كما شاهدها

### الرحالة العرب

وحيدا يصف ابن حوقل الجغرافى العربى ( ت ٩٧٧ م . ) في كتابه « صورة الأرض » - الفسطاط فإنه يأخذ في اعتباره الناحية الجغرافية ، فيذكر . . والفسطاط مدينة حسنة ينقسم النيل لديها قسمين ، فيمدو من الفسطاط إلى عدوة وائل ، فيها أبنية حسنة ومساكن جليلة تعرف بالجزيرة ( الروضة ) ويعبر إليها بجسر فيه نحو ثلاثين سفينة ويعبر من هذه الجزيرة على جسر آخر إلى القسم



الثاني كالجسر الأول إلى أبنية جليلة ومساكن على الشط الثاني تعرف بالجيزة .  
والفسطاط مدينة كبيرة نحو ثلث بغداد ، على غاية العماره والحصب والطيبه واللذة ،  
ذات رحاب في محالها ، وأسواق ومتاجر غام ومالك جسم ، إلى ظاهر أنيق  
وهواء رقيق وبساتين نضرة ومنتزهات على مز الأيام خضرة .

وبالفسطاط قبائل وخطط للعرب تنسب إليها محالهم كالسكوفة والبصرة ،  
والدار تسكون بها طبقات سبع وست وخمس طبقات وربعا سكن في الدار المائتان  
من الناس . . . . . ومعظم بنيانهم من الأجر .

وقد استحدثت المغاربة بظاهر مصر مدينة سميتها القاهرة ، استحدثتها القائد  
جوهر قائد جيش المغرت عند دخوله إلى مصر بجيشه وحاشية . وقد ضمت من  
المحال والأسواق وحوت من أسباب الارتفاق بالحمامات والفنادق إلى قصور مشيدة  
وقد أحرق بها سور منيع رفيع يزيد على ثلاثة أضعاف ما بنى بها . وبها ديوان  
مصر ومسجد جامع حسن نظيف غزير القوام والمؤذنين .

فاذا كنا في سنة ٣٧٥ هـ ( ٩٨٥ م ) وفد المقدسي الجغرافي على الفسطاط

صنف كتابه « أحسن التقاسيم » (١) وفيه يقول :

« الفسطاط هو مصر في كل قول . اشتهر اسمه وجل قدره فهو مصر مصر ،  
وناسخ بغداد بغداد ومفخر الإسلام ومتجر الأنام وأجل من مدينة السلام ،  
خزاة المغرب ومطرح المشرق وعامر الموسم ، ليس في الأمصار أهل منه ،  
كثير الأجله والمشايخ ، عجيب المناجر والخصائص حسن الأسواق والمنايش ،  
إلى حماماته المنتهى ، ولقياسه لياقة وبهاء ، ليس في الإسلام أكبر مجالس من  
جامعه ولا أحسن تجملا من أهله ، ولا أكثر من مراكب ساحله ، أهل عن نيسابور  
وأجل من البصرة وأكبر من دمشق ، به أطعمة لطيفة وأدامات نظيفة وحلاوات  
رخيصة كثير الموز والرطب ، غزير البقول والخطب ، خفيف الماء ، صحيح الهواء  
معدن العلماء . طيب الشتاء ، أهل سلامة وعافية ، ومعروف كثير وصدقة ، نعمتهم  
بالقرآن حسنة ، ورغبتهم في الخير بيئة وحسن عبادتهم ، في الآفاق معروفة قد

(١) أحسن التقاسيم : ص ١٩٧ - ١٩٨ طبعة بريل يهولدا عام ١٩٠٩ .

استراحوا من أذى الأمطار وآمنوا من غاغة الأشرار ، ينتقدون الخطيب والإمام ولا يقدمون إلا طيباً . وإن بذلوا الأموال ، قاضيهـم أبداً خطير ، والمحاسب كالأمير ، ولا ينفكوه أبداً من نظر السلطان والوزير ، ولولا عيوب له كثير ، ما كان له في العالم بن نظير . . . ودورهم أربع طبقات وخمس كالمنابر يدخل إليهم الضياء من ارسط وسمعت أنه يسكن الدار الواحدة نحو مائتي نفس . وسمعتهم يذكرون أنه يصلي قدام الإمام يوم الجمعة نحو عشرة آلاف رجل ، فلم أصدق حتى خرجت مع المتسـرعة إلى سوق الطير فرأيت الأمر قريباً مما قالوا وأبطيت يوماً عن السعي إلى الجمعة فألفيت الصوف في الأسواق على أكثر من ألف ذراع من الجامع ( عمرو بن العاص ) ورأيت القياسير والمساجد والدكاكين حوله مملوءة من كل جانب من المصلين ، وهذا الجامع يسمى السفلائي ، من عمل عمرو بن العاص وفيه منبره حسن البناء ، في حيطانه شيء من الفسيفى على أعمدة رخام أكبر من جامع دمشق والازدحام فيه أكثر من الجوامع الست ، وقد التقت عليه الأسواق إلا أن بينها وبينه من نحو القبلة دار الشط وخزان وميضأة وهو أهم موضع بمصر . وزقاق الفتاديل عن يساره . والجامع فوقاني من بناء ابن طولون أكبر وأبهى من السفلائي ، على أساطين واسعة مصهرجة وسقوفه عالية في وسطه قبة على عمل قبة زمزم فيها سقاية ، مشرف على فم الخليج وغيره ، وله زيادات وخلفه دار حسنة ومنازته من حجر ، درجها من خارج .

## الفسطاط والنهضة العلمية

تبوأ الفسطاط مكان الصدارة بين المدائن الإسلامية منذ استقر فيها العرب في أعقاب فتح مصر ( ٦٤١ - ٦٤٠ م ) . ولا يخفى أن مصر كانت تسودها قبل هذا التاريخ الثقافة اليونانية والرومانية ومركزها الاسكندرية حيث نهضت جامعتها الكبرى بفضل علمائها بنشر شتى العلوم والفلسفات ، بيد أنها أخذت تدريجياً بعد



الفتح العربى تفقد مكانها السياسية والثقافية وتجذبها إليها الفسطاط الجديدة .  
وكان من أثر اعتناق أهالى مصر - الدين الإسلامى ان انتشرت اللغة العربية  
وأقبل المصريون على تعلمها ، وضعفت اللغتان القبطية واليونانية . وكان بين  
المحاربين - بعض الصحابة العلماء فكانوا هم الذين قادوا حركة تعليم القرآن  
الكريم واللغة العربية ، وعلوم الدين الحنيف .

كان مركز النهضة التعليمية الجديدة - جامع عمرو بن العاص بالفسطاط  
وكانت أهم ما يدرس فيه علوم الدين من تفسير للقرآن الكريم ، وتفسير الأحاديث  
النبوية وأسس الفقه والشريعة . وكان من أشهر الصحابة الذين قدموا إلى مصر  
ونهمضوا بالتعليم فيها ، عبد الله بن عمرو بن العاص - وهو يعتبر بحق مؤسس  
المدرسة المصرية . وكان أول من أقرأ القرآن بمصر - أبو أمية بن خنجر المغافرى  
الصحابى . ومن بعدها انتقل التعليم إلى تلاميذهم المصريين . ومن رجال الطليعة  
عثمان بن القفطى المصرى المعروف بورش ( ت ١٩٧هـ - ٨١٣م ) ثم الليث بن سعد  
( ت ١٧٥هـ - ٧٩١م ) وعبد الله بن وهب ( ت ١٩٧هـ - ٨١٣م ) . وظل التعليم  
فى مصر تعليمًا دينيًا خالصًا مركزه الفسطاط والاسكندرية فى أول الأمر حيث  
نزلت الصحابة والتابعون . ولم ينشر التعليم الإسلامى فى قرى مصر إلا بعد مجئ  
الحليفة المأمون بعد ثورة القبط سنة ١١٦هـ ( ٨٣١م ) .

ثم وفد الإمام الشافعى على مصر وأخذ عنه المصريون مذهبهم الجديد فى  
المناظرات الفقهية وقويت مدرسته بها ، وقد أقام بالفسطاط خمس سنين وتسعة  
أشهر يعلم الناس ويؤلف كتبه وينشر مذهبهم بين الناس ، وفى خاتمة هذه المدة  
اشتد عليه المرض فتوفى فى ليلة الجمعة الأخيرة من رجب سنة ٢٠٤هـ -  
٨١٩م .

وعلى مر الأيام عنى الطلبة المصريون بالفلسفة والطب ، فقد بقى أثر مدرسة

الاسكندرية وثقافتها طوال العهد الأموي واستمر إلى العصر العباسي . ومن العلماء المصريين الذين تثقفوا بالعلوم العقلية ، ذو النون المصري (الأخميمي) ، فقد اشتغل بصناعة الكيمياء وغيرها من علوم الفلسفة وكانت وفاته سنة ٢٤٥هـ (٨٥٩م) .

وبفضل الدولة الإخشيدية (٨٣٢٣ - ٨٣٥٨) أصبحت مصر ذات مركز رفيع وممتاز للعلم والتعليم . فقد كانت حلقات العلم بجامع القسطنطين وبجامع ابن طولون حيث يلقي الفقهاء والأدباء دروسهم ومصنفاتهم على تلاميذهم وينسخ من المصريين كثير من زعماء الفكر والأدب منهم أبو عمر السكندی (٨٣٥٠ - ٩٦٩ م) وأبو جعفر الححاس المصري (٨٣٣٨ - ٩٤١م) وغيرها ، في حين بقي جامع عمرو ومحمد مصر الأسى في ذلك العهد يترأس جميع المساجد الأخرى إلى تعاقب بناؤها في أنحاء مصر .

ولما جاء الفاطميون إلى مصر (٩٦٩م) واصل جامع عمرو رسالته ، توجه من حلقاته حركة التعليم والتفكير في مصر الإسلامية . وقد أقيمت صلاة الجمعة في تاج الجوامع - هذا ، وخطب فيه الخليفة لدين المعز الله في التاسع عشر من شعبان سنة ٣٥٨هـ (٩٦٨م) بعد استيلاء القائد جوهر على القسطنطين بأيام قلائل . وفي رمضان سنة ٣٥٩هـ (٩٧٠م) أمر جوهر القائد بأن تنقش جدران هذا المسجد باللون الأخضر شعار العلويين : وكان نصيب جامع عمرو كمسجد للعبادة ومهد للدراسة من عناية للفاطميين عظيماً جداً ، حتى بعد قيام الأزهر والمعاهد المستجدة . والجدير بالذكر أن حلقات العلم بجامع عمرو لم تخل من دراسة علوم الشيعة ، فقد جالس به كثير من الفقهاء ودرسوا فيه الرسالة الويزيرية التي ألفها الوزير يعقوب بن كلس في الفقه الشيعي (١) .

---

(١) تاريخ يحيى بن سعيد الانطاكي ج ٢ ص ١٧٢ ، المخطط المقرئية ج ٣ ص ٩ ، ج ٤ ص ١٥٧ - يراجع أيضاً ص ١٠٥ - التعليم في مصر في العصر الفاطمي الأول للاستاذ خطاب عطية علي .



ومجمل القول فإنه تقابلنا في العصر الطولوني بشائر حركة علمية طيبة ، فالتقى  
بأحمد بن يوسف بن ابراهيم المعروف بابن الداية المؤرخ الذي ألف كتباً في سيرة  
ابن طولون وسيرة أبي الجيش ، وله كتاب المكافأة الذي يشمل فيه طابع عصر  
الترجمة والنقل من المعارف القديمة ، وكتاب « أخبار الأطباء » . ويبدو أن صناعة  
الطب في بداية العصر الإسلامي المصري قد أفادت من تقاليد مدرسة الإسكندرية  
القديمة . وقد توفي ابن الداية حوالي سنة ٩٠٥ م . وملتقى أيضاً بالطبيب والمؤرخ  
سعيد بن البطريق ( ٩٣٩ م ) شقيق عيسى . وكان سعيد من أهالي القسطنطينية  
وأشهر أطبائها نظرياً وعملياً ، والجدير بالذكر أنه نصب بطريركاً على  
الإسكندرية .

## العسكر

### العاصمة الإسلامية الثانية

حينما كانت القسطنطينية عاصمة مصر الإسلامية ( ١٣٣ هـ - ٧٥٠ م ) فر مروان ابن محمد آخر خلفاء الأمويين إلى مصر لينجوا بنفسه ضد منازعه ابن العباس الهاشمي أول الخلفاء العباسيين ، فلما وصل إلى مصر أشعل رجاله النار في القسطنطينية وفي القنطرة التي كانت تصلها بجزيرة الروضة . واتجه إلى شاطئ النيل الغربي ، لكن ذهبت تدابير عبثا لأن القائد العباسي ورجال خراسان أدركوا ما عزم عليه ولحقوا به بسرعة في قرية بوسير وقتلوه . ثم حملوا رأسه و طافوا بالمدن ليتأكد الناس أن الخلافة قد انتقلت من البيت الأموي إلى البيت العباسي (١) .

وكان رجال العباسيين لم يرضوا أن يسكنوا بيوت القسطنطينية ، إما لرغبة في التجديد واتخاذ عاصمة جديدة كما جرت العادات في الشرق منذ قديم الزمان ، وأما لأن مروان بن محمد كان قبل مقتله قد أضرم النار في القسطنطينية — دمرت

---

(١) في الأصل المعسكر كما جاء في فروع مصر لابن عبد الحكم . وكان يمتد المعسكر على شاطئ النيل وهو وقتئذ أقرب إلى الشرق مما هو موضعه الحالي لأنه كان يجري بجانب المرتفع المشيد عليه جامع عمرو بن العاص ثم ابتعد عنه على توالي الزمن نحو خمسمائة متر . وكان المعسكر يحدّه جنوبا كوم الجراح حيث يمتد الآن مجرى قنل المياه وشمالا شارع مراسينا إلى ميدان السيدة زينب حيث قناطر السباع أمام المشهد الزينبي وغربا بين شارع السد والديورة وشرقا خط تصوري يمتد من قرب مسجد الجاولي بشارع مراسينا إلى السيدة نفيسة المعروف قديما بباب المقدم . وفي أيام المقرئ لم يبق للعسكر ذكر بل كان اسم المطامع هو المعروف . ( محمد رمزي ) .



جزءا كبيرا منها فأنشأوا حاضرة أخرى جديدة لدولتهم الناشئة في مصر في مكان عرف في صدر الإسلام باسم الحمراء القصوى ، وكان يمتد إلى جبل يشكر الذي بنى ابن طولون على قمته فيما بعد مسجد الجامع . وفي ذلك المكان أقام العباسيون دورهم واتخذوا مساكنهم ، وبنى صالح بن علي دار الإدارة وسكن الجند ، ثم شيد الفضل بن صالح مسجد العسكر ، وبمرور الأيام اتصلت العسكر بالفسطاط وأصبحتا مدينة كبيرة خُطت فيها الشوارع وشيدت عليها المساجد والدور والبساتين والأسواق . وفي القطائع بنى الأمير أحمد بن طولون فيما بين بیمارستانه بالقرب من بركة قارون التي ردمت وشيد عليها كافور الاخشيدى دارا صرف عليها مائة ألف دينار .

ازدهرت العسكر لكثرة ما شيد فيه من الأحياء العامرة . وقد سكنها خمسة والستون واليا الذين حكموا مصر : تبين عن الخلفاء العباسيين مدة ١١٨ سنة وصار حيا زاهرا لم يقلل من شأن الفسطاط كمركز هام للتجارة أو كقاعدة ثانية لمصر ، ولما توالى الأعوام عظمت العمارة في العسكر إلى أن قدم الوالى أحمد بن طولون وشيد قصره بالقطائع وترك العسكر ، وليس هناك اليوم أثر لهذه الضاحية ، كما أن المؤرخين لم يحتفظوا بتاريخ وافي لسكانها ، فقد ساد عصرهم نوع من سوء الإدارة وفساد الحكم ، ولقوا صعبا كثيرة عرقات أعمالهم أشد مما عاناه ولاة بنى أمية في مصر ، وكان لزاما عليهم أن يخمدوا الفتن التي أثارها الخارجون عن الإسلام أصحاب بعض المذاهب ، أو يقاوموا الثورات التي شبت بين القبائل العربية أو الأقباط . وقد ظل أمراء مصر يقيمون في دار الإدارة في العسكر حتى بنى جوهر قائد جيوش المعز مدينة القاهرة وتخربت العسكر في عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمى على أثر أيام الشدة العظمى .

# القطائع

## العاصمة الإسلامية الثالثة

فإذا انتقلنا إلى العصر الذي زاد فيه نفوذ الجند الأتراك في خدمة الخليفة العباسي رأينا مقاليد الأمور أصبحت في أيديهم ، فاستولوا على أكبر مناصب الدولة وصار منهم أكثر الولاة والعمال ، وقدم إلى وادي النيل أول والي تركي الأصل سنة ٨٤٦ ميلادية . ثم بدأ الخلفاء في إقطاع مصر أولياء يهودهم أو كبار القواد من الترك ، وكان هؤلاء القواد لا يميلون إلى الابتعاد عن العاصمة العباسية خشية الدسائس ، فكانوا يرسلون إلى مصر عمالا من قباهم . وكانت مصر من نصيب أحد كبار الأتراك واسمه ( باكباك ) ولاء عليها الخليفة المعتز ابن المتوكل ، ونظرا لما كان للشباب أحمد بن طولون من المكانة الطيبة انتخبه باكباك قائدا للحامية العسكرية في الفسطاط ، وكان طموحا إلى المجد ، فلم يرض على ولايته في مصر جامان حتى استقل بملكها .

رأى ابن طولون أن العسكر أصبحت لا تتسع لحاشيته وتضييق بمطامعه ، فأخذ يبحث عن موقع آخر قريب من الفسطاط . فصعد إلى المقطم ونظر إلى ما حوله فرأى بين العسكر والمقطم بقعة فضاء إلا من بعض مدافن المسيحيين واليهود مساحتها نحو ميل مربع ، فأمر بهدمها ليقم عليها عاصمته واختط في موضعها مدينته الجديدة القطائع ، ووضعت الخطط الأولى للقاعدة الجديدة في شعبان عام سنة ٢٥٦ هـ / ٨٧٠ م .

ويمكن القول بأن حدود العاصمة الجديدة امتدت بين حد الفسطاط الشمالي



حيث جبل يشكرو بين سفح المقطم في مكان عرف وقتئذ بقبة الهواء وفيما بين  
الرميلة تحت القلعة إلى مشهد الرأس الذي عرف فيما بعد بمشهد زين العابدين ،  
واختط الأمير ابن طولون قصره ، وأمر أصحابه ورجاله واتباعه بأن يشيدوا  
بيوتهم فاتصل البناء بعمارة الفسطاط . واقطعت كل جماعة من الأتباع والجنود  
منطقة خاصة سميت كل قطعة بمن سكنها ، ثم عمرت القطاعات عمارة حسنة وتفرقت  
فيها السكك والأزقة ، وبُنيت فيها المساجد والطواحين والحمامات والأفران . . .

### جامع ابن طولون جوهرة معمارية

ولما كثر أتباع ابن طولون حتى ضاق بهم جامع العسكر ، أتمسوا منه أن يشيد  
لهم جامعاً آخر أوسع من الجامع الأول ، فأجابهم إلى التماسهم ، واحتفل بوضع  
أساسة على جبل يشكر عام ( ٢٦٣ هـ / ٨٧٦ م ) وأنتهى تشييده بعد عامين . وقد  
بالغ في زخرفته الداخلية وعلق في سقفه أئقناديل بسلاسل نحاسية طويلة ونقش  
على إفريزه آيات من القرآن لا يزال بعضها ظاهراً إلى اليوم . وهذا الجامع هو  
الأثر الوحيد الذي خلد اسم ابن طولون على مر العصور حتى اليوم ، وهو في  
طليلة أجمل الآثار في مصر ويعتبر علماً ظاهراً في تاريخ العمارة الإسلامية .

وتولى الحكم « خمارويه » بعد وفاة أبيه فنقل قاعدة حكمه إلى القطاعات ،  
وأقبل على عمارة قصر أبيه وزاد فيها كثيراً وأخذ الميدان المجاور للميدان الكبير  
وحوله إلى بستان فنان وزرع فيه أصناف الرياحين والشجر وكسا جذوع النخل  
بالنحاس المذهب والمفضض ، وأنشأ في وسط قصره بركة ملاءها بالزئبق ، وجعل  
في أركان البركة سلكاً من فضة وجعل في السلك زناير من حرير محكمة الصنعة  
في حلق من فضة وعمل فرشاً من آدم يمشى بالرياح حتى ينتفخ فيحكم حينئذ شدة  
ويلقى على تلك البركة الزئبق ويشد بالزناير التي في حلق الفضة المقدم ذكرها .  
وينزل خمارويه فينام على هذا الفرش . ولما توفي خمارويه هوى نجم الأسرة

الطولونية وأخذت في الانحلال ، وافيئ محمد بن سليمان القائد العباسي للاستيلاء على البلاد فبلغ الحدود المصرية وهزم الأسطول المصري ثم أُنقَضَ على القطائع ( ٢٩٢ هـ / ٩٠٤ م ) وألقي النار فيها فالتهمت الدور والمساجد والحمامات ونهب أصحابه الفسطاط ودمرت الضاحية الجميلة . ثم عادت الفسطاط مرة ثانية مقرا للحكومة ، ولما أصيبت مصر بالجماعة في أيام المستنصر ( ٤٥٧ هـ / ٤٦٤ هـ / ١٠٦٥ م ) قضت على البقية الباقية من مخلفاتها الحربية وأصبحت القطائع والعسكر أثرًا بعد عين ولم يبق منها غير الجامع الكبير الذي مازال يحتفظ بتخطيطه الأصلي .

كانت القطائع أول مدينة أنشئت في وادي النيل في العصر الإسلامي ، روعي في أنشائها وتخطيطها القواعد الفنية التي أتت عند تأسيس مدينة سامرا في العراق ولما كان الخليفة المعتصم بالله قد أمر قائده أشناس ببناء سامرا عام ٨٣٦ م بعد أن صعب عليه التوفيق بين سكان بغداد ورجال حرس الخليفة الأتراك ، فإن ابن طولون بعد قدومه من بلاد الجزيرة رأى أن يتلافى الخطر بنفسه فتدارك الأمر وأنشأ تلك الضاحية ليعتمد عن الفسطاط وجعلها عاصمة مملكة واتخذها بعده خلفاؤه من أسرته . كانت أوجه الشبه متقاربة جدا بين مدينة ابن طولون وبين سامرا ، فقد كانت كل منها مقسمة إلى خطط أو قطائع تضم كل قطعة منها للسكان الذين تجمعهم رابطة العرق أو رابطة العمل ، وأصبح اسم القطائع علما على مدينة ابن طولون .

وأنشأ ابن طولون بيهارستانا في سنة ٢٥٩ هـ — ٨٧٢ م في الفسطاط وأنفق عليه صتين ألف دينار وقد شيد حامين لهذا المارستان ، أحدها للرجال والآخر للنساء وقد بقي هذا البيهارستان قائما وشاهده المؤرخ المصري القلقشندي ( ت ١٤١٨ ) .

ومن علماء العصر الطولوني ، العالم الرياضي شجاع بن أسلم المصري



( أبو كامل ) وكان عالم زمانه وحاسب أوانه وله تلاميذ تخرجوا بعلمه ، كما قال عنه ابن القفطى فى كتابه أخبار العلماء بأخبار الحكماء . ونذكر أيضا الكيمياء فى الأخميمى عثمان بن سويد ، ونسبت إليه مؤلفات شتى وقد عاش حوالى عام ٩١٠ م .

وقد كان على أيام الطولونيين والإخشيديين يالفسطاط سوق عظيمة للوراقين تعرض فيها الكتب للبيع وأحيانا تجرى فى دكاكينها المناظرات والندوات :

# الماهرة

الحاضرة الرابعة ( ٩٦٩ - ١١٦٩ م )

تقع مدينة القاهرة على خط طول ٣٠° ٤' وعلى خط عرض ٣٠° ٥٨' وتبعد عن النقطة التي يتفرع عندها نهر النيل بمسافة ٢٤ كيلو مترا تقريبا ، وتقوم القاهرة على الشاطئ الشرقي منه ، ويحف بها من جهة الشرق سلسلة تلال المقطم ذات الطبقات الصخرية الجيرية التي تسمى القاهرة بأحجار البناء ، المائلة إلى اللونين الأحمر والأصفر ، وسطحه قاحل أحذب لا تكسوه الخضرة ولا تنبت فوقه الأشجار ولا يجري في وديانه ماء وكما انجى المقطم نحو الشمال قل ارتفاعه تدريجيا (١) تنبسط مدينة القاهرة منحذرة مع سفحه تدريجيا نحو شاطئ النيل . وكان نهر النيل في الأزمنة السابقة يمر بجوار المقطم مباشرة ، ويبلغ ارتفاع سطح القاهرة عن منسوب البحر بمقدار ١٥٥ مترا . والناظر من قمة الجبل نحو الجنوب يرى النيل يخرج من واد متسع ذي زرع ومحاط بالحقول الخضراء وبأحراش النخيل ، وكما انجى نحو الشمال ازداد الوادي اتساعا ، ويستمر النيل في جريانه حتى يتفرع عند القناطر الخيرية مكونا الدلتا الخضراء حتى يصب مياهه في البحر المتوسط .

وفي تلك المنطقة التي تقع في جنوب النقطة التي يتفرع منها النيل ، أعدت الطبيعة مكانا جعلته صالحا لأن تبني عليه حواضر وادي النيل . ولذلك شيد

---

(١) ينتهى المقطم في الشمال بالجبل الأحمر عند العباسية ، وتخرج من السلسلة عدة نتوءات نحو الغرب كتلال زينهم وعين الصيرة وقطع المرأة ( جمال حمدان ) .



المصريون منذ فجر التاريخ عواصمهم ، ومراكز دفاعهم في هذه المنطقة الضيقة حيث يسهل الدفاع وصد المغيرين القادمين من الشمال والقاصدين غزو الوجه القبلي ، كذلك يسهل دفع المهاجرين القادمين من أعالي النيل للإستيلاء على دلتا مصر ، ومن ذلك شيد المصريون القدامى قبل بناء الفسطاط والعسكر والقطائع والقاهرة مدينة منف غربى النيل ، ومدينة هليوبوليس حيث أراضي المطرية وعين شمس ، وبابليون ( مصر القديمة ) التى تعرف اليوم بقصر الشمع .

وبالإضافة إلى ما لهذه المنطقة من مزايا استراتيجية ، فإن لها مزايا تجارية لا يستهان بها ، إذ أعدتها الطبيعة لأن تكون مركزا تجاريا وذلك لتفرع نهر النيل عندها وتوسطها بين شمال البلاد وجنوبها ، وكانت سفن أهل الجنوب تصعد النيل حتى موانئ هليوبوليس ، وبابليون ومنف قبل الفتح العربى ، ثم الفسطاط والمقس وبولاق وأثر النبي بعد الفتح ..

وهناك وجهات نظر أخرى تتلاقى بمزايا أو عيوب الموقع الذى اختاره القائد جوهر التأسيس القاهرة . صحيح ان جوهر نظر إلى الموقع من الناحية العسكرية وهو فى ذلك كان على حق ، غير أن الخليفة المعز لدين الله حينما قدم إلى القاهرة سنة ٨٣٦ ( ٩٧٣ ) لم يرق فى نظره موقع القاهرة لأنها بغير ساحل ، وقيل أنه تحدث إلى قائده جوهر قائلا له : « فأتك بناء القاهرة على النيل عند المقس ( ميدان رمسيس ) ، فهلا كنت بنيتها على الجرف ؟ ( منطقة الرصد ) (١) . وربما كان المعز على حق ، فإن منطقة الرصد التى أشار إليها منطقة جميلة تشرف على النيل والجبل ، وبركة الحبش وجمعت بين السهل والجبل ، وبين الخضرة والماء .

ومع ذلك فإن الخلفاء الفاطميين بعد المعز لدين الله لم يفهم مواطن الجمال

---

(١) المقرئى : المخطوط ج ١ ص ١٢٨ ، الفلقشندى : صبيح الأعشى ج ٣ ص ٣٧١  
والرصد هو المرتفع الصخرى القائم على يسار الداهب إلى المادى تجاه أثر النبي .

في أطراف القاهرة ، فانتفعوا بها وبشاطئ النيل وحافى الخليج ، بما أنشئوه من  
للاظر والبساتين والضواحي فامتد العمران ، إلى خارج أسوار القاهرة .

### تلال المقطم

وانعد الآن إلى سلسلة تلال المقطم وهي الحد الشرقي لمدينة القاهرة ، وقفت  
عندها مئات السنين وحتمها كما وفرت للمدينة مواد البناء ، وفضلا عن ذلك فقد  
منحت القاهرة جناف الهواء المنشط وإن لم تيسر لها زحف العمران ، باستثناء  
ما حدث في السنوات الأخيرة في أعقاب إنشاء مدينة المقطم ، إذا لم ننس مدن  
الموتى أو مقابرهم التي تحتضنها السلسلة الجبلية من مقبرة الخفير في الشمال إلى مقبرة  
الامام الشافعى في الجنوب

والواقع أن المقطم منع القاهرة من التوسع نحو الشرق وكادت تختنق في هذا  
الجانب وفرض عليها امتدادا نحو الشمال والشمال الشرقي والغرب كما حدث في  
أيامنا . كانت سلسلة المقطم بمثابة خط القاعدة الذي ارتكزت عليه القاهرة في  
نموها ، وبينما لم يعد اجتيازها النيل عقبة على الإطلاق ، على الأقل منذ القرن  
الماضى ، فقد ظل محور المقطم منذ بداية المدينة إلى اليوم عقبة طبيعية قاسية .  
ومن الناحية التاريخية ، خلال العصور الوسطى ، فإن اضان المقم المباشرة  
التي نشأت فيها هي بطبيعة الحال «النواة النووية» للمدينة مثلما كانت قلبها المركزى  
في مراحل طويلة من حياتها (١) حتى قبل بناء قلعة الجبل ، فدائما منذ الفتح  
العربى كان مقر الحكم لصيقا أو يكاد بسفوح المقطم في الشرق ، ومن حوله  
كانت تترى أحياء الموظفين والأعوان والمقرين وكبار التجار والحرفيين ثم العامة ،  
بينما كانت بطائح وشطوطه النيل التي ترصعها المستنقعات والبرك وأراضى البعل

---

(١) القاهرة : ترجمة يحيى حقي ، من المقدمة الممتازة التي كتبها د . جمال حمدان كتاب

الجلال ، العدد ٢١٦ مارس ١٩٦٩ .



وبهددها خطر الماء من فترة إلى أخرى منطقة الزراعات وتغوين للمدينة ، وأحيانا  
ملاعب ومنتزهات . . . إلخ . ومنذ منتصف القرن التاسع عشر أخذت القاهرة  
تهجر تلال اللقطة وتزحف إلى غرب النيل ، وأخذ كثير من أجهزة الحكم  
والمؤسسات تغادر قلبها القديم في شرق المدينة وتهاجر بانتظام نحو الغرب والشمال  
والشمال الشرقي وليس يخفى على أحد أن القاهرة — اليوم — أكبر مدائن  
أفريقية والشرق الأوسط ، وأكثرها ازدحاما بالسكان فهي كادت تنفجر . . . .

### النيل المتاحل

والظاهرة الجغرافية الثانية ، بالنسبة إلى القاهرة هي النيل ، الذي كان إلى  
عهد ليس بعيد ، الحد الغربي لمدينة القاهرة ، فلم تتجاوز المدينة إلا في منتصف  
القرن التاسع عشر . ولا يخفى أن الشاطئ الشرقي للنيل في أيام الفتح العربي كان  
يمس حصن بابليون وعلى مسافة صغيرة من جامع عمرو بن العاص .

وتؤكد تنفق كلمة للأورخين الجغرافيين على أن الشاطئ الشرقي للنيل عند  
دخول العرب مصر كان يمر بناحية أثر النبي جنوب مصر القديمة ، ثم يتجه إلى  
الشمال بجوار شارع أثر النبي إلى أن يتلاقى بسكة حديد حلوان عند محطة للدابغ ،  
فيسير النيل بجوار هذه السكة إلى أن يتقابل بشارع ماري جرجس ، فيسير مارا  
بمصر الشمع (بابليون) ، فجاءع عمرو ثم يسير محاذيا شارع سيدي حسن الأنور  
إلى نهايته ثم يتجه شمالا مارا بعدة شوارع حتى يصل إلى شارع محمد فريد ويستمر  
إلى نهايته عند التقائه بشارع رمسيس ثم ينعطف النهر إلى الشرق حتى يصل إلى  
ميدان رمسيس ، فشارع غمرة ثم يسير بعد ذلك شمالا محاذيا لخط السكة الحديدية  
(مصر — اسكندرية) ثم ينحني قليلا نحو الغرب حتى يتقابل مع مجراه الحالي  
عند ترعة الامناعيلية (شبرا) .

وقد انحسر النيل عن أراضي كثيرة في غرب القاهرة الفاطمية ، وظلت هذه

الأراضي موطناً ورطبة تملؤها المستنقعات والخجان والبرك ولا تصلح للزراعة والسكن إلا بعد انحسار النيل عنها ومرور قرون من الارساب والصلابة ، فلم تظهر أرض اللوق إلا منذ الأيوبيين ، وأرض الأزبكية إلا منذ أيام الفاطميين وكانت قطعة منها تغطيها بركة بطن البقرة ( الأزبكية فيما بعد ) . أضف إلى هذا كثرة الجزر في النيل في المنطقة التي تقابل وسط القاهرة .

### الصحراء

وأينما أقبلت على القاهرة فلا بد أن تمر بواحد من مداخلها الصحراوية — من الشرق أو من الغرب أو من الجنوب ، فلولا نهر النيل لسكانت مدينة صحراوية مائة في المائة ، شأنها في ذلك كشأن القيروان التونسية . فالقاهرة كما قال عنها السكاتب البريطاني ، « ديزمووند ستيوارت » (١) هي بنت الصحراء ، وأكبر المدن الصحراوية وتبلغ مساحتها ٤١٤ كيلو متراً مربعاً ، ولها لون صحراوي ، وأفضل إقواء لها هو من ناحية الصحراء غير طريق للسيارات : يبدأ من البحر للمتوسط ، ويمتد قرابة مائتي كيلو متراً وسط يبداء مكسوفة وينتهي عند سفح هضبة الأهرام المشرفة على وادي النيل .

### قاهرة الفاطميين

بعد أن نجح الخليفة الفاطمي للعز لدين الله في تأسيس دولته الأفريقية ومد حدودها إلى ساحل المحيط الأطلسي عزم على فتح مصر . وكان جده وأبوه قد حاولا الاستيلاء عليها فلم يفلحا . فلما تولى الحكم أراد أن يحقق أمنيتها وقد حققها .

كانت مصر في ذلك الوقت عرضة للغزاة فطلب إلى قائده جوهر الصقلي أن

---

(١) ديزمووند ستيوارت . القاهرة وترجمة — يحيى حنى — ومقدمة د . جمال حمدان —

دار الهلال .



يضع الخطة العسكرية ويجهز حملته، فحشد مائة ألف رجل مجهزين بالمعدات السكاكية وأرسل معهم للوثة وآلات القتال وكل ما يحتاجه هذا الجيش الجرار .

وبدأت الحملة سيرها ، فوصلت إلى الاسكندرية ووقعت في قبضته ثم تحركت إلى الجيزة واستولى جوهر عليها في ٦ يوليو ٩٦٩ م وعبر النيل بالقرب من منية الشلقان ، وسحق الجيوش التي أعدت للدفاع على الشاطئ الشرقي للنيل .

دخلت القوات الفاطمية تحت قيادة جوهر مدينة الفسطاط عند مغيب الشمس ، وعسكرت في السهل الرملي الواقع إلى الشمال . وكان يحد هذا السهل من الشرق جبل المقطم . ومن الغرب الخليج ( ردم في أواخر القرن التاسع عشر ) الذي يصل بين شمال الفسطاط ومدينة هليوبوليس القديمة ، وينتهي عند القلزم على البحر الأحمر . وكان السهل للذكور خاليا من البناء سوى بضعة مبان تتعلق بيساتين كافور وديرا مسيحيا اسمه دير العظام .

وفي مساء ذلك اليوم ( ١٧ شعبان سنة ٣٥٨ هـ - ٦ يوليو ٩٦٩ م ) اختط جوهر موضع القصر الذي قرر أن يستقبل فيه المعز لدين الله تنفيذا لأوامر سيده . وحينما أتى أعيان الفسطاط في الصباح التالي انهنثته وشاهدوا أسس البناء الجديد قد حفرت . وبني جوهر سورا خارجيا من اللبن على شكل مربع طول كل ضلع من أضلاعه ١٢٠٠ ياردة . وكانت مساحة الأرض التي حددها هذا المربع ٣٤٠ فداناً منها نحو سبعين فداناً بنى عليها جوهر القصر الكبير ، وخمسة وثلاثين فداناً للبستان الكافوري ومثلها للميادين . والباقي وقدره مائتان فدان هو الذي توزع على الفرق العسكرية في نحو عشرين سخة بجاني قصبة القاهرة ( الطريق الرئيسي ) .

وقد حفر السور في ليلة مباركة وساعة سعيدة وتركه على حاله . وفي اليوم الذي خط فيه جوهر القاهرة أخذت كل قبيلة من القبائل الشيعية التي تآلف منها جيشه خطة . فالتحقت زويله الخطة المعروفة إلى اليوم . واختطت جماعة من برقة الحارة البرقية ، واختطت الروم حارتين البرانية - والجوانية بقرب باب النصر .

كان قصد جوهر من إنشاء القاهرة أن تكون معقلا حصينا لرد القرامطة عن مدينة مصر الفسطاط لبقائهم من دونها . فأدار السور اللبن على مسكرات قوائمه وأنشأ من داخل السور جامعا وقصرا واجتفر خندقا من الجهة الشمالية ليمنع اقترحام جيش القرامطة إلى القاهرة ومصر من ورائها .

ويمكن تتبع حدود سور القاهرة المعزية في أكثر أجزائه بكثير من الدقة بفضل المعلومات التي أمدنا بها المؤرخ المقرئى ماعدا ذلك الجزء الواقع بين باب النصر وباب البرقية فليس لدينا معلومات عنه . وقد كانت القاهرة الأولى تمتد من الشمال بموقع باب النصر والحلاء الذى امتد أمامه . ومن الجنوب بموقع باب زويلة القريب من موقعة الجالى المواجه للفسطاط . ومن الشرق بموقع باب البرقة والباب المحروق المواجهين للمقطم . ومن الغرب بموقع باب سعادة المطل أو المحاذى لخليج أمير المؤمنين بعداً عنه بنحو ثلاثين متراً .

#### المعز لدين الله

وفى يوم الثلاثاء السابع من شهر رمضان سنة ٣٦٢ هـ (٩٧٣ م) لما دخل المعز القاهرة على رأس أفراد أسرته تجاهل الفسطاط فلم يخترقها . وكانت قد زينب ابتهاجا لمقدمه . ثم قصد القصر الكبير وأمر ببناء مقبرة لدفن أجداده الذين إستحضر جثثهم معه فى توايت ، وفى آخر شهر رمضان أقام الصلاة وخطب خطبة العيد .

فكان القاهرة المدينة المحصنة لم يقصد جوهر من إنشائها فى يادى الأمر أن تكون قاعدة أو دار خلافة أو منزل ملك بل خطما لتكون سكنا للخليفة وحرمة وجنده وخواصه ومعقل قتال يتحصن به ويلتجىء إليه . كانت القاهرة مدينة متواضعة للدولة الفاطمية الناشئة . واستمرت حيناً بعد قيامها مدينة عسكرية



تشتمل على قصور الخلفاء ومساكن الأمراء ودواوين الحكومة وخزائن المال والأسلحة . ثم أصبحت بعد إنشائها بأربعة أعوام عاصمة الخلافة الفاطمية لما انتقل المعز وأسرته من الغرب واتخذ مصر موطناً له ( ٣١٢ هـ ) ٩٧٣/٩٨٣ م ولم يكن لفاطمي مصر أن يدخلوا « المدينة الملوكية » إلا بإذن يسمح لصاحبه بدخول إحدى بوابات القاهرة . وكان مفوض الدول الأجنبية الذين يحضرون الحفلات الرسمية يترجلون عن جيادهم ويستقدمون إلى القصر بين صفين من الجنود على الطريقة البيزنطية ، وكانت أسوار القاهرة العالية وأبوابها المحروسة تحجب الخليفة عن أنظار الشعب .

ولما مرت الأعوام اتسعت القاهرة ونمت ثم تبوأَت مكائتها العظيمة ، وبعد أعوام اتصلت بمصر القسطنطينية وصارتا تؤلفان معا واحدة من مدائن الإسلام للتألف في المصور الوسطى .

### أسوار القاهرة وأبوابها

شيدت أسوار القاهرة الأولى من اللبن الكبير . وقد ذكر المؤرخ — المقرئى أنه لم يبق من آثار هذا السور شيء في عام ١٤٠٠ م . وذكر أيضاً أنه شاهد جزءاً طويلاً من السور الذى شيده جوهر قائماً على بعد خمسين ذراعاً من السور الحالى ( وهو من أعمال صلاح الدين ) فى المنطقة الواقعة بين باب البرقية ودرج بطوطة حتى دمرت عام ١٤٠٠ — ١٤٠١ م .

هذا هو السور الأول الذى بناه جوهر القائد .

أما السور الثانى للقاهرة فقد بناه الوزير أمير الجيوش بدر الجمالى فى عام ٤٨٠ هـ ( ١٠٨٧ م ) خارج سور جوهر وليس على أساسه . وكان مثله فى أن مادة بنائه كانت من اللبن للجدران ، ومن حجر منحوت للأبواب والأبراج .

أما السور الثالث فقد ابتدأ في عمارته صلاح الدين يوسف بن أيوب سنة ٥٦٦هـ وقد كان حينذاك وزيراً للعاقد لدين الله آخر الخلفاء الفاطميين بمصر فلما استولى على الملك عام ٥٦٩هـ (١١٧٣/١١٧٤ م) وصار سلطاناً ندب للعمل في السور الطواشي بهاء الدين قره قوش الأسد . فبناء بالحجارة كما هو عليه الآن . وبدلاً من أن يحيط به القاهرة وحدها ، قرر أن يطوق به قلعة الجبل والقاهرة والفسطاط ، ولكنه توفي قبل أن يتم له ذلك .

وكان للقاهرة ثمانية أبواب لكل جنب من أجنابها الأربعة بابان . ففي الجنوب باب زويلة . وكان في الأصل بابين بينهما قبيلة زويلة من قبائل البربر كانوا عند مسجد ابن البناء ، وباب الفرع ، وفي السور الشمالي باب النصر وباب الفتوح . وكان في الجهة الشرقية باب القراطين ( المحروق ) ، وباب البرقية . أما في الجهة الغربية من القاهرة وهي المطلة على الخليج الكبير فقد كان هناك : باب سعادة وهو أول أبواب السور الغربي ، وباب القنطرة أو الجسر .

## الجامع الأزهر

كان جوهر بعد عام فتح الفاطميين مصر قد أتم إنشاء القاهرة . فكانت أولى خطواته بناء الجامع الأزهر ( ٣٥٩ هـ ٩٦٩ ) . ولما تم تشييده بعد عامين فتح للصلاة في شهر رمضان عام ٣٦١ هـ ( يوليو ٩٧٢ م ) ويعتبر الأزهر أول عمل عماري أقامه الفاطميون في مصر لا يزال قائماً لليوم .

والتخطيط الأصلي الذي أنشئ هذا الجامع عليه من الأمور الصعبة التي لا يمكن الاهتداء إليه . فقد زاد كثير من الخلفاء الفاطميين في بنائه وأعيد تجديد أجزاء كثيرة منه في خلال القرون الماضية ، كما أضيفت إليه زيادات عدة .



وكان الخليفة العزيز الفاطمي أول من حول الأزهر من مسجد تقام فيه الشعائر الدينية إلى جامعة للشيعة تدرس فيها العلوم ويروج فيها المذهب الفاطمي . كما كان أول من أجرى الأرزاق على طلاب العلم فيه ممن وفدوا من جميع نواحي العالم الإسلامي ، من ساحل الذهب إلى جزر الملايو . فقد تقابل في مقصوراته وفنائه : المراكشي والجاوي ، والصيني والتونسي والجزائري والمولندي والزنجي تربطهم جميعاً رابطة الدين . وكان لكل طلاب أمة روايتهم الخاص حيث يتلقون دروس الفقه والشريعة والنحو والحديث والمنطق والجبر والفاك والبلاغة والتفسير .

#### أخطاط القاهرة الفاطمية

في اليوم الذي خط فيه جوهر المدينة الجديدة أخذت كل قبيلة من القبائل التي تآلف منها الجيش الفاطمي خطة عرفت باسمها ، وقد كان أهم تلك الخطط أو الحارات ما يأتي :

- ١ — حارة الروم أو خطهم .
- ٢ — حارة برجوان أحد خدمة القصر في أيام العزيز بالله نزار العبیدی .
- ٣ — حارة زويلة
- ٤ — حارة الجدرية
- ٥ — حارة الأمراء
- ٦ — حارة الديلم
- ٧ — حارة الباطلية
- ٨ — حارة السكافوري
- ٩ — حارة قائد القواد : تعرف اليوم باسم حارة قصر الشرك

١٠ — حارة المطوف

١١ — حارة الوزيرية منسوبة إلى الوزير يعقوب بن كلس

١٢ — حارة الحمودية « أو المصامدة

ولقد زاد عدد هذه الخطط وتطورت كثيراً في أيام الأيوبيين والمماليك وقد وصفها بافاضة المؤرخ المقرئ في خطه المعروفة .

#### القصور الزاهرة

كان أهم ما زين القاهرة الفاطمية تصورها الزاهرة . وقد أورد المؤرخ المقرئ في وصفها ما لا يقل عن مائتي صفحة . وقد ذكرنا أن جوهر وضع أساس القصر الكبير في نفس الليلة التي اختلط بها القاهرة . واستمر العمل في أقسامه المتعددة عدة سنين . وقد اشتمل هذا القصر في داخله على عدة مناظر وقاعات وقصور صغيرة أهمها هو الذهب والاقبال والظفر والشجرة وقصر الشوك والزمرد والنسيم والبحر والحريم . وكان لهذا القصر تسعة أبواب . كما كان هناك أمامه ميدان فسيح تعرض فيه الجنود في يومى العيدين .

أما القصر الصغير الذي لم يتم بناؤه إلا في عام ٤٥٧هـ - ١٠٦٥م ( في خلافة المستنصر بالله ) فقد أمر ببنائه الإمام العزيز بالله عام ٤٥٠هـ ، وقد قال المؤرخ المسيحي عنه : لم يكن مثله في شرق ولا في غرب « وكانت للقصر عدة أبواب ويتصل بالقصر الكبير بواسطة نفق تحت الأرض . كان ينزل منه الحليقة بمنطلياً ظهر بنه تحيط به فتبات القصر .

وشيد الفاطميون دوراً كثيرة ومنظر جميلة منها دار الضيافة ودار الوزارة ودار الضرب ودار الذهب . وقد تبق دار الوزارة أو ( الدار الأفضلية ) أمير الجيوش الأفضل بن بدر الجمالي ، ثم سكنها أرباب السيوف أمراء الجيوش المصرية



بالتسالى إلى أن تولى الأيوبيون الحكم فى مصر فسكنها السلطان الملك  
الصالح وولده .

وفى أيام الخليفة الحاكم بأمر الله شيدت دار العلم ( دار الحكمة ) بجوار القصر  
الغربى وقد افتتحت فى اليوم العاشر من جمادى الآخرة سنة ٥٣٩٥ - ١٠٠٤م  
وأستمرت تؤدى رسالتها حتى أبطلها الأفضل بن بدر الجمالى .  
وكان العزيز ميسّالاً إلى إقتناء الكتب فجمع جانباً كبيراً منها خصص لها  
قاعات فى قصره مماها « خزانة الكتب » .

#### جوامع الفاطميين

ومن بين منشآت الفاطميين فى القاهرة لم يبق إلا الأبواب الثلاثة ، وجزء  
من سور المدينة وخمسة مساجد من ستة أقامها الفاطميون . هى الأزهر ومسجد  
أمير الجيوش أعلى المقطم والجامع الحاكمى والجامع الأقمر وجامع المقس وقد هدم  
الجامع الظافرى المعروف بجامع الفسكاكين ، ثم جامع الصالح طلائع الذى  
يواجه باب زويلة اليوم .

• ومن الآثار الفاطمية الباقية إلى اليوم جامع الحاكم وهو لم يحتفظ إلا  
بشيء قليل جداً من عمارته القديمة وزخارفه الأصلية . وكان العزيز بالله هو الذى  
شيد جامع الحاكم عام ٣٨٠ هـ بمعاونة وزيره ابن كلثوم . ثم أتمّه الحاكم بأمر  
الله وأكمل زخرفته وشيد مثذنته ( ٤٠٣ هـ ) . وشيد الخليفة الأمر جامع الأقمر  
فيما بين القصرين ، وكان أول مسجد بنى من الحجارة المنحوتة .

أما مسجد الصالح طلائع . فقد أنشأه الملك الصالح طلائع بن رزيك وزير  
الخليفة الفائز بنصر الله عام ٥٥٥ هـ / ١١٦٠م . كما يستدل على ذلك من الكتابة  
المنقوشة على واجهته البحرية .

#### القاهرة فى أيام الفاطميين

وكان شكل القاهرة فى زمن القائد جوهر مربعا تقريباً ، ضلعه ألف ومائتا

متر ومساحة الأرض المحصورة فيه ثلاثمائة وأربعين فدانا ، منها قرابة سبعين فدانا  
بنى فيها القصر الكبير ، وخمسة وثلاثون فدانا للبستان الكافوى ، ومثلها للميادين ،  
فيكون الباقي مائتي فدان وهو القديس توزع على الفرق العسكرية في نحو عشرين  
حارة ، رحمت بجانبى قسبة القاهرة . وكان سور القاهرة الغربى بعيداً عن الخليج  
بحوالى ثلاثين متراً ، وفي عام ٥٤٨٦ هـ - ١٠٩٣ م ، فى زمن وزارة الأمير بدر  
الجمالى ، وخلافة المستنصر بالله هدم هذا السور وبنيت الأبواب من الحجر ،  
وجعل عرض السور الجديد عشرة أذرع ، وبلغت مساحة القاهرة أربعمائة فدان ،  
فكان ما زاده بدر الجمالى حوالى ستين فدانا . ويمكن اعتبار هذه الزيادة التى  
فى داخل الأسوار أول زيادة طرأت على المدينة الأصلية وضممتها الأسوار  
القاهرة .

#### امتداد القاهرة وتوسعها

يستدل من مراجعة المصادر التاريخية (١) أنه فى أيام الخليفة الحاكم بأمر الله  
( بين ٩٩٦ و ١٠٢٠ م ) توسعت القاهرة من ناحيتيها الشمالية والجنوبية . وفى  
الشمال خارج باب فتوح سكنت الطائفة الحسينية وكانت تتألف من عدة حارات ،  
ويتوسطها اليوم من الجنوب إلى الشمال شارع الحسينية وشارع البيومى من باب  
الفتوح إلى ميدان الجيش .

وفى زمن الحاكم بأمر الله أيضاً أخذ الأهالى جنوب سور القاهرة الجنوبي  
يعمرون وينشون خارج بابى زويلة والفرج ، وكانت هذه الجهة حتى أوائل القرن  
الحادى عشر غير مأمورة بالمباني حتى مدينة القطائع الطولونية . فنهضت « ضاحية »  
امتدت تدريجياً حتى عظمى فى زمن الجماعة العظمى فى أيام الخليفة المستنصر الدين الله  
( ١٠٣٥ - ١٠٩٤ م ) حينما أخذ يأفل نجم الفسطاط .

---

(١) النجوم الزاهرة لابن المحاسن بن تفرى بردى ، ج ٤ ص ٤٥ .



وفي أواخر القرن الحادى عشر شيدت الأمير بدر الجمالى مسجد الجيوشى فوق المقطم ويرجع تاريخ هذا للمسجد إلى عام ١٠٨٥ . كما أن هناك عدة مشاهد وقباب ( أضرحة ) شيدت خارج قاهرة الفواطم فى القرن الثانى عشر كمشهدى كلثم والسيدة رقيه وقبة القاسم الطيب . وكان مسجد الصالح طلائع خاتمة المباني الفاطمية التى شيدت خارج باب زويلة فى عام ١١٦٠ م .

ولنرجع إلى ما ذكره المقرئزى فى خطه عندما أشار إلى ما بناه الفاطميون فى ظاهر القاهرة : « توسع الناس فى العمارة بظاهر القاهرة ، وبنوا خارج باب زويلة حتى اتصلت العمائر بمدينة الفسطاط ، وبنوا خارج باب الفتوح وباب النصر إلى أن انتهت العمائر إلى الريدانية ( العباسية اليوم ) . وبنوا خارج باب القنطرة إلى حيث الموضع الذى يقال له بولاق حيث شاطئ النيل . . . وبنوا خارج باب البرقية والباب المحروق إلى سفح الجبل بطول السور فصار حينئذ العامر بالسكنى على قسمين : أحدها يقال له القاهرة والآخر يقال له مصر » . ونسب للمقرئزى أن يذكر بالدقة تاريخ هذا لتوسع العمرانى ، ولكن لم يفت على مؤرخنا الجليل أن يؤرخ التوسع الفاطمى التالى ، فيذكر لنا أن عهد الخليفة الأمر بأحكام الله ( ١١٠١ - ١١٣٠ م ) نادى وزيره محمد بن فاتك المعروف بالمأمون بن البطائحي بتعمير الخرائب والنضاء الذى يقع بين باب زويلة ومشهد السيدة نفيسة فنودى لمدة ثلاثة أيام بالقاهرة ومصر وبأن « من كان له دار فى الخراب أو مكان فليعمره ومن عجز عن عمارته يبيعه أو يؤجره من غير ثقل شئ من أنقاضه ، ومن تأخر بعد ذلك فلا حق له فى شئ منه ولا حكر يلزمه » فلما نادى الوزير المأمون البطائحي ، عمر الناس ما كان من ذلك مما يلي القاهرة من جهة المشهد النفيسى إلى ظاهر باب زويلة . ولم يبق من المعسكر ما هو عامر سوى جبل بشكر الذى أقيم عليه جامع ابن طولون (١) . ولكن فى أيام

(١) المقرئزى خطه ، ج ١ ص ٣٠٥ .

صلاح الدين الأيوبي حينما بدأ بناء قلعة الجبل ( بعد عام ١١٧٦ ) أمر بهدم عدد كبير من مساكن تلك الضاحية ربما حرصا على الأمن ، وأقام على أرضها البساتين وأخذت تشغل المساحة الممتدة من باب زويلة إلى المشهد النفيسى حيث كانت نهاية تلك البساتين الخضراء .

### جزيرة الروضة

وهناك فى أقصى الجنوب ومقابل مدينة الفسطاط حيث يجرى النيل تقابلنا جزيرة الروضة التى تتوسطه . ركان الولاة العرب قد عتوا بها . وفى أثناء إمارة أحمد بن طولون ( ٨٧٠ - ٨٨٤ م ) أعاد بناء أسوار الجزيرة وحصونها ( ٨٧٦م ) وجعلها مقراً لحزائن أمواله وشيد فيها الدور ، كما أقام فيها دار صفاة للسفن الحربية وجعلها مقر ديوان الجهاد . وفى أيام محمد بن طنج الاخشيد أنشأ بستانا ودارا سماها « المختار » .

ثم عرفت الجزيرة بالروضة نسبة إلى البستان الذى أنشأ فى نهايتها الشمالية الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالى فى عام ٥٤٩٠ - ٩٦ م . وسماه الروضة ، ويوضح هذا مبلغ عناية الأمراء الفاطميين بموقع الروضة التى أصبحت متنزها ومسكنا للأهالى .

### انسحاب نهر النيل وظهور أرض جديدة

طرا على ساحل النيل الشرقى فى المسافة الممتدة من الفسطاط إلى روض الفرج تسع تغيرات على الأقل ، وذلك فيما بين عام ٦٨٨ م أى فى زمن حكم الدولة الأموية ، وعام ١٨٣٠ أثناء حكم محمد على . ويهمننا ونحن بصدد الحديث عن القاهرة فى العصر الفاطمى أن نشير إلى انسحاب النيل للمرة الثالثة الذى ظهر حوال سنة ١١٢٦ م فى أيام الدولة الفاطمية ( ونقصد انسحابه غربا وظهور أرض

جديدة ) إذ طرح النيل أرضاً جديدة كسبتها القاهرة وزاد في عمرانها فتحتول شاطئ النيل الشرقى للمرة الثالثة إلى الغرب في المساحة التي كانت بين جامع الطيبي ( يقع اليوم بشارع الديورة ( الأديرة ) بالسيدة زينب ) وبين النقطة التي يتلاقى فيها شارع عرابي بشارع رمسيس . وقد نتج عن هذا الطرح ظهور المنطقة التي يقع فيها اليوم : كلية تجارة عين شمس (١) ، ومباني وزارة التموين ( القديمة ) ووزارة البحث العلمى والرى والصحة ومجلس الشعب والجامعة الأمريكية بالقاهرة وكلية الليسيه ووزارة الأوقاف والبنك الأهلى ، ويمر فيها شارع شريف وامتداده إلى ميدان لاطوغلى .

## القاهرة الفاطمية وما كتب عنها

وقد على مصر أثناء دولة الفاطميين عالم فارسى جليل ورحالة ترك لنا وصفاً دقيقاً لرحلته في مصر وحضارتها في عصر الخليفة المستنصر بالله ، هو ناصرى خسرو ( ١٠٠٢ - ١٠٦١ م ) (٢) وكان قد أقام بمصر ثلاث سنوات وثلاثة أشهر ( ١٠٤٧ - ١٠٥٠ م ) ودون مشاهدته بدقة واسهاب ، ووصف مدينتى القسطنطين والقاهرة وأماكن أخرى كما وصف الحياة العقلية وتحدث عن الأزهر ودار الحكمة وجامع عمرو بن العاص ، كما تكلم عن الخليفة الفاطمى والفقهاء والدعاة الفاطميين ، كما درس الحياة الاجتماعية عن كتب وأطرب على ثروة مصر ورخائها اقتصادياً ، وصف القاهرة وصفاً شائقاً وأسهب على أحوالها وجوامعها وبيوتها

---

(١) نفلت عام ١٩٧٤ إلى مدينة نصر ولم يبق في مكانها سوى كلية التعاون .

(٢) عنوان الرحلة: سفرنامه . Sefer Nameh وقد ترجمت إلى اللغة الفرنسية ثم نقلها الأستاذ الدكتور يحيى الخشاب إلى العربية بعد أن حققها وعانى عليها وهى رحلة تقع حوادثها من سنتى ١٠٤٥ م و ١٠٥٢ وقد طبعها معهد اللغات الشرقية التابع إلى كلية الآداب (جامعة القاهرة) ١٩٤٥ .



وحداتها وقصورها وأسوانها وحرفها ، كما أنه أشار إلى صناعة الحزف الفاطمي وميزاتها ، وسنقتبس موجزاً مما قاله الرحالة الفارسي :

ومدينة مصر ( الفسطاط — القاهرة ) ممتدة على شاطئ النيل الذي بنيت عليه القصور والمناظر بحيث إذا احتاجوا إلى الماء رفعوه بالجبال من النيل ، أما ماء المدينة فيجلبه السقاؤون من النيل على ظهور الدواب أو على ظهورهم . وأمام مصر جزيرة وسط النيل ( الروضة ) كان عليها مدينة في وقت ما والجزيرة غرب المدينة ، وبها مسجد جمعة وحدائق ، وأقيم بين الجزيرة والمدينة ( الفسطاط ) جسر مؤلف من ست وثلاثين سفينة . ويقع جزء من مدينة مصر على جانب النيل الأخير وبسموه الجزيرة وبها مسجد لصلاة الجمعة . وتجار مصر يصدقون في كل ما يبيعونه ، وإذا كذب أحدهم على مشتر فانه يوضع على جبل ، ويعطى جرساً بيده ، ويطوف به في المدينة وهو يرق الجرس وينادي قائلاً : قد كذبت وها أنا أعاقب وكل من يقول الكذب فجزاؤه العقاب » . . . . ويواصل الرحالة حديثه قائلاً : « ورأيت أموالاً يملكها بعض المصريين ولو ذكرتها أو وصفتها لما صدقني الناس في بلاد فارس ، فإني لا أستطيع أن أحدد أموالهم أو أحصرها . أما الأمن الذي عاينته هناك فإني لم أره في بلد من قبل .

## الشاعر الأندلسي أبو الصلت

وفد الشاعر أبو الصلت أمية على مصر من دانية الأندلسية سنة ١٠٩٥ / ١٠٩٦ . فوصل إلى القاهرة واتصل بعلماؤها ثم اعتقل في أحد سجونها مدة ثلاث سنين وشهر ، ولما أفرج عنه بعدما لقي فيها من الحيرة ، شد رحاله إلى المغرب واستعاد صلته ببيحيى بن باديس ، فوضع له رسالة يصف له فيها ما عاينه في مصر عرفت باسم

الرسالة المصرية (١) . وقد عني أبو الصلت في رسالته بالوصف البليداني لمصر ونبيلها  
وتصوير جمال ربوعها وسكانها ومذاهبهم وأخلاقهم وما تحتويه البلاد من الآثار ،  
كما أنه نوه بفضل بعض الأطباء ثم ذكر من لقبه بها من الأدباء والظرفاء والشعراء  
على شواطئ النيل وعند بركة الجيش حيث قال عنها : « إفتشنا من زهرها  
أحسن بساط ، واستظللنا من دوحها بأوفى رواق ، وطلعت علينا من زجاجات  
الأقداح شمس في خلع البدور ، ونجوم بالصفاء تنور ، إلى أن جرى ذهب  
الأصيل على لجين الماء . . . »

## العلم والعلماء أيام الفاطميين

لم يخل ميدان العلم بالبحث من مساهمة العلماء المصريين ممن نبغوا في الطب  
والفلك والكيمياء وعلم البحار والرياضيات وعلم طبقات الأرض وفن الحرب . .  
النج وبن هؤلاء على بن رضوان ، وعلى بن يونس وابن الهيثم ، وعلى  
ابن النفيس ، وغيرهم .

اشتهر العلامة ابن يونس بالرياضيات والفلك في العصر الفاطمي وكان لأرصاده  
الفلكية وبحوثه العلمية أثر هام في علم الفلك . أما أبو الحسن على بن رضوان  
ابن على بن جعفر طبيب القاهرة المشهور ، فقد ولد في الجزيرة ( ٩٨٠ م ) وتوفي  
حوالي ١٠٦١ م . وكان أبوه فرانا ولاقي في تعلمه أهوالا حتى برع في الطب .  
وله مخطوطان في الطب بدار الكتب المصرية أحدهما بعنوان « في دفع مضار

---

(١) عبد السلام هارون . الرسالة المصرية - أصلا مخطوط اقتناه العلامة أحمد تيمور  
مكتبيته الخاصة رقم ٦٠١ أدب بدار الكتب المصرية . ط لجنة التأليف والترجمة والنشر  
(١٩٥١) . أنظر ترجمة ابن الصلت في معجم الأدباء لياقوت

الأبدان بأرض مصر » وقد زاول صناعة الطب في القرن الحادى عشر رئيسا للأطباء فى عصر الحاكم بأمر الله ( ٩٩٦ - ١٠٢٠ ) والظاهر والمستنصر بالله . ولا بن رضوان ما يقرب من التسعين بحثا فى الطب، أهمها كتاب الأصول فى الطب، وهو محفوظ بدار الكتب المصرية (١) . وعلم ابن رضوان نفسه ولم يتلق الطب عن أستاذ ، ولذلك نجده يفخر دوا ما بذلك . وقد تبادل المسجلات وللفناقشات الطبية مع ابن بطلان الطبيب النصرانى البغدادى (٢) .

ومن ازدهر ميدان الطب بهم فى مصر الطبيب على بن النفيس الذى كان فيما بعد رئيس الأطباء فى مارستان قلاوون بالقاهرة والمتوفى سنة ٦٨٧ هـ (١٢٨٨) . وقد كان إلى جانب اشتغاله بالطب من البارزين فى العلوم الدينية واللغوية والأدبية فى عصره . وكتب ابن النفيس شرحا لتشريح ابن سينا ، وصلت إلينا نسخة مخطوطة منه ، وقد وضع من دراستها أن هذا الطبيب المصرى اهتدى إلى حقيقة الدورة الدموية الصغرى « دورة الدم من البطين الأيمن فى القلب إلى الرئتين ثم إلى البطين الأيسر » قبل أن يكتشفها الأوريبان ميشيل صرقت Michel Serfet سنة ١٥٥٦ وريالدو كولومبو (٣) ، ونذكر أيضا الطبيب أحمد بن محمد البلوى ( ت ٩٩١ م ) والطبيب محمد بن سعيد التميمى وهو صاحب مؤلفات كثيرة ، ومن أسلم به عند المشتغلين بالطب وتاريخه أن أمراض العين كانت تعالج فى مصر والشام

---

(١) Max Meyerhof : Climate and health in old Cairo

according to Ali Ibn-Radwan. December 1928.

- بحث القاه فى المؤتمر الطبى الدولى الدكتور ماكس ماير هوف .
- (٢) لما طالت المناظرات الطبية سافر ابن بطلان من بغداد إلى مصر ليرى مناظره ، وأقام بها ثلاث سنوات ، واستمرت بينهما المناظرات . ويقول ابن أبى أصيبعة فى المقارنة بينهما : كان ابن بطلان أعذب لفظا وأكثر ظرفا وأميز فى الأدب وما يتعلق به ، وكان ابن رضوان أطب وأعلم بالعلوم الحكيمية وما يتعلق بها .
- (٣) ماكس ماير هوف : مقالة عن ابن النفيس فى دائرة المعارف الإسلامية .



فى القرنين السادس والسابع بعد الهجرة ( ١٢ و ١٣ م ) باسلوب علمى يفوق  
ما كان معروفا حينئذ فى بلاد العالم .

أما أبو على ابن الهيثم (١) فكان أعظم علماء المسلمين فى الفيزياء بل أعظم  
علمائها فى المصور الوسطى ولولاه لما أتيج لعلم البصريات أن يصل إلى ما هو عليه  
الآن . وقد ترجم كتابه إلى اللاتينية سنة ١٥٧٢ وأخذ عنه علماء أوروبا معظم  
معلوماتهم لاسيما فى موضوعات انكسار الضوء وتشريح العين وكيفية تكوين  
المصور على شبكية العين (٢) .

وقد كاد الشرق أن ينسى ابن الهيثم بعد أن وسم وكتبه بالزندقة . ويخبرنا  
أحد تلاميذ الفيلسوف الاسرائيلى ابن ميسون ، وهو الحكيم يوسف السبتي ،  
أنه كان ببغداد تاجر اسمه عبد السلام الجليل شهد احراق كتب أحد الفلاسفة ،  
وقد أحضرها له خطيب ونصب له منبر ليشرح على إحراقها ، فلما وصل إلى كتاب  
الهيثم أشار إلى الدائرة التى مثل بها الفلك ووصفها بأنها الداهية ،  
والنازلة والصماء ، والمصيبة العمياء ، وبعد أن أتم كلامه خرقها وألقاها  
إلى النار (٣) .

---

(١) عاش فى القاهرة ( القرن الخامس الهجرى - الحادى عشر الميلادى ) ولد فى البصرة  
واشتغل كثيرا بمؤلفات أرسطو وجالينوس . وأكبر كتب ابن الهيثم كتاب المناظر الذى ترجم  
وهذب باللغة اللاتينية - ولا يعرف من تلاميذه غير واحد بعد الفلاسفة هو أبو الوفا مبشر  
ابن فائك القائد وهو أحد أمراء مصر .

(٢) مقال الاستاذ قدرى حافظ طوفان فى كتاب « نواح مجيدة من الثقافة الاسلامية »  
أخرجته مجلة المتطاف بالقاهرة .

(٣) دى بور : تاريخ الفلسفة إلى الاسلام ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريدة ص ١٩٤ -  
١٩٥ ( De Bauer ) .

ومن أطباء العصر الفاطمي موسى بن العازار طبيب المعز لدين الله وكان عالما بصناعة العلاج وتركيب الأدوية وطبائع المفردات ، والطبيب علي بن سليمان الذي حاصر ثلاثة خلفاء من الفاطميين ، هم العزيز بالله والحاكم بأمر الله والظاهر ، له تصانيف شتى منها « كتاب الحاوي » في الطب وكتاب « الأمثلة والتجارب » و « كتاب التعاليق الفلسفية » وغيرها . ونذكر الكحال ( طبيب العيون ) ابن القاسم عمار بن علي اشتهر طبيا للعيون في القاهرة ويعتبره العلماء في طليعة الكحالين في العالم الإسلامي ، ومعاصره الكحال علي بن عيسى ، والطبيب اليهودي سلامة بن رحمون أبو الخير ، قال عنه الرحالة أبو الصلت : أنه من رأيتهم ( يقصد أطباء مصر ) ، وأبو يعقوب إسحق بن إبراهيم طبيب الحاكم بأمر الله الخاص .

ومن أشهر أطباء العصر الفاطمي أبو الحسن سهلان بن عثمان ( Sahlan ) وكان عالما وطيبيا حاذقا ، وقد علا جاهه في أيام العزيز بالله واقتنى المال الجزيل وقد توفاه الله عام ٩٩٦ م . ومن أعيان الأطباء ابن مقشر ، وداود بن أبي البيان وماسويه المارديني الصيدلي وأبو عمران مرسى بن ميمون ، وأبو الوفاء المبشر . بن فاتك الذي كان من أفاضل علماء مصر ( توفي في نهاية القرن الحادي عشر ) وقد أجاد العلوم الرياضية والحسكية كما اشتغل بالطب ولازم زميله الطبيب علي ابن رضوان . والمبشر بن فاتك مجموعة من الأمثال نسبت إلى قدماء الحكماء عنوانها « مختار الحكم ومحاسن الكلم » ، جمعها هذا الحكيم في القرن الحادي عشر وترجمت هذه المجموعة إلى الأسبانية تحت عنوان « قطع الذهب » (١) . ( Los Brocados De Oros ) وصدرت عدة طبعات منه ومترجمات ، أقدمها

---

(١) حقق الدكتور عبد الرحمن بدوي « مختار الحكم ومحاسن الكلم » وأصدره المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد عام ١٩٥٨ م ضمن منشوراته .

طبعة أشبيلية بالأسبانية سنة ١٤٩٥م وطبعة سلمنكا سنة ١٤٩٩م كما ترجم إلى اللاتينية والفرنسية .

أما الترجمة الانجليزية لهذا الكتاب الفريد فقد صدرت طبعتهما في ١٨ نوفمبر عام ١٤٧٧ أى منذ ٤٩٨ عاما ، طبعه وليم كاكستون ( William Caxton ) رائد الطباعة في إنجلترا . والجدير بالذكر أن الذى ترجم الكتاب الأيرل ريفرز ( Earl Rivers ) واسم الكتاب « أمثال الفلاسفة وحكمهم » وقد ظلت المؤلفات التى غذاها هذا الكتاب العربى ذات أثر فى عالم الفكر فى أوربا الغربية أكثر من أربعة قرون .

وقد ازدهرت مصر فى أيام الفواطم بطائفة من علماء كتابة التاريخ ، وعلى رأسهم المسبّحى ( ٩٧٧ - ١٠٣٩ م ) وكان من أقطاب رجال الدولة الفاطمية . تولى الوزارة أيام الحاكم بأمر الله ونال حظوة لديه ، وشغل عدة مناصب هامة أخرى . ألف فى تاريخ مصر عدة كتب ، منها تاريخه الكبير المسمى « أخبار مصر » الذى لم يصل إلينا ولكن ذكر ابن خلكان عن رؤية ومعاينة أن تاريخه « بلغ ثلاثة عشر ألف ورقة » (١) .

وقد كتب أوتيقوس بطريك الاسكندرية المتوفى عام ٩٣٩ م والمعروف باسم سعيد بن البطريق ( ت ٩٤٠ ) عدة كتب تاريخية أبرزها كتابه المشهور « نظم الجواهر » أو التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق « كما صنف عددا آخر من المؤلفات الطبية .

ونذكر بين عداد المؤرخين المصريين : القضاعى (٢) والجوانى وأبو صالح

---

(١) محمد عبدالله عنان : مصر الاسلامية وتاريخ الخطط المصرية ص ٣٦ .

(٢) ولد بمصر فى أواخر القرن الرابع وتوفى بها سنة ( ٨٤٥٤ - ١٠٦٢ م ) وقد أوفده المستنصر سفيرا إلى تيودورا امبراطورة قسطنطينية ( ١٠٥٥ م ) وألف المختار فى ذكر الخطط والآثار .



الأرمنى (١) وابن عبد الظاهر صاحب « الروضة البهية الزاهرة والسيرة  
الظاهرية » (٢) وابن المتوَّج « مؤلف إيقاظ المتغفل واتعاظ المتأمل » (٣) ،  
وابن الجيمان المتوفى فى أواخر القرن الثامن واضع كتاب « التحفة السنية »  
بأسماء البلاد المصرية . وهو عبارة عن ثبت للأقاليم والبلاد المصرية وذكر  
زماماتها وأنواع أراضيتها من رزق وأجباس وغيرها وذلك حتى ( ٨٧٧٧ -  
١٣٧٥ م ) فى عهد الملك الأشرف خليل بن قلاوون . وقد نشرت دار الكتب  
المصرية هذا الكتاب سنة ١٨٩٨ .

---

(١) لأبى صالح مؤلف تناول فيه تاريخ الكنائس والأديار المصرية وأحياء الأقباط  
والنصارى وتاريخ القديسين والبطاركة وبعض أعمال الدولة والطائفة وخراجها - وقد طبع  
هذا الكتاب فى أ كسفورد عام ١٨٩٥ - مصر الإسلامية للدكتور م. ع. عنان . ص ٤٠ .  
(٢) هو القاضى عى الدين بن عبد الظاهر ولد بالقاهرة سنة ١٢٢٣ م . وتولى بها  
سنة ١٢٩٢ .

(٣) هو القاضى تاج الدين محمد بن عبد الوهاب بن المتوَّج ( ١٢٤١ - ١٣٣٠ م )

## الأزهر الشريف وأثره النبيل

في ألف عام

إن الإسلام والأزهر الشريف يربطان مصر بأنحاء العالم الإسلامي برباط وثيق هو رباط الإسلام القوي ، والنيل المبارك يصل بيننا وبين بلاد كثيرة في أفريقيا . . . وكفى أن ندرك أن العقيدة تربطنا بأكثر من مائة مليون أفريقي ، من أصدقائنا المسلمين الذين نبادلهم ويبادلوننا الإخاء والمحبة والتعاون .

يعتبر الأزهر مركز إشعاع روحي ينهض لتأدية رسالته النبيلة فتفيد منه شعوب العالم الإسلامي ، كما يغترف من علومه آلاف الطلاب الآسيويين والأفريقيين والأوربيين الذين يقدون إلى كليات الجامعة الأزهرية ، بالإضافة إلى البعثات الكثيرة التي يبعثها إلى البلدان الشقيقة ، ونذكر في هذا المجال أيضاً جهود المجلس الأعلى للشئون الإسلامية في نشر المعرفة الإسلامية ، وما يبذله من المنح للطلاب المجدين . حيا الله الأزهر . . .

إن تاريخ الأزهر هو تاريخ الثقافة الإسلامية منذ القرن الرابع الهجري إلى اليوم ، وإذا كانت مصر قد وضعتها الأقدار في هذا الموقع الخطير على خريطة العالم حيث تقع مركز اتصال بين القارات ، ترسل من أشعتها الثقافية والحضارية إلى شتى أنحاء العالم شرقية وغربية ، فإن الأزهر قد نهض في هذا المكان — ولا يزال يقوم — بدور رائع عظيم الأثر في الفكر الإسلامي ، بل والفكر الإنساني ، يرسل دعاته وأنكاره في كل اتجاه ينشر العلم والمعرفة ، وقد وقف الأزهر ألف سنة أو تزيد ، يصارع الحوادث .

وضع أساس الجامع الأزهر كما ذكرنا في ١٤ من رمضان سنة ( ٨٣٥٩ - ٩٧١م ) تحت إشراف جواهر الصقلي قائد المعز لدين الله الفاطمي وتم بناؤه في سنتين ، وفتح الجامع الأزهر للصلاة لأول مرة في ٧ من رمضان ٨٣٦١ . فلم يلبث أن تحول الأزهر إلى جامعة تدرس فيها العلوم الدينية ، يجتمع فيها طلاب العلوم والفنون من كافة الأقطار . وكان الخلفاء الفاطميون حريصين على الاهتمام بهذا المعهد الكبير وتزويده بكثير من الكتب وتخصيص موارد باهظة للانفاق على طلابه الوافدين عليه ، وبقى الأزهر منذ إنشائه مسجد الدولة الفاطمية الرسمي وكان الخليفة بنفسه يؤم الناس في صلاة عيدي الفطر والأضحى التي تقام فيه ، وقام الأزهر بدور كبير في إذكاء الحركات القومية في مصر في العصور القديمة والحديثة وقد تجلت زعامته الشعبية بأروع مظاهرها أيام الحكم العثماني والاحتلال الفرنسي لمصر ( ١٧٩٨ - ١٨٠١ ) حينما تولى شيوخه وطلابه قيادة المقاومة الشعبية وتنظيمها واحتل الأزهر خلال تلك الحوادث أسمى المنضحيات .

وكان الأزهر ورجاله يغذون الثورات الوطنية بمخطبهم وكتاباتهم ويتركون أثراً فعالاً في تكوين شخصيات ثورية مثل أحمد عرابي قائد الثورة العرابية الذي تلقى علومه في الجامع الأزهر أربع سنين والسيد جمال الدين الأفغاني والسيد عمر مكرم والشيخ محمد عبده وسعد زغلول ، وغيرهم من الذين أثاروا العقول لمحاربة الجمل والظلم والعدوان . وجدير بالذكر أن الزعيم سعد زغلول قائد ثورة سنة ١٩١٩ المصرية تلقى العلم في الأزهر وقد تخرج من الأزهر قبل دراسته للحقوق ، ويعتبر سعد زغلول من المسكافحين الذين حاولوا إعادة العزة والكرامة لطبقات الشعب .

ومن أكبر ما اهتمت به الحكومة المصرية بإنشاء جامعة الأزهر الحديثة وفتح الكليات العلمية بها وكلية خاصة للبنات بشعبها المختلفة من علوم إسلامية وطب وأدب وفلسفة وعلوم . وجامعة الأزهر لا تختلف غايتها عن غاية الأزهر الشريف في تاريخه المديد إلا من تغيير الخطط وتعديل الوسائل بقدر ما تتطلبه



الحياة المتطورة ، ولن تنحرف طريقها عن طريق أبيها الجليل « الجامع الأزهر »  
فإن التاريخ الصحيح يقول إن الأزهر كانت تدرس فيه ، في أبنائه وصحونه ،  
إلى جانب التفسير والحديث والفقه والأدب علوم الفلك والهيئة والمبقات والطب  
والرياضة والحساب ، وكانت تعقد فيه حلقات العلم للنساء ، وكلية البنات الأزهرية  
هي نواة الجامعة الإسلامية للبنات ، لكي يقوم الأزهر بمختلف هيئاته ومعاهده  
وكلياته على إسداء الخير النافع العام إلى العالم الإسلامي كله .

والأزهر جزء بارز في كيان المجتمع الإسلامي ، وهو تراث مجيد يعتز به كل  
مسلم في مشارق الأرض ومغاربها ، وكان يجاهد في ميادين العلم والدين والإصلاح  
الاجتماعي والخلقي ، والسياسة في العالم العربي والإسلامي .

وإن دور الأزهر في عشرة قرون حمى العالم الإسلامي من الانهيار أمام  
جحافل الصليبيين والتتار وأمام طغاة الحكام وعدوان للمستعمرين ، كما انفرد عن  
جامعات العالم الأخرى بخصائص لم تتيسر لغيره من ميزات تربوية وثروات  
فكرية عالمية وأساليب لغرس حب البحث والدرس للطلاب وتمويدهم على الجهد  
في طلب السكال . هذا إلى ما بذل علماءؤه وطلابه من جهود في سبيل إعلاء منار  
الإسلام والمحافظة على تراثه المجيد . وقد ظل الأزهر — وسيظل — يؤدي  
رسالته على أكمل وجه ويقوم بأجل الخدمات للعالم الإسلامي في جميع العصور  
ويرسل أشعة العلم والعرفان في أقطار العالم ، ويبقى مقصد طلاب العلوم العربية  
والثقافات الإسلامية من مختلف الأمم والشعوب (١) .

---

(١) محبى الدين الألوانى : مكانة الأزهر في العالم الاسلامى — مقال بمجىر الاسلام  
( عام ١٩٦٦ ) .

أنظر أيضاً د. عبد الرحمن زكى : الأزهر وما حوله من الآثار . القاهرة ١٩٧٣ .

ولا يخفى على من يتتبع تاريخ الأزهر أن علماءه قد أسهموا في جميع المعارف والعلوم بالدرس والبحث والتأليف سواء في العلوم الدينية واللغوية وكذلك في المنطق والحساب والهندسة والجبر والفلك ، ولما بدأت النهضة العلمية في مستهل العصر الحديث لم تجد لها منبعاً إلا في رحاب الأزهر ، لقد كان معظم المبعوثين من مصر — مثلاً — إلى أوروبا من رجال الأزهر ، فلما عادوا بعد أن تخصصوا في مختلف العلوم والفنون وضعوا أسس النهضة العلمية والفنية في وادي النيل . وكان البارزون من أبناء الأزهر هم الذين وضعوا أساس النهضة الحديثة في مصر ومنهم أساتذة جامعة القاهرة وبقية المعاهد ومدرسة الألسن ومدرسة القضاء الشرعي وكلية دار العلوم وغيرها من مراكز الثقافات ودور العلم التي تفرعت من دوحة الأزهر الشريف .

# المشاهدة

في عصر الأيوبيين ( ١١٦٩ - ١٢٥٠ م )

أصبحت القاهرة الأيوبية في أخريات القرن الثاني عشر ومستهل الثالث عشر تتميز عن ذلك للعقل الفاطمي المحدود ، وأضحت تشغل مساحة قدرها عشرة أمثال ما كانت عليه ، فاحتوت على عدد كبير من المباني ذات الطابع الهندسي المستحدث ، وصارت لها قلعة تشرف عليها فوق جبل المقطم ، وكان الفضل في هذه الانجازات لصالح الدين الأيوبي وخلفائه ، غير أنه مات قبل أن يراها ، وسنقرأ ما قاله أحد كتاب سيرة هذا السلطان العظيم عن منجزاته التي ما زالت باقية بيننا .

## قلعة صلاح الدين

« كان السلطان لما ملك مصر رأى أن مصر والقاهرة لكل واحدة منها سور لا يحميها . فقال : « أن أفردت كل واحدة سوراً احتاجت إلى جند كثير يحميها وإني أرى أن أدير عليها سوراً واحداً من الشاطئ » . وأمر ببناء قلعة في الوسط عند مسجد سعد الدولة على جبل المقطم » .

وأمر صلاح الدين ببناء القلعة في عام ١١٧٧ ، فأقام على عمارتها الأمير الطواشي بهاء الدين قوة قوش الأسدي أحد أمرائه ، ولم ينقض على العمل ست سنوات حتى نقش على الباب المدرج في الجدار الغربي من القلعة النص التذكاري لبنائها وذكر فيه عام ١١٧٤ ، ومات صلاح الدين ( ١١٩٣ ) قبل أن ينتهي بناء أسوار القلعة ، فأهمل العمل مدة إلى أن كانت سلطنة الملك الكامل محمد بن الملك العادل ، فأتم البناء .



وأراد صلاح الدين أن يجعل على القاهرة الفاطمية ومصر (الفسطاط والعسكر والقطائع) والقلعة سورا واحدا يحيط المدينة الكبرى بأسرها ، فبدأ عمارة هذا السور الأيوبي (ويعتبر ثالث أسوار القاهرة عند الأثريين) عام ١١٧١ وهو يومئذ وزير الخليفة العاضد لدين الله . وفي عام ١١٧٤ انتدب بهاء الدين قره قوش الاسدي لعمل هذا السور ، فبناء بالحجارة ، وزاد في سور القاهرة الغربي الجزء الممتد من باب القنطرة إلى باب الشعرية ومنه إلى باب البحر . ومن قلعة المقس في نهاية السور الشمالى على النيل بجانب جامع المقس ، وانقطع السور من هناك (١) ثم زاد في سور القاهرة الشمالى الجزء الذى يلى باب النصر إلى برج الظفر في أقصى الشمال الشرقى للقاهرة . ومن هذا البرج الذى ما زال باقيا في مكانه إلى باب البرقية في السور الشرقى ، ومنه إلى درب بطوط وإلى خارج باب الوزير ليتصل بسور قلعة الجبل ، فانقطع العمل لوفاء صلاح الدين .

كان لبناء القلعة وامتداد السور حول القاهرة أثر كبير على امتداد العمران في القاهرة الأيوبية . ذلك لأن تركيز الادارة الحكومية ومصالح الجيش في القلعة نقل مركز ثقل المدينة إلى وسطها ، وجعل القاهرة الكبرى تنمو وتوسع من ناحيتها الجنوبية حتى كاد الاتصال يتم بين القاهرة الأولى (الفاطمية) وبين الفسطاط والعسكر والقطائع ، وبخاصة بعد إنشاء عدد كبير من المدارس الدينية بالقرب من ضريح الإمام الشافعى ، وجامع عمرو بن العاص ، وفي القاهرة الفاطمية أيضاً . كما أن امتداد السور الجديد إلى النيل من ناحية القاهرة الشمالية تيسر توسع القاهرة في ذلك الاتجاه الجديد .

---

(١) كان أمل صلاح الدين أن يمد هذا السور إلى مدينة مصر حيث كانت تجري المياه .

## ظهور أحياء جديدة

• حتى بركة الفيل

تقع بركة الفيل خارج باب زويلة فيما بين القاهرة ومصر وشمال شرق ميدان السيدة زينب اليوم ولم تكن بركة عميقة وإنما كانت تطلق على أرض زراعية يغمرها ماء النيل سنويا زمن الفيضان ، وكانت تروى من الخليج المصرى وبعد نزول الماء تزرع أصنافا شتوية وقد تحولت أراضيها تدريجيا من الزراعة إلى السكن من سنة ٦٢٠ هـ ( ١٢٢٢ م ) قبل نهاية العصر الأيوبي ، ولم يبق من أرض البركة دون بناء حتى عام ١٨٠٠ إلا قطعة أقيم عليها فيما بعد قصر الوالى عباس الأول وهى المعروفة بسرأى الحلمية وحديقتها . وفى عام ١٨٩٤ قسمت أراضي الحديقة وفى عام ١٩٠٢ هدم القصر وقسمت أراضيها ، وبيعت وعرفت فيما بعد بالحلمية الجديدة .

كانت بركة الفيل تشغل من القاهرة الحالية المنطقة التى نحمد اليوم شمالا بسكة الحبانة ، ومن الغرب بشوارع درب الجماميز واللبودية والخليج المصرى ، ومن الجنوب شارع الشيخ عبد الحميد اللبان ( سابقا مراسينا ) ، ثم يمتد الحد إلى الشمال الشرقى حتى يتقابل مع أول شارع نور الغلام ويسير فيه إلى أول شارع الألفى ، ومن الشرق تسكعة شارع نور الغلام فشارع مذهب الدين الحكيم ، فسكة عبد الرحمن بك وكلاهما فى الحلمية الجديدة ، وما فى امتدادها إلى الشمال حتى تقابل الحد البحرى (١) .

وهكذا نلاحظ أن منطقة سكنية جديدة نمت فى القاهرة على أيام الأيوبيين ، ثم ازدهرت كحتى ارستقراطية على أيام المماليك .

---

(١) محمد رمزى : تعليقات النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٣٦٦ - ٣٦٧ .

## • جبل يشكر ومناظر السكبش

يطلق اسم السكبش على الجزء الشمالى الغربى من جبل يشكر حيث المنطقة الواقعة غربى جامع ابن طولون ولا زالت هذه المنطقة تعرف إلى اليوم باسم قلعة السكبش تطل على شارع الشيخ عبد المجيد اللبان . وفى أثناء سلطنة الصالح نجم الدين أيوب أنشأ عدة قصور جميلة على هذا الجبل عرفت باسم المناظر وكانت تشرف من أعلى جبل يشكر على بركة قارون ، وبركة الفيل ، وعلى البساتين التى فى بر الخليج الغربى من المقس إلى قسم الخليج ، والتى فى بر الشرقى من باب زويلة إلى الصليبية ، كما أنها كانت تشرف على النيل وجزيرة الروضة وقلعتها ، فكانت ممتزجا جميلا يقصده الناس . وقد تأنى الملك الصالح أيوب فى بنائها . وما زالت بعد وفاة الملك نجم الدين الصالح الأيوبى من المنازل الملكية إلى أن هدمها الملك الأشرف شعبان بن حسين فى عام ٧٦٨ هـ ( ١٣٦٦ م ) ، فحسّر الناس السكبش وبنوا فيه المساكن .

## جزيرة الروضة

وفى أقصى الجنوب وفى مقابل النيل ، شيد الملك الصالح نجم الدين أيوب ( ١٢٣٩ م ) قلعة الروضة أو القلعة الصالحية وقد شرع فى حفر أساس القلعة فى يوم الجمعة ١٦ شعبان ٦٣٨ هـ . وفى عاشر ذى القعدة وقع الهدم فى الدور والقصور والمساجد التى كانت بالجزيرة ونحوها الناس من مساكنهم التى كانوا بها ، وهدم كنيسة كانت للقبط بجانب مقياس النيل وأدخلها فى القلعة التى شيد فيها الدور والقصور وعمل لها ستين برجاً ، وأقام بها جامعاً غرس بداخلها أنواراً شتى من الأشجار ، ونقل إليها عمد الصوان من المعابد القديمة ، وعمد الرخام وشحنها بالأسلحة وآلات الحرب وما يحتاج إليها من الغلال والأزواد خشية من محاصرة الفرنج ، فانهم كانوا حينئذ على عزم أن يقصدوا بلاد مصر . وذكر المقرئ أن أن مباني القلعة امتدت إلى مقياس النيل من الجهة الجنوبية . وموجز القول أن



هذه القلعة كانت تشغل مساحة من الأرض لا تقل عن ٦٥ فدانا في جنوب جزيرة الروضة . وقد سكن الملك الصالح نجم الدين هذه الجزيرة مع مماليكه وكانت عددهم ألف مملوك . بعد انتقاله من قلعة الجبل . واستمرت تلك الجزيرة عامرة حتى تولى السلطنة عز الدين أيبك فأمر بتخريب القلعة ليصير بها مدرسته المعزية التي كانت برحبة الجنة بمدينة مصر واقتدى به ذوو الجاه ، فأخذوا كثيرا من سقفها ونوافذها وغيرها ، وبيع من أخشابها ورخامها أشياء جليلة .

### القاهرة الأيوبية فيما كتبته الرحالة عنها

\* قصد القاهرة في أيامها الأيوبية ثلاثة من مشاهير الرحالة العرب الذين سجلوا لنا مشاهداتهم عن القاهرة في القرن الثاني عشر ، وهؤلاء الرحالة هم : ابن سعيد الغرناطي ( ت في الربع الأخير من القرن ١٣ م ) وابن حبير المغربي ( ١١٤٥ - ١٢١٧ ) وعبد اللطيف البغدادي ( ١١٦٢ - ١٢٣١ م ) .

\* وصف ابن سعيد القاهرة (١) بعد أن أدى فريضة الحج مع أبيه ، ثم قام برحلات طويلة في العراق والشام والحجاز وتونس وأرمينية . وقال عن القاهرة :

« .. والقاهرة هي أكثر عمارة واحتراما وحشمة من الفسطاط لأنها أجل مدارس وأضخم خانات ، وأعظم ديار اسكنى الأمراء فيها لأنها المخصوصة بالسلطنة لقرب قلعة الجبل منها . فأمر السلطنة كلها أيسر وأكثر وبها الطراز وسائر الأشياء التي تتزين بها للرجال والنساء .

وما كل أهل القاهرة الدميس والصير والصحناء والبطارخ ، وفيها جوار

---

(١) كتاب المغرب في حلمي المغرب . أتمه ابن سعيد بعد أن بدأه والده وجده من قبل . حققه جماعة من أساتذة جامعة القاهرة عام ١٩٥٠ .

طبّاخات أصل تعلّيمهن في قصور الخلفاء الفاطميين ولهن في الطبخ صناعة عجيبة .  
وفي القاهرة أزهار كثيرة وأكثر ما فيها من الثمرات والفواكه والرمان والموز  
والتفاح ، وأما الأجاص ( الكمثرى ) فقليل غال وكذلك الخوخ ، وفيها الورد  
والترجس والنسرين واللينوفر والبنفسج والياسمين والليمون الأخضر والأصفر .  
وأما العنب والتين فقليل غال وكثرة ما يعصرون العنب في أرياف النيل لا يصل  
منه إلا القليل ومع هذا فشراؤه عندهم في نهاية موسم الغلاء . .

وقد دخلت في الخليج الذي بين القاهرة ومصر ومعظم عماراته فيما يلي  
القاهرة ، فرأيت فيه من ذلك العجائب وربما وقع فيه قتل بسبب السكر فيمنع  
فيه الشرب وذلك في بعض الأحيان وهو ضيق ، عليه في الجهتين مناظر كثيرة  
العمارة بعالم الطرب والنهكم والمخالعة حتى أن المحتشمين والرؤساء لا يجيزون  
العبور به في مركب ، وللسرج في جانبه بالليل منظر فتان وفي ذلك قال ابن سعيد  
يحذر الناس من التنزه في الخليج .

أما ابن جبير فقد ولد في بلنسية بالأندلس سنة ١١٤٥م وبعد أن تلقى العلم ترك  
غرناطة مع صديق اسمه أحمد بن حسام في ٣ فبراير سنة ١١٨٢ . وفي سنته أقلت  
سفينتهما إلى الإسكندرية فوصلها في ٢٦ مارس ١١٨٣ ثم رحل عنها إلى القاهرة  
في ثالث إبريل ١١٨٣ فوصلها في اليوم السادس من الشهر المذكور . يحدّثنا ابن  
جبير عن القاهرة قائلاً عنها : « مدينة السلطان الحفيلة المتسعة ، ثم بدأ زيارة  
معالمها الرئيسية ومدارسها وآثارها ومشاهدها للباركة وأولها المشهد الذي فيه  
رأس الحسين بن علي رضي الله عنهما وهو في تابوت فضة مدقون تحت الأرض ،  
ثم قصد مشهد الإمام الشافعي ( رضه ) وبأزائه مدرسة حافلة بجوارها حسام  
ومرافق كثيرة . وشاهد أربعة جوامع حافلة بالبيان أنيقة الصنعة . وما شاهده

النفيس الذى بسداً حياته الطبية على أيام الأيوبيين ، وأحمد بن عثمان أبو العباس وأبو سليمان داود بن أبي للى ( ت ١١٨٧ ) والصيدلى أبو المنى بن أبي نصر الكوهين ويعرف بالهارونى العطار . وقد ازدهر اسمهم فى أخريات أيام الأيوبيين وأول عصر المماليك ، من مؤلفاته : منهاج الدكان ودستور الأعيان ، وتعتبر من أهم ما ألف فى العربية فى علم الصيدلة من ناحيتى العبارة والموضوع وقد نالت مؤلفاته شهرة طيبة .

\* وفى الفلك، عرف اسم الفلكى المصرى قيصر بن أبى القاسم العالم الرياضى والمهندس . ولد بأصفون من عمال قنا بصعيد مصر عام ١١٧٨ / ١١٧٩ وتوفى بدمشق عام ١٢٥١ أثناء خدمته تقي الدين محمود صاحب حماة ويعرف عنه أنه صنع كرة فلكية فى عام ١٢٢٥ م ، انتقلت إلى كاردينال بورجيا فى فللترى حتى عام ١٨٠٩ ، ثم آلت إلى متحف نابولى الوطنى حيث توجد اليوم . وقد نقش على الكرة اسم صانعها بالخط الكوفى سنة ٦٢٢ هـ ( ١٢٢٤ م ) وتعتبر ثمانية أقدم مثيلاتها فى العالم .



العلماء ، وفي أثناء إقامته بمصر كان موضع إكرام علماءها ورؤسائها وقد أطلب  
البغدادى في وصف آثار مصر ، وأعمل الفكر في بيان عظمتها ، كما وصف  
حمامات مصر وقال إنه لم يشاهد أتقن منها (وصفا) ولا أتم حكمة ولا أحسن منظراً  
ومغرباً . والواقع أن عبد اللطيف أعجب بكل ما شاهد في القاهرة من غرائب  
الأبنية ووسائل الراحة (٢) .

## العلم والعلماء أيام الأيوبيين

بعد أن انتهى صلاح الدين الأيوبي من القضاء على آثار الفاطميين الفكرية  
وبناء دولته على أسس مدعمة ، بدأ هو وأسرته يبنون سبع مدارس لدراسة علم  
الحديث في صحاح الكتب ، كالبخارى ومسلم ، أربع منها بحى الصاغية في حارة  
الصالحية المجاورة لمسجد الصالح نجم الدين أيوب بالنحاسين وبعض أجزائها باق  
حتى الآن . والثلاث الأخرى بناها بجوار مسجد الإمام الشافعى ، وكان صلاح  
الدين يتبعه في مذهبه الفقهي ويحرص على نشره في مصر . ثم أنشأ الملك الكامل  
ابن السلطان العادل مدرسة الحديث الملاصقة لمدرسة السلطان برقوق . . .  
وبذلك عادت مصر ثانية دولة سنية . . شافعية المذهب الفقهي إلى حد كبير .

• وازدهرت الحياة الأدبية في مصر فلم تخل القاهرة من الشعراء للبرين  
أمثال بهاء الدين زهير ، وجمال الدين بن مطروح ، وابن سناء الملك ، وابن البنية  
وكان بها عدد كبير من كتاب الدواوين وأشهرهم ابن الصيرفى والقاضى الفاضل  
عبد الرحيم الذى تولى رئاسة ديوان الانشاء على عهد صلاح الدين .  
ومن بين شعرائها الصوفيين — المصرى المولد والدار والوفاء ، عمر بن الفارض

---

(٢) أهم ما وصلنا من مؤلفات البغدادى كتابه الافادة والاعتبار فى الأمور المشاهدة  
والحوادث المعينة بأرض مصر .

( ١١٨١ - ١٢٣٥ ) الذى وورى التراب فى سفح المقطم ، ومن بعده ظل شعره ولا يزال مرويا يتغنى به محدثو الصوفية ، وتوافر على دراسته طائفة من كبار المستشرقين أمثال : فون هامر النمساوى ونالينو الايطالى ، ونيكلسون البريطانى الذى ترجم كثيرا من قصائده إلى الانكليزية .

\* وعن كان لهم شأن عظيم من شعراء مصر محمد بن سعيد البوصيرى ( ت ١٢٩٦ ) . وبالرغم من اعتماد شهرة هذا الشاعر إلى قصيدة واحدة هي بردة المديح المباركة ( ١٥٩ بيتا ) ، فإنه قد بذل أقرانه . وليس يخفى أن البوصيرى كان من تلاميذ أبى العباس فى التصوف .

وقضى عطاء الله الشاذلى مؤسس الطريقة الشاذلية ( ولد فى مراکش ) غالبية حياته فى مصر حيث أدركته المنية ( ١٢٥٨ م ) وفى طليعة شعراء الصوفية المصريين أيضا « ابن وفا » الذى استهل حياته فى القاهرة ( عام ١٣٥٧ م ) . كما يتسنى أن نذكر فى هذا السياق أيضا مؤلفا صوفيا هو الشعرانى أو الشعراوى الذى ولد فى قلعشندة - قرية جده لأمه ، ثم انتقل بعد أربعين يوما إلى قرية أبيه ساقية أبى شعره من أعمال المنوفية وإليها انتسب ( ٢ ) . ومما ينبغى ذكره أن مؤلفاته تربو على الخمسين ، بعضها فى تاريخ حياة طائفة من كبار الصوفية .

\* بلغ الصوفية أوج عزهم فى مصر أيام صلاح الدين الأيوبي وخلفائه ، كما يشهد بذلك العدد الوفير من الخانقات . وعلى رأسها الخانكاه الصلاحية التى ،

---

(١) هو العلامة العارف بالله محمد بن أحمد بن محمد بن النجم السكندري الاصل الفاهري المولد المالكي الشاذلى . ولد تقريبا فى سنة ٧٩٠ هـ / ١٣٨٨ م بالقاهرة ومات بالروضة ٨٥٤ هـ / ١٤٤٨ م

(٢) هو الامام العلامة عبد الوهاب بن أحمد بن على الانصارى - دخل القاهرة سنة ٩٥١ ووفى بها سنة ٩٧٣ ودفن بزاويته المعروفة بين السورين ( كتاب الشعرانى للدكتور رفيف 'طويل ، وشذرات الذهب ج ٤ ص ٨٠٩ ) .

فتحتها صلاح الدين للفقراء الصوفية الذين جاؤوا من مختلف البلاد، ورتب الأوقاف  
للازقاق عليهم . وفضلا عن هذا ، فقد لاح في سماء الشهرة نفر من كبار كتاب  
الرسائل ، ونفر غير قليل من الشعراء الذين ما فتأ الناس يعجبون بدواوينهم .  
ونذكر من بينهم : البهاء زهير المتوفى في عام ١٢٥٨ والذي نشرت مجموعة من  
قصائده مع ترجمة لها بقلم هـ . بالمر للمستشرق الكبير في سنة ١٨٧٦ (١) .

ونذكر من شعراء مصر سراج الدين الوراق ( ١٢١٨ — ١٢٩٦ ) وهو  
شاعر ملاء شعره . كثيرا من الكتب التي تعرض للنماذج الشعرية ، وقد عمل في  
الديوان المصري .

• وفي أيام الأيوبيين برزت كوكبة من الأطباء صنفوا في علوم الطب مؤلفات  
شقي . من بين هؤلاء : الطبيب رضى الدين الرحبي ( ١١٣٩ — ١١٩٣ ) الذي  
انصل بصلاح الدين وعينه طبيباً لمعالجة المرضى في قلعة الجبل والماريستان الصلاحي  
وقد ترك مؤلفين في الطب . ونذكر الطبيب إبراهيم بن الرئيس أبو المنى وهو  
ابن الرئيس موسى بن ميمون ، والعلامة جمال الدين أبو الحسن القفطى صاحب  
كتاب « أخبار العلماء بأخبار الحكماء » ( ت ١٢٤٨ ) وابن أبي أصيبعة  
( ١٢٠٣ — ١٢٧٠ ) — الطبيب الذي درس الطب في القاهرة وهو صاحب  
موسوعة عيون الأنباء في طبقات الأطباء وتشتمل على نحو أربعمائة من سير الأطباء  
العرب واليونان ، والطبيب أبو البيان بن مدور ( ت ١١٨٤ / ٨٥ ) ، وزميله  
أبو المسكارم هبة الله بن حسن جامع الذي اختاره صلاح الدين طبيباً له ، وابن

---

(١) هو الوزير الشاعر صاحب زهير بن المهلبى المولود بوادى نخله قرب مكة المكرمة  
سنة ٥٨١ هـ والمتوفى بالقاهرة سنة ٦٥٦ هـ ودفن بالرافة الصغرى بالقرب من قبة الامام الشافعى .  
راجع ترجمته فى وفيات الاعيان لابن خلكان ج ١ ص ٢٤٢ — ٢٤٥ ، وفى المنهل الصافى  
ج ٣ ص ٢٠٣ — ٢٠٨ .



ماريستان مدينة القاهرة و كان يشغل قصرأ حسناً ، ثم ذكر عدداً من المدارس التي يفتق عليها السلطان . ومن مفاخر صلاح الدين الأيوبي وآثاره الباقية لمنفعة المسلمين ، القناطر التي شرع في بنائها بغربي مصر وعلى بعد سبعة أميال منها ، وشاهد الأهرام وأبي الهول ، وجامع عمرو بن العاص ، كما تحدث عن الفسطاط والجيزة والروضة التي قال عنها « هي مجتمع اللهو والنزهة وبها مسجد جامع يخطب فيه ويتصل بهذا الجامع - المقياس الذي يعتبر فيه قدر زيادة النيل عند فيضه كل سنة .

والمعروف عن ابن جبير أنه قام برحلة ثانية إلى الشرق الإسلامي سنة ١١٨٩م استغرقت سنتين وبضعة أشهر وذلك بعد ما محمه من استيلاء صلاح الدين على بيت المقدس ( ١١٨٧ ) ثم عاد إلى غرناطة . أما رحلته الثالثة فكانت سنة ١٢١٧ حينما مر بالإسكندرية ثم استقر فيها . وبعد مدة قصيرة توفاه الله في هذا الثغر وقد جاوز الثانية والسبعين .

أما الرحلة الثالث فهو موفق الدين عبد اللطيف البغدادي ( ١١٦٢ - ١٢٣٩ ) الذي نهض برحلته فيما بين ١١٩٤ و ١٢٠٤ ويعتبر عبد اللطيف طبيباً وعلامة ورحالة . قدم إلى مصر مرتين واشتغل في المرة الثانية بالتدريس في الأزهر ، وشاهد الغلاء القاسي والقحط والوباء وجميعها أصابت مصر بين سنتي ١١٩٨ و ١٢٠١ (١) .

كان علامتنا عبد اللطيف يلقى دروسه في الطب والفلسفة والرياضيات والفلك في مسجد أوأؤ الحاحب الواقع بالقرافة ، وحظي بمقابلة طائفة من مشاهير

---

(١) هـ. زكي محمد . ختن : الرحالة المسلمون في العصور الوسطى ، ص ١٠٨ - ١١٧ حـ دار المعارف ، ١٩٤٥ ، القاهرة .



# المتاهة

في عصر المماليك (١٢٥٠ - ١٥١٧ م)

كان من آثار الرخاء التجاري على أيام المماليك وثمره لتطور مجرى نهر النيل بين الفسطاط وروض الفرج وبعض الحوادث الخارجية شرق مصر أن امتدت رقعة القاهرة من ناحية شمال القاهرة ، وكذلك غربها وفي اتجاه الجنوب أيضاً ، وتجاوز عمران القاهرة في شمالها بابي القاهرة - بابي الفتوح والنصر ، وقام حي جديد اسمه الحسينية . فلما تغلب التتار على ممالك الشرق والعراق لجأ كثير من الناس إلى مصر ، وهمروا الحسينية واتخذ بها الأمراء والمماليك أيضاً مناخات الجمال واسطبلات الخيل ومن وراثها الأسواق والمساكن ، وصار أهلها يوصفون بالحسينية لا سيما لما قدمت جماعات الأويراتية Ujar ، وهم من المغول الذين خالفوا السلطان غازان عاهل المغول في إيران ولجأوا إلى مصر في عصر السلطان زين الدين كتبغا ( ٨٠٩٥ - ١٣٩٣ م ) ، فأنعم على رئيسهم وأمرائهم وأزلهم بالحسينية . • بيد أنه لما ولي السلطان لاجين حكم مصر قبض على رئيس تلك الجماعات وفرق أفرادها بيد أن سجن زعماءها .

## طرح النيل

وفي أوائل حكم المماليك البحرية قرابة عام ١٢٥٢ م طرح النيل أرضاً جديدة حينما تقهقرت مياهه عن ساحله الشرقي ، علاوة على الطرح الثالث الذي حدث في العصر الأيوبي ، وبذلك ظهرت أرض جديدة في المساحة الواقعة بالقرب من

جاردن سیتی ( أمام السفارة البريطانية ) وعند التقاء شارعی مریث ورمسیس .  
وبذلك تحول شاطئ النيل الشرقى إلى ناحية الغرب وتنتج عن هذا التحول أن  
أضيفت إلى القاهرة المنطقة التى يمر فيها اليوم شارع محمود بسيونى ( الانتكخانة  
سابقاً ) وشوارع شامبليون ومنطقة معروف حتى شارع النمر . والجدير بالذكر أنه  
حدث طرح خامس للنيل عام ١٢٧١ فـكسبت القاهرة أرضاً جديدة فيما بين  
شارع السكر والليمون بمصر القديمة ومجرى قناطر الميساء فى فم الخليج حتى  
مستشفى قصر العينى القديم وامتدادها حتى مبنى جامعة الدول العربية وفندق  
هيلتون ودار الآثار المصرية ، وحدث بعد ذلك طرحان آخران يعرفان بالطرح  
السادس ( ١٢٨١ م ) ثم الطرح السابع ( ١٤٠٣ ) وكان هذا الأخير عند الحى  
الذى يعرف اليوم ببولاق .

#### جزيرة الروضة :

وبالإضافة إلى امتداد مساحة القاهرة كما رأينا فقد نعى العمران فى جزيرتى  
النيل : الروضة والزمالك . وذلك أنه لما تولى ملك مصر السلطان الملك الظاهر  
بيبرس ( ١٢٦٠ م ) ، فسرعان ما عني ببناء قلعة فيها وأمر أحد أمراءه بإعادة  
الأحوال فيها إلى ما كانت عليه فى أيام الصالح نجم الدين الأيوبي . فأصلح بعض  
ما تهدم فيها ووزع أبراجها على الأمراء ومنح برج الزاوية للأمير سيف الدين  
منصور قلاوون الأفي ، ووزع بقية الأبراج على كثير من الأمراء المقربين ،  
ولذلك عرفت أسرة المماليك البحرية بالمماليك البرجية ، وأمر بأن لا يغادروها  
ومن هنا اجتذبت الروضة إليها نفراً من الأهالى والباعة وأخذوا يسكنونها . بيد  
أن قلاوون بعد ما تولى السلطنة وعزم على بناء بیمارستان والقبة والمدرسة فى  
النحاسين ، نقل من قلعة الروضة جميع ما احتاج اليه من العمدة والرخام . وكذلك  
فعل ابنه الناصر محمد حينما شيد مسجده ودار العدل بالقلعة .



## جزيرة الزمالك

وفي أيام المماليك البحرية انحسر الماء عن جزيرة النيل الوسطى وهى جزيرة أروى التى ذكرها المقرئزى ( ج ٢ ص ١٨٦ ) بأنها تقع فى وسط النيل بين بولاق وبر القاهرة وجزيرة الروضة ور الجزيرة . وكان انحسار الماء عن الجزيرة حول عام ٧٠٠ هـ ( ١٣٠٠ - ١٣٠١ م ) ، فشيد الناس فيها الدور والأسواق والجوامع والطواحين ، وغرسوا فيها البساتين وحفروا فيها الآبار ، وصارت من متنزهات القاهرة ، يحف بها الماء من جميع جهاتها . وجزيرة الزمالك تعرف بالجزيرة اليوم ، من أحسن المواقع للسكنى والتنزه فى القاهرة وبها نوادى الرياضة والمستشفيات والفنادق ودور السفارات .

يتبين لنا مما سبق كيف اتسعت القاهرة من أواخر أيام الفاطميين إلى انتهاء أيام دولة المماليك ( ١٥١٧ ) . ويمكن القول بأنها حافظت على اتساعها وامتدادها على أيام العثمانيين باستثناء زيادة صغيرة كسبقتها المدينة بجوار بولاق حول عام ١١٨٥ هـ ( ١٧٧١ م ) نتيجة للطرح السابع . وفى تلك الأرض أنشأ السلطان على بك الكبير عمارة كبيرة على ساحل النيل فى ذلك الوقت حيث يمر شارع المطبعة الأميرية وذلك بسبب ما كان يلقى من الأثرية وبقايا العمارات بجوار الساحل القديم ، فطمس النيل عليها ، وبذلك تكونت الأراضى التى قامت عليها دار المطبعة الأميرية والورش الحكومية ومصلحة الواورات ( الترسانة ) .

وينبغى أن نشير إلى نقطة أخرى وهى أن أكثر ما اشتملت عليه العمار فى القاهرة التى تمتاز بحسنها الفريد ، يرجع إلى السلاطين المماليك ومع ذلك فلم يحفظ لنا الزمن شيئاً من قصورهم الفاخرة سوى بعض ما تخلف من بعض المداخل أو الشرفات . ونستطيع اليوم أن نتخيل ولو قليلاً ، ما كانت عليه العمار المملوكية

من جمال رائع ، حينما نطالع ما كتبه عنها للرجالة من خلال وصفهم لها وحينما نقرأ  
الفصول الطريفة التي دونها العلامة للقريزى فى موسوعته الفاخرة عن خطط  
القاهرة حتى القرن الخامس عشر .

وفى ظل أيام المماليك الشجعان كانت القاهرة فى خلال أكثر من قرنين  
ونصف قرن أغنى وأجمل وأفخر مدين العالم الإسلامى مكانة . يشهد بذلك  
مساجدها ومدارسها وخاناتها وحماماتها التى تعب عن حسن ذوق حكامها ومدى  
حبهم لفعل الخير . . ان لكل قرن من القرون الثالث عشر والرابع عشر  
والخامس عشر أعمالا رائعة ، لكل منها خصائصها المعمارية التى تمتاز بها . . من  
أيام السلطان قلاوون الذى شاهد عصره خاتمة الصليبيين إلى السلطان قايتباى  
( ١٤٩٤ ) والسلطان قانصوه الغورى ( ت ١٥١٧ ) الذى عاصر الخطر العثمانى  
يهدد مصر فى الوقت الذى كان يستعد لمواجهة خصمه ، ويشيد عمارته الجليلة التى  
ما زالت قائمة .

ونخص بالذكر عملا رائعا وممتازا لأنه فريد وليس له مثيل ، بالإضافة إلى  
عمار أسرة قلاوون العتيدة . . ألا وهو المدرسة — المسجد الذى بناه السلطان  
حسن بن الناصر محمد بن قلاوون ( ١٣٤٥ - ١٣٥٩ ) — فكل بقعة فى المسجد  
يترك أثرا فى النفس لضخامته ، دع عنك الجزئيات . . . فالمدخل الشاهق يعلو  
مع ارتفاع المسجد جميعه . . وهذا للصحن الداخلى يحيط به أربعة إيوانات رائعة ،  
وكان المسجد جميعه محلى باطراف وأرق ماصنعه الإنسان من النحاس والزجاج  
المطلى بالمينا مما لا يزال يشاهد بعضه فى متحف الفن الإسلامى بالقاهرة .

لنتخيل شارعاً رئيسياً فى القاهرة فى أيام المماليك — تلك الشوارع المسكنة  
بالحركة أثناء النهار والليل يتدافع فيه جمهور من جنسيات متنوعة ولنبأخذ الشارع

الأعظم الذى يشق القاهرة باب الفتوح إلى باب زويلة ثم يمتد إلى شارع المغربلين  
والصلبية إلى حى بن طولون .. ونتجه منه إلى ضريح السيدة نقيسة .. ولا شك  
أنه بمثابة العمود الفقرى للقاهرة وتمتد على جانبيه بوابات شاهقة وحواليات صغيرة  
تكشف عن محتوياتها .. والشارع يسوده الاضطراب ، فالبيوت تبدو وكأنها  
أقيمت دون نظام وبالرغم من أن الشارع مستقيم فى اتجاهه العام، إلا أنه ينحني بطريقة  
لا تلاحظ ، ونظرا لكثرة المساجد فى هذا الطريق الهام ، فهناك دائما مأذنة على  
هرمى البصره وقال أحد الرحالة الأوربيين ، أنه لو جمعت مساجد القاهرة فى مكان  
واحد ، لكونت مدينة فى حجم مدينة أورليان (١) وقد وجد الأوروبيون الذين  
حيرتهم شدة ازدحام السكان ، أنه من المستحيل الحصول على تفصيلات دقيقة ،  
فكتب أحدهم فى سنة ١٣٢٢م : فى اعتقادى ، طالما ليس هناك تقدير أصح — أن  
القاهرة تبلغ ضعف حجم باريس وأربعة أضعاف عدد سكانها ، وحتى إذا اقترحت  
عددا أكبر ، فهو أقل من الحقيقة

## ابن بطوطة ومجتمع القاهرة

• ولدينا صورة واضحة للمجتمع القاهري فى أدونه رحالته المغربى محمد بن  
عبد الله المعروف بابن بطوطة الذى جاب العالم عدة مرات وزار مصر وأقام  
بالاسكندرية والقاهرة وكان ذلك فى عام ١٣٢٦ م . قال ابن بطوطة الذى عرف  
بمطرافه الملاحظة عن القاهرة ما يأتى : (٢)

... ثم وصلت إلى مدينة مصر، وهى أم البلاد، وقرارة فرعون ذات الأوتاد

---

(١) جاستون فييت وترجمة الدكتور مصطفى العبادى : القاهرة مدينة الفن والتجارة  
ص ١١٧ - ١٢٥ ، بيروت. Garston Wiet, Cairo City of Art and Commerce

(٢) رحلة ابن بطوطة ص ٣٦ .



ذات الأقاليم العريضة المتناهية في كثرة العمارات ، المتباهية بالحسن والنضارة ، مجمع الوارد والصادر ومحط رحل الضعيف والقادر ، وبها ما شئت من عالم - وجاهل ، وجاد وهازل ، وحليم وسفيه ومنسكر ومعروف تموج موج البحر بسكانها ، وتكاد تضيق بهم على سعة مكانها وامكانها .

## الرحالة البلوى وماريستان القاهرة

• وبعد سنوات قلائل زار القاهرة خالد بن عيسى البلوى في أيام السلطان الناصر محمد بن قلاوون وكان من كبار القضاة بالآندلس ، وصف رحلته باسم « تاج المفرق في تحلية أهل المشرق » ( ت ٧٣٦ هـ / ١٣٣٦ م ) قال البلوى (١) « أخبرني الإمام شمس الدين السركي . قال : أحصيت الجمال الداخلة إلى القاهرة بالماء في كل يوم فبلغت مائتي ألف جبل ، ماعدا البغال ، وأحصيت دكاكين السقائين للعدة للسقي بالقاهرة ، فبلغت ستين ألف دكان ماعدا السقائين الذين بالأكواز والأكواب في الأسواق والطرق . . ولو لم يكن في القاهرة ما تذكر به إلا المارستان وحده ما كفاها ، وهو قصر عظيم من القصور الرائعة حسنا وجمالا واتساعا ، لم يعهد مثله في قطر من الأقطار أحسن بناء ولا أبدع انشاء ولا أكل انتهاء في الحسن والجمال . . وقد وصف البلوى ، شاهد القاهرة ومسجد السيدة رقية ومقبرة زيد بن الحسين ، والقرافة ، وسود أسماء بعض العلماء الذين قابلهم أو قرأ عليهم .

لم يكن يذهب أحد للسير في الشوارع الرئيسية بقصد النزهة وإنما يذهب إليها الناس لقضاء حاجاتهم ، ولا يستطيع واحد أن يسير دون أن يتدافعه ذلك الجمهور المزدهم الصاخب . . أما الشوارع الصغيرة الضيقة فقد أوجز لنا سيمون سيمونيس ( الذي كتب وصفا لما شاهدته سنة ١٣٢٢ ) ، ويقول : نجد في شوارع المدينة المظلمة

---

(١) خير الدين الزركلي : الأعلام ، ج ٢ ص ٣٣٩ .

الملتوية كثيراً من الأركان والمنحنيات ، وهى ملبئة بالغبار وغيره من القمامة وغير.  
مرصوفة وتزدحم شوارعها المهامة بمجهور صاحب ولا ينتقل الإنسان من شارع  
إلى آخر إلا بمشقة كبيرة .

ثم يحدثنا اللورخ ابن أياس<sup>(١)</sup> للمصرى أنه فى مايو سنة ١٤٧٧ ، صدر أمر  
بتوسيع طوقات القاهرة وأزقتها وصدر أمر بهدم جميع المباني التى أقيمت دون  
طريق شرعية فى الأسواق والشوارع ، مثل كثير من المباني التى كانت تدر  
دخلا ، والسقائف والمصاطب ، وكانت عملية توسيع الطرقات ذات نفع للمدينة  
ولكن كثيرين من الأفراد تحملوا خسائر جسيمة لإزالة حوانيتهم ومخازنهم ،  
لأسيما تلك التى كانت تقع عند الطرق الرئيسية ، ومع ذلك فقد نفذت الحكومة  
فأيتها ، كما أصلحت أبواب المساجد ، وقامت بتنظيف رخامها وتبييض جدرانها ،  
وأعادت تجميل وجوه الرباع المطلة على الطرق . . فاستعادت المدينة جمالها السابق  
وغدت رائعة . . وكان ذلك فى نهاية القرن الخامس عشر .

## ابن خلدون وحضارة القاهرة

وكتب ابن خلدون<sup>(٢)</sup> الفيلسوف العربى الذى وفد على مصر وقضى بها بقية  
حياته واستكمل فيها مؤلفاته (١٣٨٢ — ١٤٠٦) وصف القاهرة فى عبارة  
شاملة بقوله : « من لم ير القاهرة لم يعرف عز الإسلام فهى حاضرة الدنيا وبستان  
العالم ومحشر الأمم ، ومدرج الدر من البشر ، وإيوان الإسلام وكبرى الملك ،

---

(١) بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، ج ٢ ص ١٧١ ١٧٧

(٢) التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا — تحقيق الاستاذ محمد بن تاووت الطنجى

لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة سنة ١٩٥١ .

تلوح القصور والأواوين في وجوهه ، وتزهر الحوانك والمدارس بآفاقه ، وتضيء  
البدور والكواكب من علمائه ، قد مثل بشاطئ بحر النيل نهر الجنة ، ومدفع مياه  
السماء ، ويحيى إليهم الثمرات والخيرات ثجته وأسواقها تزخر بالنعم . . . » .

وتناول فيلسوفنا العظيم في مقدمته المشهورة — أحوال العلم والعلماء في القاهرة  
فقال : . . . ونحن نرى أن العلم والتعليم إنما هو بالقاهرة من بلاد مصر كما أن  
عمرانها مستبحر وحضارتها مستحكمة منذ آلاف من السنين ، فاستحكمت فيها  
الصنائع وتفتت ومن جملتها تعلم العلم وأكد ذلك فيها وحفظه ما وقع لهذه العصور  
بها منذ مائتين من السنين في دولة الترك من أيام صلاح الدين أيوب وهلم جرا ،  
واستكثر أمراء الترك من بناء المدارس والزوايا والربط ووقفوا عليها الأوقاف  
المغلة يجعلون فيها شركاء لولدتهم ينظر عليها أو نصيب منها مع ما فيهم غالباً من  
الجنوح إلى الخير . .

فكثرت الأوقاف لذلك وكثر طالب العلم ومعلمه بكثرة جراتهم ، وارتحل  
إليها الناس في طلب العلم من العراق والمغرب ونفقت بها أسواق العلوم وزخرت  
بجارها ، والله يخلق ما يشاء (١) ويواصل ابن خلدون كلامه حتى يقول :

لما درست معالم بغداد بدروس الخلافة فانتقل شأنها من الخط والكتاب بل  
والعلم إلى مصر والقاهرة ، فلم تزل أسواقها بها نافعة لهذا العهد وله بها معلمون  
يرسمون لتعليم الحروف بقوانين في وضعها وأشكالها متعارفه بينهم فلا يلبث المتعلم  
أن يحكم أشكال تلك الحروف على تلك الأوضاع وقد لقنها حسناً وحذق فيها  
دربه وكتابة وأخذها قوانين علمية فتجىء أحسن ما يكون . . لقد بلغت الحضارة

---

(١) كان ابن خلدون يصف القاهرة اليوم .



فبلغا عظيمًا في العراق والشام ومصر لطول آماد الدول فيها فاستحكمت فيها الصنائع وكملت جميع أصنافها على الاستجادة والتنميق وبقيت صينتها ثابتة في ذلك العمران لا تفارقه إلى أن ينتقض بالسكينة حال الصبغ إذا رسخ في الثوب .

وفي أواخر القرن الخامس عشر ، وبالتحديد في المدة بين نوفمبر سنة ١٤٩٦ وأكتوبر ١٤٩٨ وفد على القاهرة الفارس الألماني أرنولد فون هارف Arnold von Harf الرحالة وهو في طريقه إلى بيت المقدس ، وفي أثناء ذلك تعرف الفارس على شخصين ألمانيين ، ساعداً كثيراً في جولاته بالقاهرة واستطاع فون هارف أن يحصل على إذن من سلطان مصر الناصر محمد بن قايتمباي (١٤٩٦ - ١٤٩٨) ليسافر من مصر إلى فلسطين والشام وغيرها من البلاد التي كانت تابعة لمصر واهتم السلطان بأمره ودعاه للتحديث إليه بالقلعة . ولذلك تقرأ له في كتاب رحلته ما شاهده فيها من القصور والدور ومدرسة الماليك وكان بها خمسمائة مملوك من الفتية يتدربون على الفروسية ويتعلمون القراءة والكتابة . وتحدث لنا الفارس عن بعض شوارع القاهرة الرئيسية ، وقال إن عددها ٢٤ شارعاً . أما الطرق الأخرى الصغيرة فتعد بالآلاف ، وقال إنه شاهد في كل شارع طبياخ ونخبزان أو أكثر حسب امتداد الشارع ، ولاحظ أن معظم الناس لا يطبخون الطعام في بيوتهم . بل يحصلون عليه جاهزاً من المطابخ العامة ، ويبيع الدجاج المسلوق أو المحمر بكثرة في الطرقات ، كما أن الناس يأكلون الكثير من لحم الضأن والجل وذكّر الفارس أن بالقاهرة حمامات للرجال وللنساء كما تحدث عن المساجد والكنائس والمدارس والأهرام وأضرحة السلاطين ، والأسواق وتقاليد المجتمع في الحدايق والمواسم والأعياد .

وفي عام ١٥٠٢ زار القاهرة رحالة أوربي غير معروف لنا تماماً ، اسمه  
لودوفيكو دي فرثيما ( Ludovico di Varthema ) خابت ظنونه عن المدينة ،  
فقد كان يظنها أكبر بكثير مما وجدها عليه ، فيقول إن محيطها لا يزيد عن محيط  
روما بالرغم عن أن سكان القاهرة أكثر بكثير (١) .

ومنذ ذلك الحين لا يقابلنا في القاهرة واحداً من الرحالة المشهورين حتى عام  
١٥١٧ وكان قد تم للعثمانيين فتح مصر ، فكان أول القادمين الرحالة الحسن بن  
محمد الوزان المشهور باسم ليون الأفريقي Lion Africans ، وسنقرأ ما كتبه عن  
القاهرة حينما نتحدث عن القاهرة العثمانية .

### المنشآت الدينية في القاهرة

ونتحدث الآن عما احتوته القاهرة عامة من المنشآت الدينية والربط والمدارس  
والزوايا والدور العظيمة والمسكن الجليل والمناظر البهجة والقصور الشاذة  
والحمامات الفاخرة والقياسر المعمورة بأصناف السلع والأسواق المسكدة بما  
تشتهى الأنف والحنانات المشحونة بالقادمين والفنادق المختلطة بالرحالة والتجار  
والغامرين مما لا يمكن حصره ، بل يمكن وصفه بأنه مجموعة من متاحف العمارة  
والأنثروبولوجي والفنون التشكيلية الجذابة .

وقد ذكر لنا الطبيب عبد اللطيف البغدادي ( القرن الثاني عشر ) وصفاً  
شائقاً عن حمامات القاهرة تناولنا نبذة منه والواقع أنه أكد بأنه لم يشاهد في  
البلاد الأخرى التي زارها أرقن منها ولا أحسن منظراً ومخيراً .

---

(١) بعد إتمامه رحلة القاهرة قصد لودفيكو الجزيرة العربية ووصف رحلته في كتابه  
Itinerario L. de Varthema ne le Egypto, no le ...

وأما الزوايا الكثيرة وتسمى بالقاهرة « الخواثق » جمع (خانقاه) فكان  
الأمراء يتنافسون في بنائها وكل خانقاه معينة لطائفة من الفقراء وهم أهل أدب  
ومعرفة بالتصوف ولكل خانقاه شيخ وحارس وكان يقدم الطعام بالجمان كالسكن  
لبن يأوون إليها ولهم كسوة الشتاء وكسوة الصيف ومرتب شهري من ثلاثين درهما  
للواحد في الشهر إلى عشرين ولهم الحلوى من السكر في كل ليلة جمعة والصايبون  
لغسل أثوابهم والأجرة لدخول الحمام والزيت للاستصباح وهم أعزب والمعتز وجين  
زوايا على حدة (١) .

#### الأسبلة

ومنذ القرن الرابع عشر عني ببناء الأسبلة التي تمتد الحارة بماء الشرب وماء  
الوضوء ، وكان يقوم على تزويدها سقاءون ، وبما قاله واحد من الرحالة الأوربيين  
في نهاية القرن الرابع عشر : « إن كثرة الأسبلة الموجودة في المدينة لدليل  
على رقيها » .

وفي القرن الخامس عشر ، لم يبق في القاهرة متسع كاف من الأرض الفضاء  
سوى القليل ، ومن هنا كان من الضروري أن يصغر حجم المساجد والمباني  
العامة التي شيدت عن سابقاتها في القرنين الثاني عشر والثالث عشر — على سبيل  
المثال ، كما أزيل منها الفضاء المكشوف الأوسط . أما المدارس فقد تماثرت في  
أنحاء المدينة بشكل يدعو إلى الدهشة .

#### رأى للمقرئ

ومن الجدير بالذكر أن المؤرخ المقرئ الذي يتبوأ ثبت المؤلفين عن القاهرة

---

(١) جاستون فييت . القاهرة مدينة الفن والتجارة ترجمة وتحقيق م . العبادي ص ١٩٥ / ١٩٩ .



في العصور الوسطى ، قسم سكان مصر إلى فئات سبع ، تشمل على (١) .

١ — رجال الدولة وجندها وهم المماليك سادة الطبقة الممتازة .

٢ — أثرياء التجار ممن سعد حظهم .

٣ — الباعة مثل تجار الأقمشة وأصحاب المطابخ والخوانيت في الأسواق ( صغار الطبقة المتوسطة ) .

٤ — أهل الفلاحة والزرع ( أهل القرى والريف ) .

٥ — رجال الدين والعلمين وطلاب العلم وفيهم القضاة .

٦ — كتاب المملسكة ورجال الشرطة .

٧ أصحاب الحرف والصناعات والعمال والفلاحين والنساجين والبنائين وغيرهم من فئات العمل المختلفين ، ويتبعهم فقراء الشحاذين والبؤساء من الطبقة الدنيا بالمجتمع .

### تطور أخطاط القاهرة

واشتملت القاهرة على أحياء كثيرة ( أخطاطا ) يفصلها عن بعضها البوابات الخشبية الضخمة التي كانت توصل على سكان الحى بعد غروب الشمس وأهم تلك الأخطاط كما ذكرها المقرئى . خط خان الوراق ، وخط باب القنطرة ، وخط بين السورين ، وخط السكافور ، وخط الخرنفش ، وخط بين القصرين الذى كان من أعمار أخطاط القاهرة ، وخط الخشبية ، وخط البندقانيين ، وخط دار الديباج ، وكان فيها دار الوزير الفاطمى يعقوب بن ، كلس ، تلك التى عملت دار

ينسج فيها الديباج والحرير للخلفاء الفاطميين . وقد وصف المقرئ في موسوعته ٣٧ حياً أو حارة وثلاثين خطاً و ٦٥ شارفاً أو دربا و ٢١ زفاقا وخوخة و ٤٩ رحية ( ميدان ) ، و ٥٠ سوقاً و ٢٣ قيسارية و ١١ خاناً أو فندقاً أو وكالة و ١١ ميداناً للسباق و ٥٥ قصرأ وداراً و ٤٤ حماماً و ١٨ بيتاناً وغيرها . ومن أهم الرحاب : رحية باب العيد و رحية قصر الشوك ، و رحية الأزهر و رحية باب اللوق والناصرية . وكثرت عدد القناطر عبر خليج القاهرة الذي امتد من جنوب المدينة إلى شمالها الشرقي .

ومن أهمها قنطرة السد ، وعمر شاه ، وقنطرة الفخر ، وقنطرة المقسى .

#### أسواق القاهرة وأضرحتها

يذكر المقرئ كثيراً من الأسواق المسقوفة وكان يوجد فيها في وقت ما اثنتي عشرة وثلاثين ، لم يبق منها اليوم سوى واحدة صغيرة وقد اختصت هذه الأسواق ببيع جميع أنواع المنسوجات الصوفية والحريرية والقطنية والسكتانية ، ولا زال اصحاب سوق العنبر وسوق العصفري يدلان على نوع سلعهما . ومن الأسواق الأخرى ما ضمت صناعات الأخفاف والجلود والسلاح وأدوات الخيل ، وذكر المقرئ أيضاً أنه كان بالقاهرة في منتصف القرن الخامس عشر تسعة عشر فندقاً تستقبل التجار الوافدين من الشرق والغرب .

#### المقابر « القرافات »

لم يبق إلا أن نتحدث عن مدائن القاهرة في عصورها الوسيطة ، فقد كان يقع معظمها في شرقها وجنوبها . تحدث ابن بطوطة عنها في رحلته فقال : « وهم ( القاهريون ) يبنون في القاهرة القباب الحسنة ويعملون عليها الحيطان فتكون

كالدور ويشئون بها البيوت ويرتبون القراء ليلاً ونهاراً ، ومنهم من يبنى الزاوية والمدرسة إلى جانب التربة ، ويخرجون في كل ليلة جمعة إليها المبيت فيها مع أولادهم ونسائهم .

وقد وصف القرافات القاهرية كثير من الرحالين الأوربيين ، منهم ييلوتي Emmanuel Poirot ( ١٤٢٠ ) ، ويريد نباخ Brydenbach ( ١٤٨٣ ) . وهناك تقع في شمال شرق القاهرة مجموعة رائعة من أضرحة Mausoleum سلاطين المماليك وأمرائهم وقبورهم وبعض مدارسهم ، تتنافس كل واحدة منها مع الأخرى في جمال قبابها وعموم مآذنها وفخامة عمارتها ، وجميعها تتألف فيها نماذج للمهارة الإسلامية نادرة المثال وأهمها مجموعة السلطان فرج بن برقوق والسلطان إينال والأمير أرقس ، وضريح السلطان الأشرف قايتباي العظيم .

## مجتمع العلماء في القاهرة المماليك

لا تشمل حضارة مصر المملوكية بتلك العماثر الخالدة المرصعة بشتى الفنون والتي تنتثر في القاهرة حتى اليوم ، من المساجد والمدارس والخانات والوكالات والحمامات والأسبلة وغيرها ، بل تشمل أيضاً فيما خلفه علماء وأدباء ومؤرخو تلك الفترة الزاهرة من التراث الفكرى فى الأبحاث والمؤلفات فى شتى ألوان العلوم والفنون . فى الطب ، يفابلنا العالم الجليل على بن أبى الحزم المشهور بابن النفيس ( ١٢١٠ — ١٢٨٨ م ) والذي لمع اسمه فى مارىستان المنصور قلاوون بالقاهرة ، وألف فى الطب ، مالا يقل عن أربعة عشر كتاباً ، من أهمها « كتاب الشامل فى الطب » وهو موسوعة ضخمة تضاهى كتاب الحاوى لتاج الأطباء الرازى . وقد اهتدى هذا الطبيب المصرى إلى حقيقة الدورة الدموية الصغرى —



دورة الدم من البطين الأيمن في القلب إلى الرئتين ثم إلى البطين الأيسر قبل أن  
يكشفها الأوربيان ميشيل سرفتس ( ١٥١١-١٥٥٣ ) ، وريالو كولومبوس سنة  
١٥٥٩ ، فسبقها إلى ذلك بقراءة ثلاثة قرون .

• ومن أئمة أطباء العيون في أيام المماليك البحرية ، صدقة بن إبراهيم المصري  
الذي عاش في مصر خلال النصف الثاني من القرن الرابع عشر وألف كتابا وافيا  
عن مرض الرمد عنوانه : كتاب العمدة الكحلية في الأمراض البصرية وقد اتبع  
فيه منهجا علميا مازال اليوم يتبعه الأطباء المحدثون .

• وفي هذا العصر لمع شهاب الدين أبو العباس أحمد . ولد بالهنسا بالقرب  
من بني مزار ومات بالقرب من للمعادي حوالي عام ١٢٨٥م اشتهر برسائله العلمية  
« كتاب الاستبصار فيما تدركه الأبصار » التي كتبها تلبية لرغبة السلطان السكامل  
ليبعث بها إلى الامبراطور فردريك قبل عام ١٢٣٩ وقد تحدث فيها عن قوس  
القرح ، وكانت أولى الرسائل التي ألقت في هذا الموضوع الفيزيقي الهام (١)

• ونذكر أيضا من أطباء مصر المملوكية : أمين الدولة يعقوب بن اسحق  
بن القنف ( ت حوالي ١٢٨٦ ) ، والطبيب سعيد بن منصور بن سعد المشهور  
باسم ابن كونه الاسرائيلي ، وهو فيلسوف وطبيب وكيميائي ، اعتنق الإسلام  
وألف رسائل في الحكمة ، كما كتب رسالة قابل فيها بين الإسلام واليهودية  
والنصرانية ، وجعل عنوانها « تنقيح الأبحاث في البحث عن الملل الثلاث » ،  
ولمع أيضا شهاب الدين أحمد بن للغربي رئيس الأطباء في مصر والشام ،

---

(١) Aydin, m. Sayili : al Qarafi and his explanation of the  
Rainbow. Izis 32, p. 16 - 26.

Sarton, G : Introduction to the History of Science; أنظر أيضا  
vol II, Part II, 1. 1099.

قدم مصر واستوطنها وباشر فُحص للرضى وأحسن العلاج وهو والد الطبيب جمال الدين ابراهيم رئيس الأطباء عند الملك الناصر محمد بن قلاوون . ونذكر أيضا محمد بن ابراهيم المعروف بابن الدهتان الجرائحي ألمع أطباء العصر المملوكي ، وقد مهر طبيا وفلسوفا وتحدث في الكيمياء وصحح أقوال بعض المتقدمين في كثير من مسائلها وتوفاه الله عام ١٣٤٢ م :

• ونبغ طبيب العيون وعالم الأحجار الكريمة شمس الدين بن محمد الشهير بابن الأكفاني ويعتبره كثيرون خاتمة أطباء العيون الحاذقين في عصر المماليك وقد توفاه الله عام ١٣٤٨ م . عمل طبيا ومشيرا لناظر يهاستان قلاوون وقد ألف ابن الأكفاني كتابا شتى ، منها : إرشاد القاصد إلى أهمي المقاصد و « غنية الطبيب عند غيبة الطبيب » و « نخب الدخائر في معرفة أحوال الجواهر إلخ . . » . والطبيب محمد بن اسماعيل أبو الوفا الذي نشأ بالقاهرة وصار من ذوى السمعة في ماريستان قلاوون وقد توفي عام ١٤٢٧ ، والطبيب سراج الدين عمر بن منصور البهادري ( ١٣٦٠ — ١٤٣١ ) الذي زاول الطب في ماريستان قلاوون وجامع ابن طولون . وكان من أبرز تلاميذه طبيب العيون تاج الدين عبد الوهاب بن شمس الدين الشناوى ( ١٣٦٤ — ١٤٤٢ ) .

• ومارستان المنصور قلاوون من أعظم منشآت السلطان المنصور قلاوون حيث كان يعمل أبرع الأطباء الذين عرفتهم مصر المملوكية . وبسدىء في بنائه في أول ربيع الثانى سنة ٦٨٣ هـ ( ١٢٨٤ م ) وتم انشاؤه في قرابة ثمانية أشهر وبعد الانتهاء من بنائه قال السلطان قلاوون :

« إني بنية لوجه الله لمعالجة المرضى من جميع الطبقات والأجناس ممن هو مثلى أو دونى ، للغنى وللفقير ، وللحر والعبد ، للذكور والإناث » . وحينما زار الرحالة ابن بطوطة مصر في عام ٧٢٧ هـ ( ١٣٢٧ ) ، شاهد المارستان ، وذكر

عنه : ... « أما المارستان الذى بين القصرين عند تربة الملك المنصور قلاوون ،  
فيعجز الواصف عن ذكر محاسنه ، وقد أعد فيه من المرافق والأدوية  
مالاً يحصى » .

• وفى العصر المملوكى ، نبغت طائفة من علماء الفلك ، منهم أبو زكريا يحيى  
المعروف بابن اللبодى ( ت بعد ١٢٦٧ م ) وكان رياضياً وحساباً ، والفلكى  
أبو عبدالله محمد بن أحمد المزى ( ت ١٣٤٩ ) وقد صنع عدة أسطرلابات ،  
منها واحدة فى مكتبة ليننجراد ، كما أنه ألف عدة رسائل . ويقابلنا بعده الفلكى  
شهاب الدين أبو العباس أحمد ، وقد ذكر له العلامة الألمانية بروكلمان  
Brockelmann ستة وعشرين كتاباً ورسالة ، ومن المحتمل أن بعضها ذكر  
مكرراً . ومن علماء الرياضيات تقي الدين الحنبلى بن عز الدين الذى عاش  
حوالى ١٣٠٩ . وقد كتب رسالتين فى الحساب ومخطوطة إحداها فى دار الكتب  
الوطنية فى باريس ورقها ٢٤٦٩ وتاريخها ١٠/١٤٠٩ ، ومعاصره عالم الحساب ،  
شهاب الدين أبو العباس أحمد بن الهائم ( ١٣٥٢ — ١٤١٢ ) وله رسائل كثيرة .

وفى منتصف القرن التاسع عشر ، أثبتت بحوث العالمين رينو وفافيه  
( Renaud and Fave ) وغيرها أن العرب هم الذين اخترعوا بارود المدفع  
السهل الانفجار الدافع للقذائف ، وكان من رأى هذين العالمين من قبل أن  
اختراع البارود يعود إلى أهل الصين . بيد أنهما بعد اطلاعهما على مخطوط نجم  
الدين حسن الرماح المصرى الذى عاش فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر ،  
وعنوانه كتاب الفروسية والمناصب الحربية وتوجد مخطوطة بنسختها بدار الكتب  
الوطنية فى باريس ، أثبتنا أن كشف البارود واستخدامه يعود دون شك إلى نجم  
الدين حسن الرماح المصرى الشامى . والمعروف أن عالم النبات ابن البيطار  
( ١٢٤٨ ) مؤلف كتاب « الجامع لفردات الأدوية والأغذية » كان أول عربى



ذكر في كتابه كلمة « بارود » مرتين . والجدير بالذكر أن النص السيميائي لتكوين البارود كما ورد في مخطوط حسن الرياح وصف الذخيرة التي تدك في المدفع (١) ويان نسبتها : عشرة دراهم من البارود ، ودرهمان من الفحم ( Charcoal ) ودرهم ونصف درهم من الكبريت .

## علماء في علوم الحضارة

• يقابلنا العالم اللغوي عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب (١١٧٥-١٢٤٨) ونقدمه دليلا على ما أسهم به علماء مصر في اللغة العربية . ألف « الكافي » في قواعد اللغة وكان مرجعا هاما للطلاب والمنعلمين في المدارس .

• وكان العلامة عبد الله يوسف بن هشام النحوي (١٣٠٨ - ١٣٦٠) وأستاذ دراسات القرآن في القاهرة من علماء اللغة ، كما اشتهر في هذا الحقل العلامة محمد بن أبي بكر الدماميني (١٣٦١ - ١٤٢٤) المولود بالاسكندرية والمتوفى بالهند .

• ونلقى جلال الدين السيوطي - وهو من أهالي أسوط في مصر العليا ، علما من أعلام الفكر تولى عدة وظائف عامة في القاهرة ، ثم ركن إلى جزيرة الروضة متقاعدًا عن العمل حينما أعفى من الوظائف التي كان يتولاها . وحاش للسيوطي ستين سنة بين عامي ١٤٤٥ - ١٥٠٥ م . ومن الصعب أن نجد علما من علوم المسلمين لم يجر فيه قلم السيوطي بالتأليف والتصحيح والإيضاح . وقد ذكر « بروكيلمان » المستشرق الألماني ثلاثمائة وثلاثة وثلاثين مؤلفا للسيوطي . وقد يكون هذا الثابت الذي أتى عليه بروكيلمان يفتقر إلى الدقة .

---

(١) جوستاف لوبون : حضارة العرب (Justav Le Bon) ط . الرابعة ص ٤٨١ .

يبد أن الشيء الذى لامرية فيه هو أنه لا يوجد مؤلف آخر فى العربية له ما للسيوطى من مؤلفات وأبحاث .

على أننا فى مثل هذا الكتاب ، لا يتسنى لنا أن نقف ازاء كل من تصدر من المصريين فى علوم اللغة والشعر أو الطب والكيمياء أو الهندسة والفلك ، لنستحدث عن تاريخ حياته ومؤلفاته . فلهذه الميادين مراجعها المستفيضة ، ولكن لا ندع هذا العرض دون أن نذكر فى إلمامة سريعة ألمع الأسماء ، ولعله يتيسر منها أن ندرك صورة صحيحة للحياة الفكرية والعلمية فى مصر أثناء حكم المماليك نظراً لأهمية الدور الذى لعبته البلاد فى بناء حضارة الإسلام .

• ها هو ذا العالم العلامة محمد بن موسى بن كمال الدين الدميرى الأصل القاهرى الشافعى — المولود حوالى سنة ٧٤٢ هـ — ١٣٤٤ م بالقاهرة ( توفى سنة ٨٠٨ — ١٤٠٥ م ) مؤلف الموسوعة العربية الكبرى فى علم الحيوان ( حياة الحيوان الكبرى ) ، والكيميائى الجلداكى — مثله مثل الدميرى — قاهرى — اشتهر بدراساته فى علم الكيمياء ( توفى عام ١٣٦١ ) والنواحى ( ت ١٤٥٥ ) صاحب مؤلف فى التحاليل الطبية ، وابن سيد الناس ( ت ١٣٥٤ ) واشتهر بسفره فى حياة النبي وتاج الدين السبكي ( ت ١٣٥٥ ) الذى عاصر اثنى عشر من السلاطين المماليك . وهو مصلح مصرى لس نواحى الضنف فى الحكومة وفى طبقات الأمة لذلك العهد فتصدى لنقدها بصراحة وجرأة تدهوان إلى الاعجاب ، ثم وصف وسائل الاصلاح .

وبرز من رجال الشريعة على المذهب الحنفى ابن نجيم المصرى ( ت ١٧٦٣ ) والدمرطاشى ( ت ١٧٩٧ ) — ومن الشافعية البلقينى ( ت ١٤٠٣ ) وزكريا الأنصارى ( ت ١٧٦٣ ) والدمرطاشى ( ت ١٦٧٩ ) الذى اشتهر فوق دراية بالشريعة بعلوم اللغة والشعر .

وقد لعبت مصر دورا هاما في تاريخ ناحية من الأدب العربي من المتعذر أن يفكر فيها أديب عربي . وينوء بها كتاب الغرب في مقدمة مؤلفاتهم في الأدب العربي . هذه الناحية هي الأدب القصصى الخيالى . وأظهر ما كتب فيه هو كتاب « ألف ليلة وليلة » ، كما توجد مجموعة طيبة أخرى من هذا القصص الروائى لها قيمتها التأليفية . وعلة تقديم كتاب ألف ليلة وليلة عليها هي أن للمستشرقين في بلاد الغرب لم يعنوا إلا بترجمة ألف ليلة ، فقد كان في وسعهم بسبب احتوائه على مجموعة من القصص أن يترجموا أجزاء منها تعتبر في حد ذاتها كتابا كاملا — وأشهر هذه القصص : عنتره العيسى — أبو زيد الهلالي — الظاهر بيبرس — وغيرها .

وكان من القصص في فترة ما ، من أهم مظاهر الحياة الاجتماعية في مصر . كما يبدو أن الراوية أو القصص الذى يسامر الناس فى المقاهى قاصدا عليهم تاريخ حياة عنتره أو أبى زيد لم يعد له وجود فى المدن الكبرى . بيد أن الشيء الذى لا مراء فيه أنه كان لهذا أثره فى خلق جو من كتاب القصة المصرية الصميمة تبدى بوادرها فى صورة طيبة الآن . نذكر منهم توفيق الحكيم ومحمود تيمور والسحار وبا كثير ويوسف السباعى ونجيب محفوظ .

كانت مصر والشام مهد المعلومات والمجاميع الإسلامية . فإن معظم الذين ألفوا الكتب الجامعة للموضوعات المختلفة ، كانوا من المصريين أو كانوا من الشاميين فى عصر اتحاد البلدين ، فالنويرى ( ١٢٨٥ — ١٣٣٢ ) صاحب « نهاية الأرب فى فنون الأدب » كان من رجال السلطان المملوكى الناصر محمد بن قلاوون ، وابن فضل الله العمري صاحب « مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار » تولى القضاء بمصر فى عصر المماليك ( ١٣٠١ — ١٣٤٨ م ) وقد كان معاصرا للنويرى وكتابه فى التراجم والتاريخ والجغرافيا مملوء بالفوائد القيمة والمعلومات الواسعة إلى أناة فى التعبير وجمال فى الأداء يفوق النويرى . وهو يقع فى أكثر من عشرين



جزءاً، ثم أبو العباسي أحمد القلقشندي صاحب «صبح الأعشى» كان أيضاً من الموظفين المصريين في ذلك العصر (ت ١٤١٨).

• ويقابلنا في حقل كتابة التاريخ المؤرخ الكبير صارم الدين ابراهيم بن محمد ابن أيدير العلائي المعروف بابن دقاق صاحب «الانتصار لواسطة عقد الأمصار» وقد وصل لنا أيضاً كتاب «الجواهر الثمين في سير الملوك والسلاطين» وجزء من مؤلف آخر هو «نزهة الأنام في تاريخ الإسلام» والمؤرخ شهاب الدين الأوحدي (١٣٦٠ - ١٤٠٨ م) وابن الداية وابن أبي أصيبعة وابن الراهب القبطي وأبا شامة وابن واصل وابن شداد...

• كما وصل إلينا كتاب قوانين الدواوين، وهو مؤلف يصور قوانين وأوامر الدولة المصرية على عهد حكم صلاح الدين الأيوبي. ومؤلفه الأسعد بن عماتي (١) وعن ولدوا في القاهرة أيضاً ابن الفرات مؤلف كتاب «تاريخ الدول والملوك» ولد عام ١٣٣٤ وقد أراد أن يضمن كتابه التاريخ الإسلامي فبدأ من القرن الرابع عشر للميلاد راجعاً الموراء، بيد أنه وصل إلى القرن العاشر فحسب عندما وافاه أجله في عام ١٤٠٦ (٢).

• وإذا ذكرنا هؤلاء، فيتعين أن نثبت بحق ألمع المؤرخين المصريين الذين خللت مؤلفاتهم التي كتبوها في القرن الخامس عشر (التاسع الهجري) وهي

---

(١) هو أبو المكارم أسعد بن المهذب المصري القبطي الأصيل ناظر دواوين مصر المتوفى بحلب سنة (٦٠٦ هـ ١٩٠٢ م) عن اثنتين وستين سنة. راجع ترجمته في المقرئ ج ٢ ص ١٦٠ - وقد طبع كتابه على نفقة الجمعية الزراعية الملكية بإشارة صاحب السمو الأمير عمر طوسون - وراجعته وحققه الدكتور عزيز سوريال عطية - عام ١٩٤٣.

(٢) لا يزال كتابه ابن الفرات مخطوطاً في دار الكتب المصرية (رقم ٣١٩٧) أنظر ترجمته في الضوء اللامع ج ٨ ص ٥١.

تعد مكتبة مجيدة في التراث المصرى الإسلامى . ويعتبر أحمد بن على المقرئى المع  
جماعته . وكتابه « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » يعتبر المرجع  
الفريد لدراسة مصر الإسلامية لجميع الباحثين ، ومن أهم أسفاره :

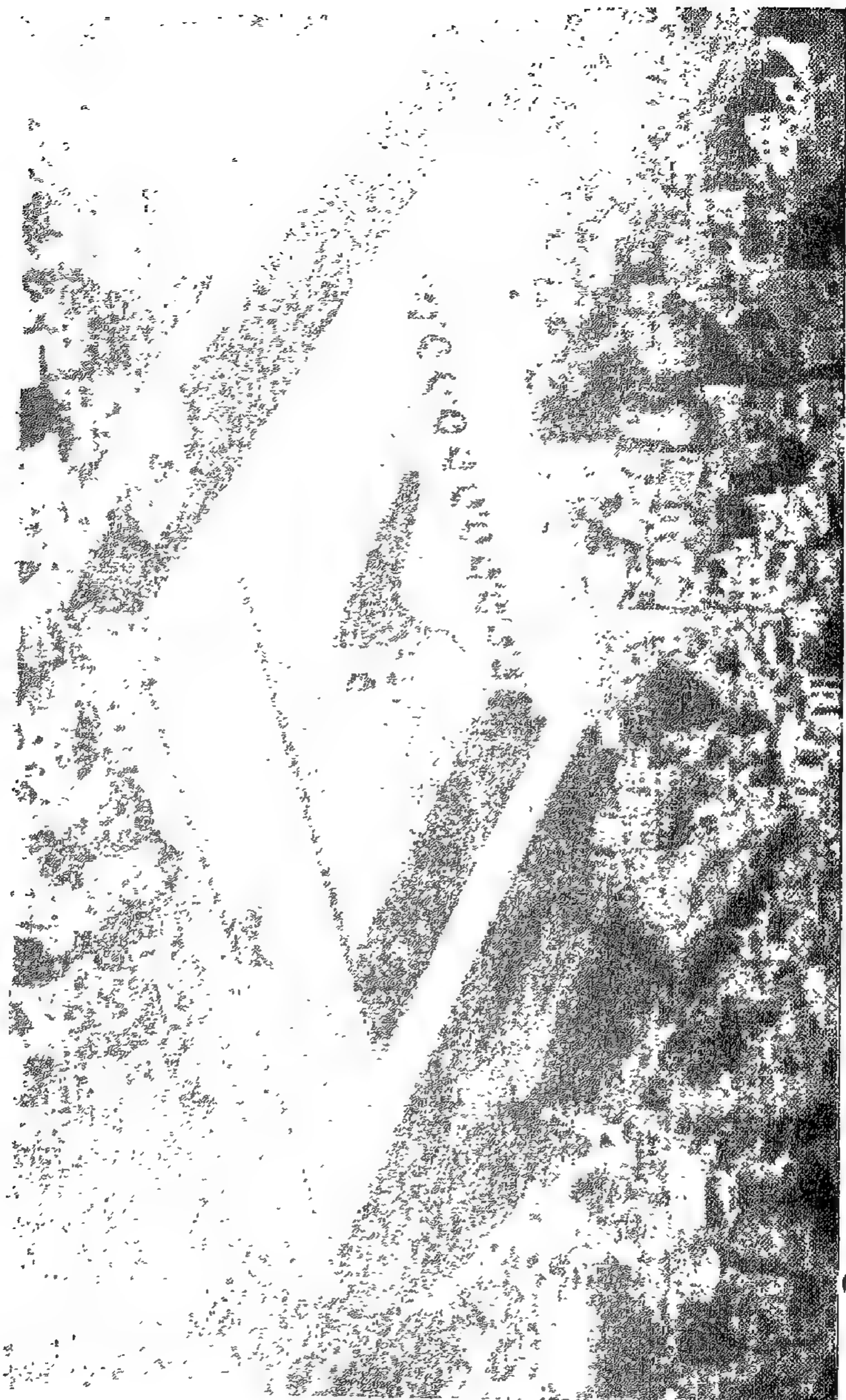
عقد جواهر الأسفاط من أخبار مدينة القسطنطينية — اتعاظ الخلفاء بأخبار  
الخلفاء — السلوك لمعرفة دول الملوك — المقفى الكبير — العقود الفريدة فى  
تراجم الأعيان المفيدة — النزاع والتخاصم فيما بين بنى أمية وبنى هاشم —  
إغاثة الأمة بكشف الغمة . وقد عمل الدكتور مصطفى زيادة ومن بعده تلامذته  
فى تحقيق كتاب السلوك حتى أنجزوا عملهم المشرف .

وقد صمم المقرئى مشروع دائرة معارف من ثمانين مجلد ليسجل فيها  
حياة أعلام المصريين ، بيد أنه لم يكمل منها إلا ستة عشر جزءا فحسب . كما أنه  
لم يكمل أيضا مؤلفا آخر هو كتابه ( دور العقود ) . وفضلا عن هذا كله  
فللمقرئى بضعة بحوث فى علم الحديث (١) .

• ومن مؤرخى مصر المعاصرين المقرئى — أحمد بن حنبل الذى عرفنا  
من مؤلفاته : فتح البارى فى شرح البغارى — الجمع المؤسس والمعجم المفهرس ،

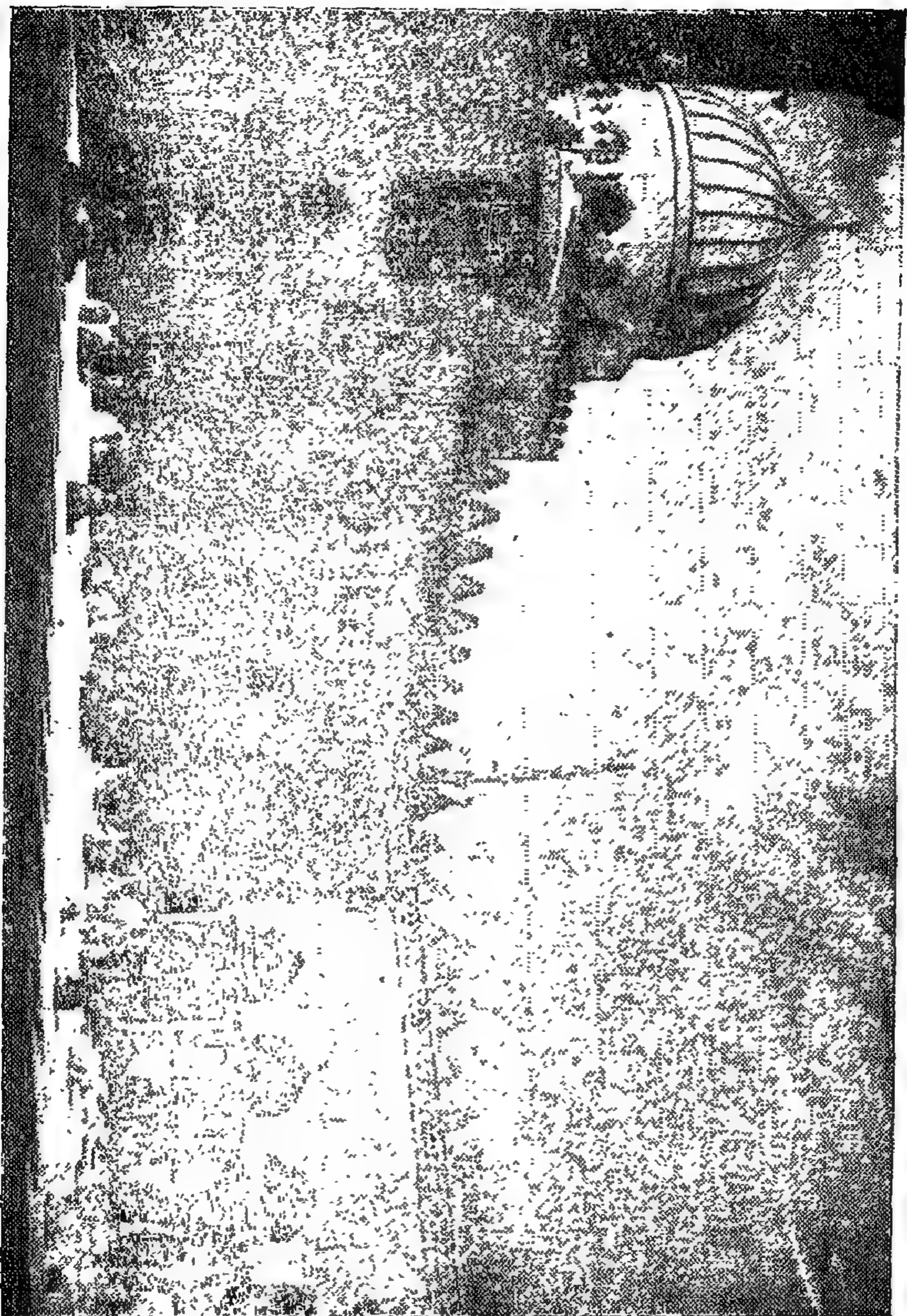
---

(١) ولد المقرئى بالقاهرة سنة ( ٧٦٠ هـ - ١٣٦٤ م ) بحارة برجوان بقسم الجالية  
الحالى وانكب على الدرس والتحصيل وأظهر نجابة ومقدرة ثم التحق بديوان الانشاء بالقاهرة  
حيث ظل يعمل موقعا حتى سنة ١٣٩٨ عند ما اختاره السلطان برقوق لوظيفة محتسب القاهرة  
والوجه البحرى . فتولاها ثم تنحى عنها مرتين فى عامين وفى سنة ١٤٠٨ انتقل الى دمشق  
للاضطلاع بمنصب كاتب وتولى التدريس أيضا ، ورحل الى عدة بلدان وتوفى عام ٨٤٥ هـ —  
١٤٤٢ م ) راجع ترجمته فى الضوء اللامع ج ١ ص ٣٢٢ وفى المنهل السافى ج ١ ص ٢٢٣ ،  
وفى « المؤرخون فى مصر فى القرن الخامس عشر الميلادى » ، الدكتور محمد مصطفى زيادة  
ص ٣ — ١٧ .



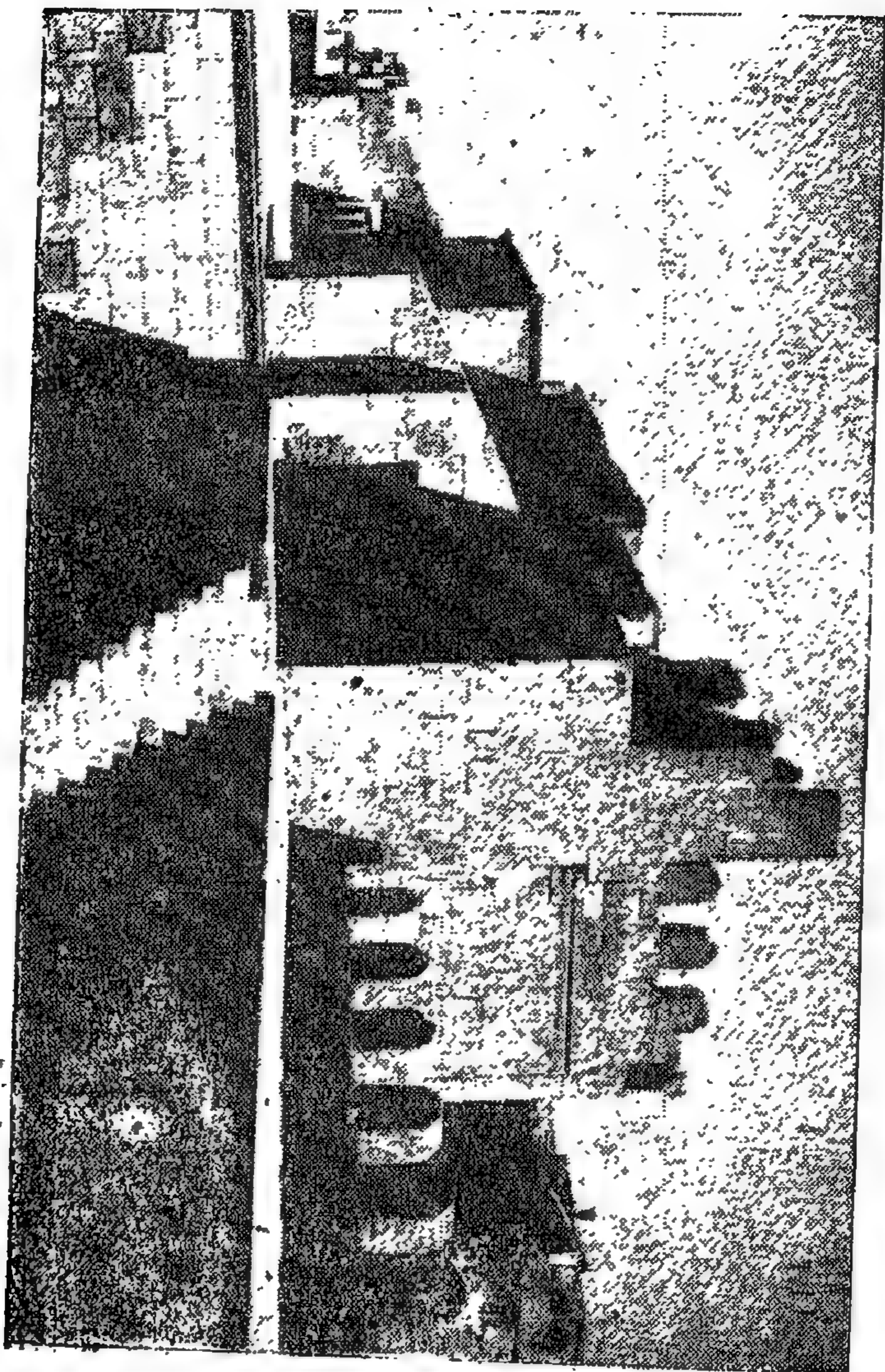
منظر عام : جامع أحمد بن طولون





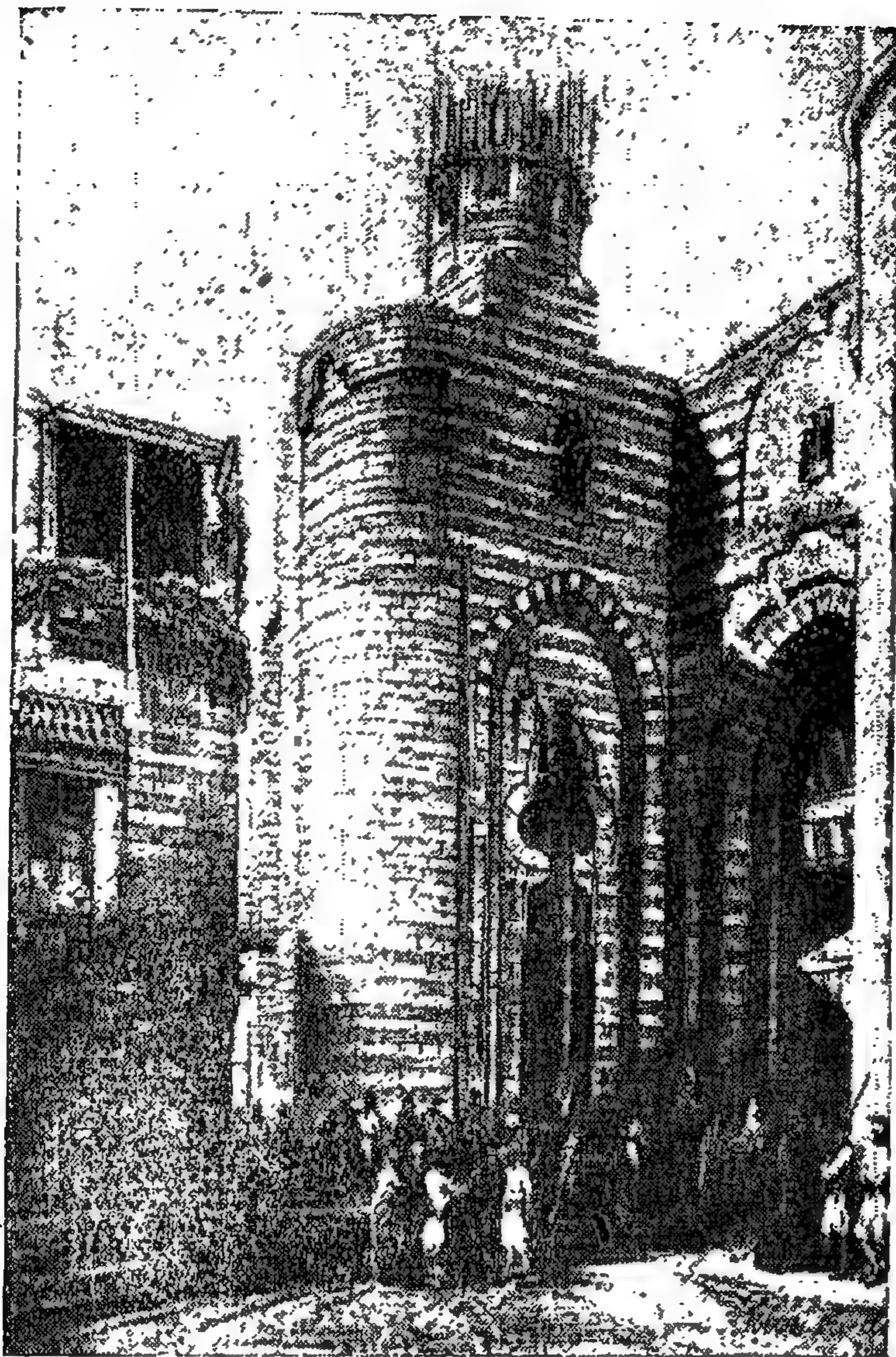
٢ — الجامع الأزهر الشريف





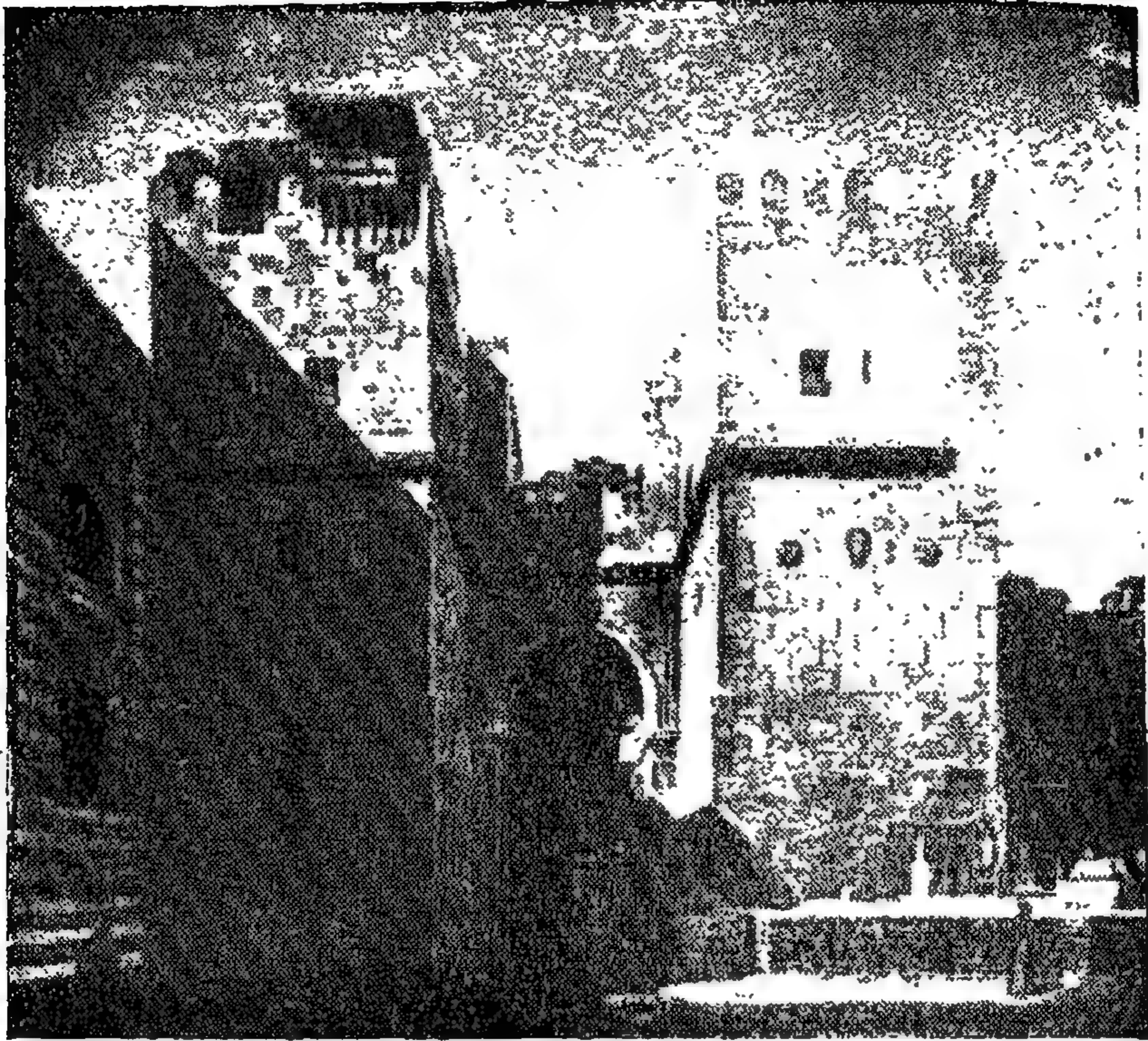
٣ - قطعة من سور القاهرة الشاهي



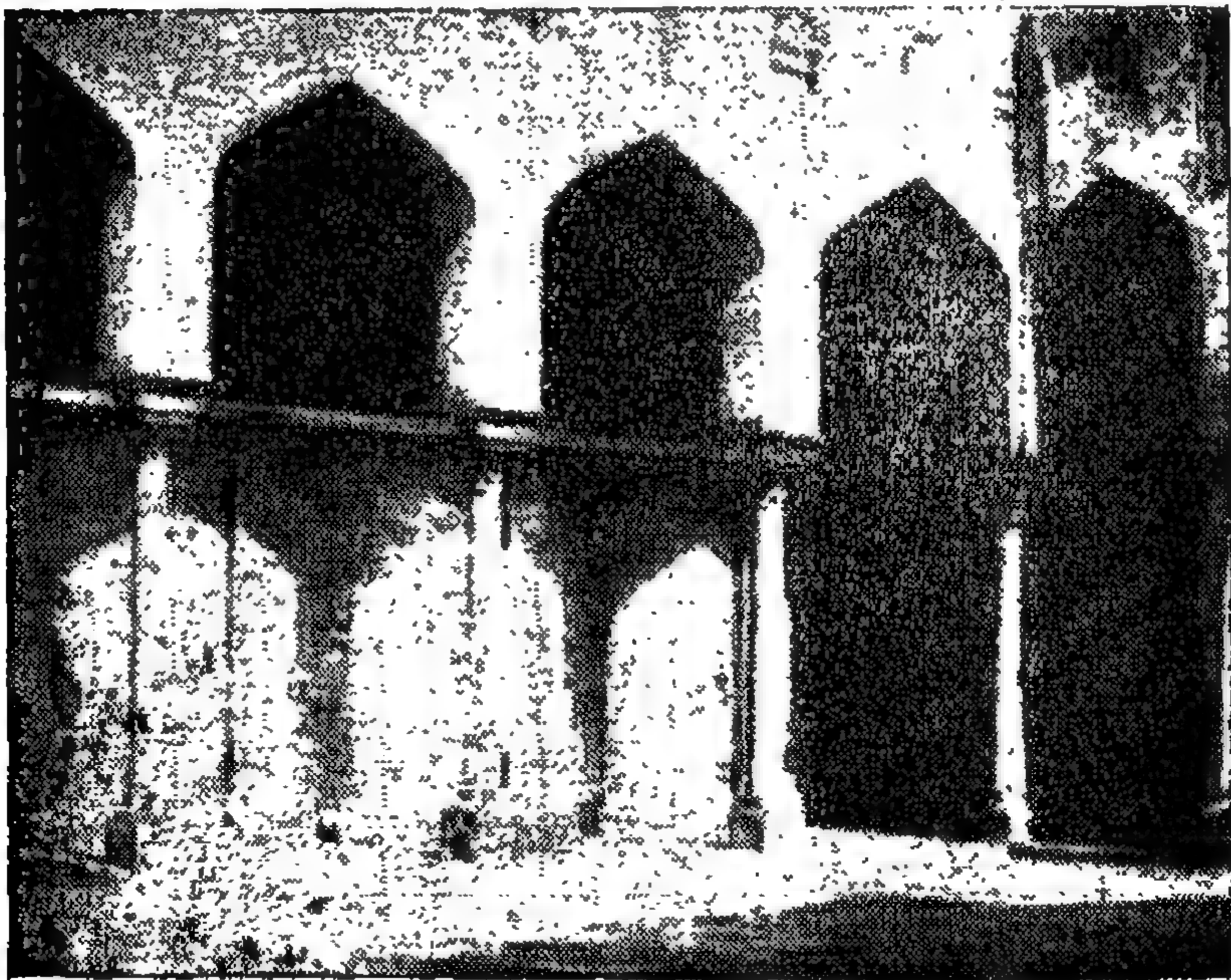


٤ — باب زويلة ( المتولى ) بهور القاهرة الجنوبي  
للرسم البريطاني هيفيد روبرتس



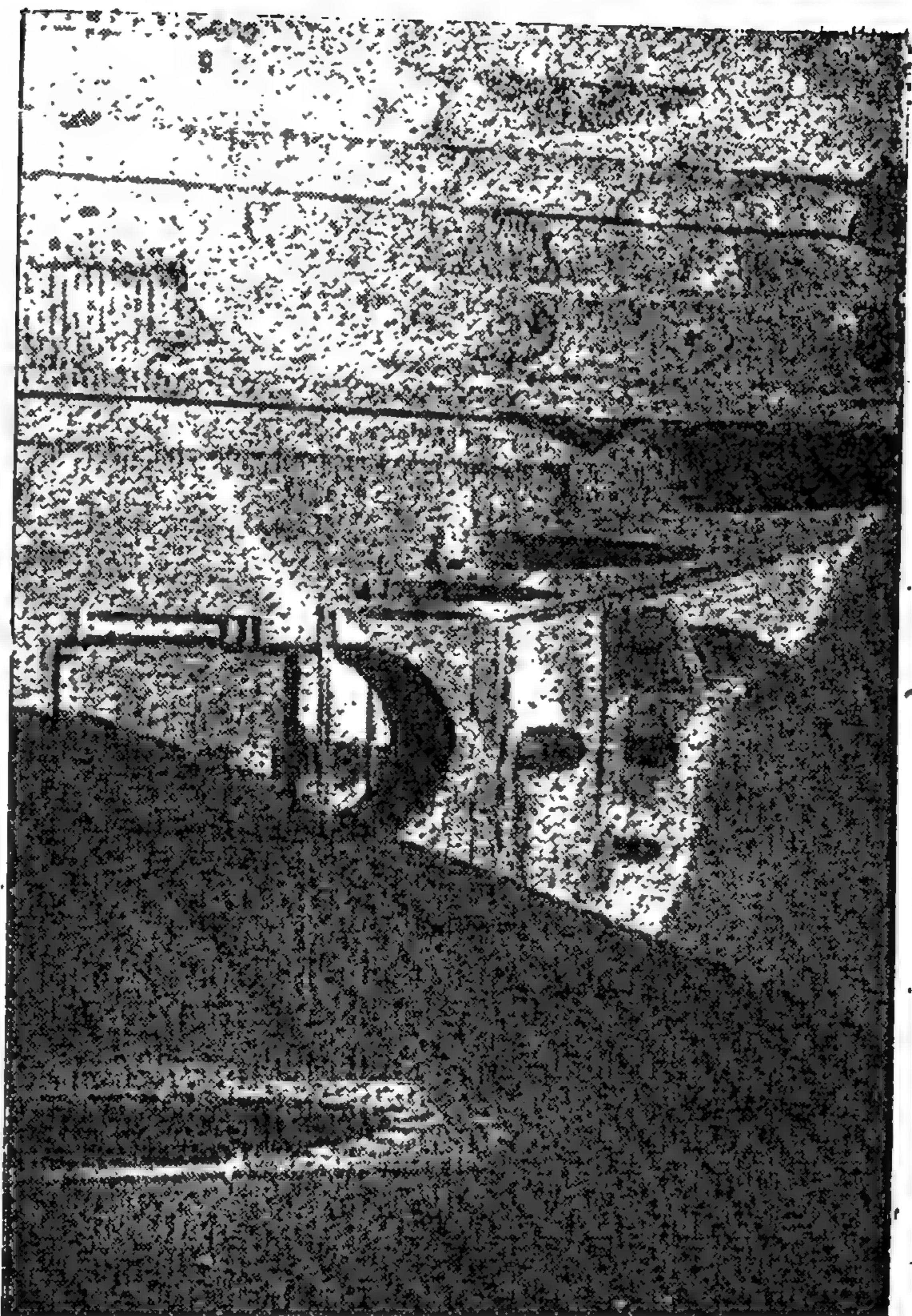


٥ — باب النصر بسور القاهرة الشمالى



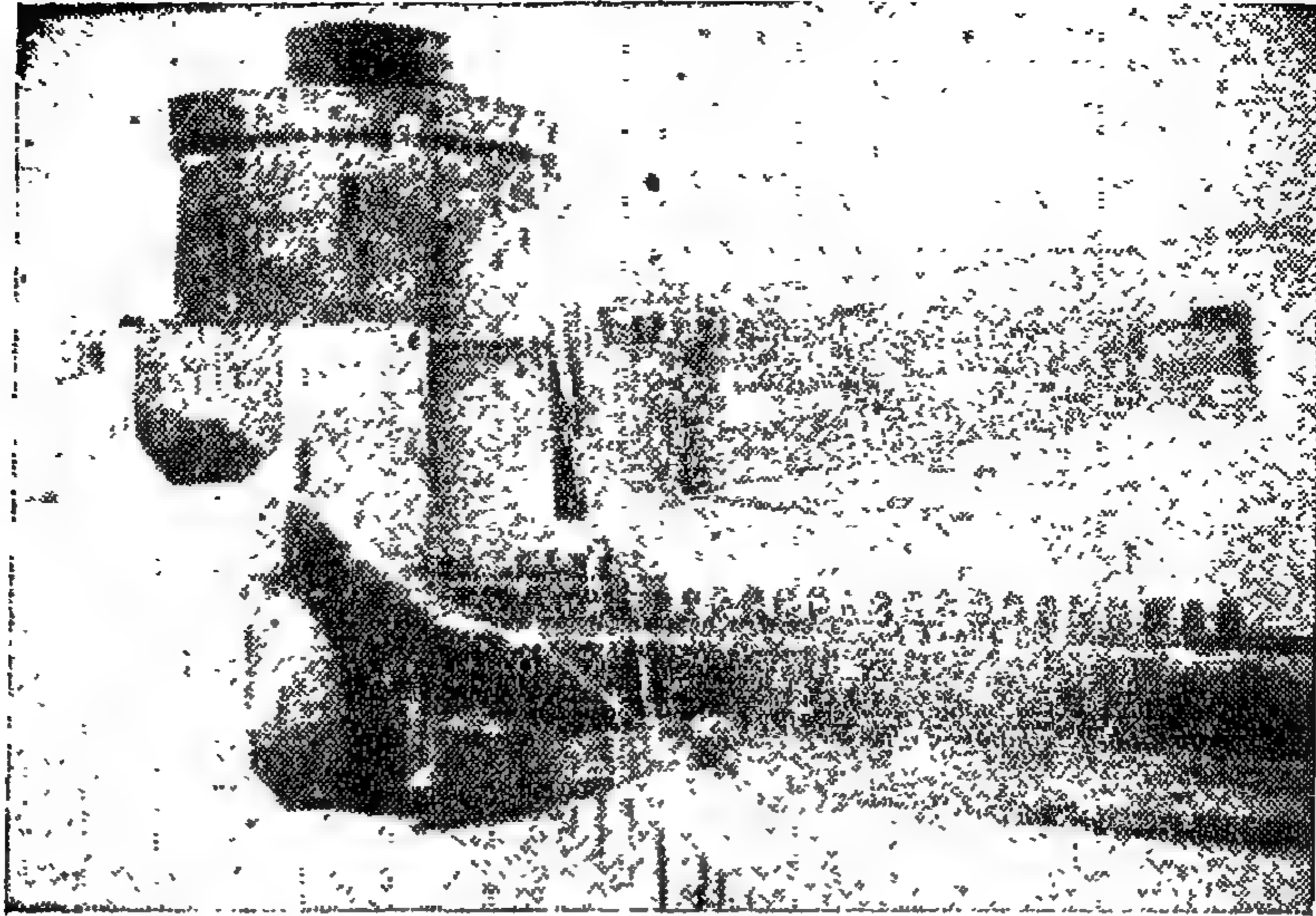
٦ — جامع الصالح طلائع الفاطمى





٧ - جامع الحاكم بأمر الله ويزي الخراب إلى عين الصورة



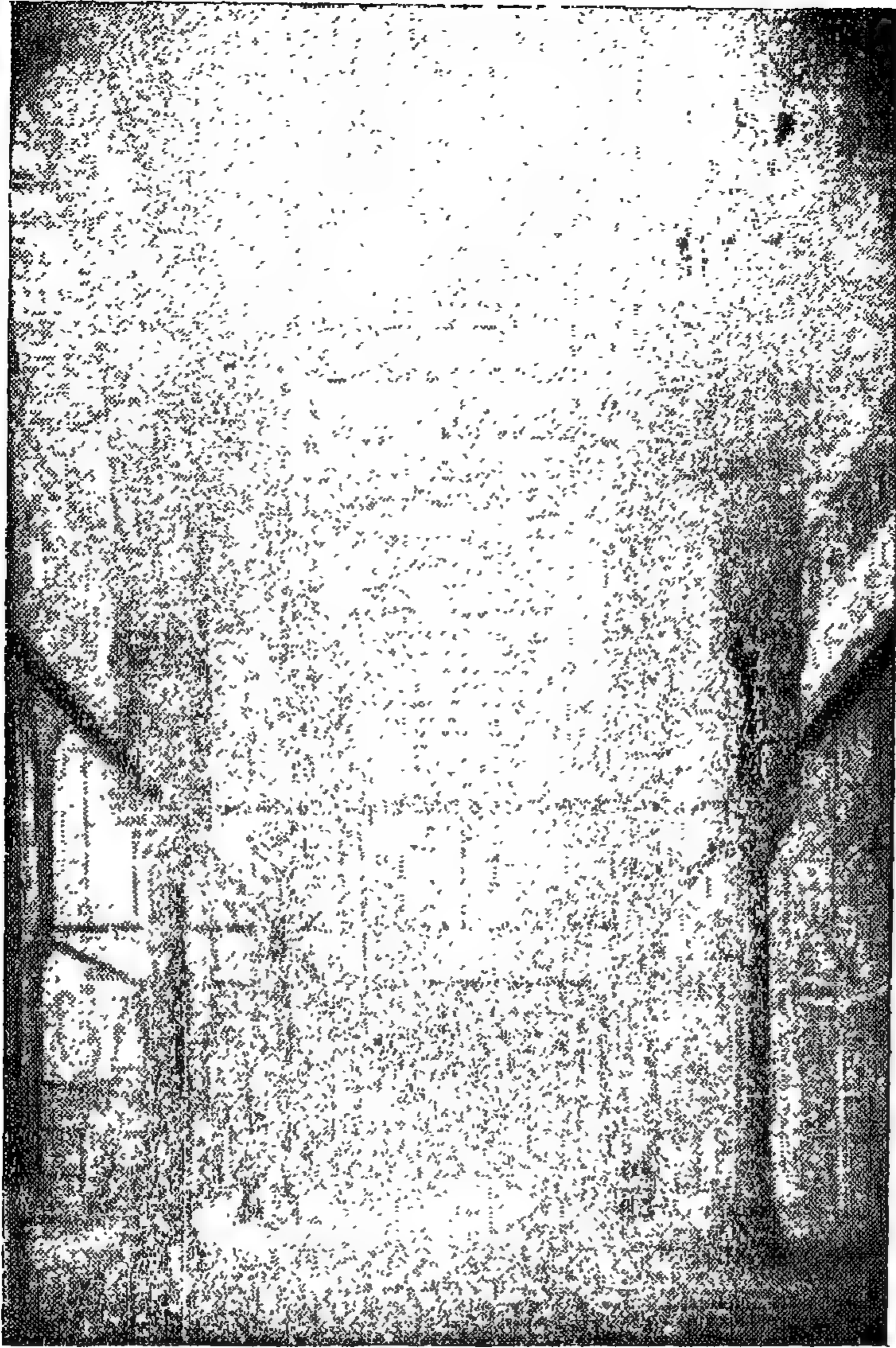


٨ — سور قلعة صلاح الدين الأيوبي الجنوبي، ومض الأبراج  
بالقاهرة



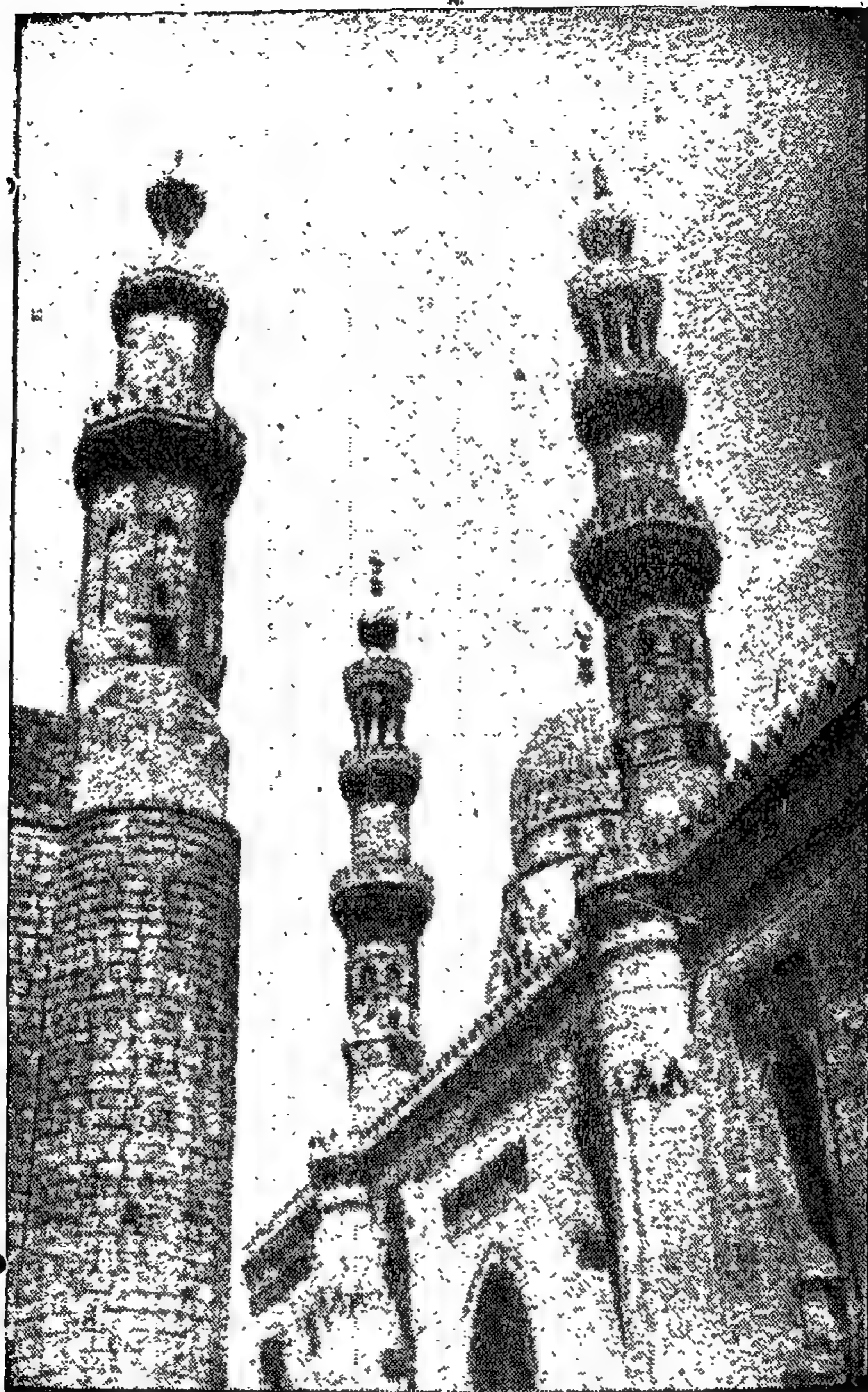
٩ — باب الجامع الأزهر الداخل





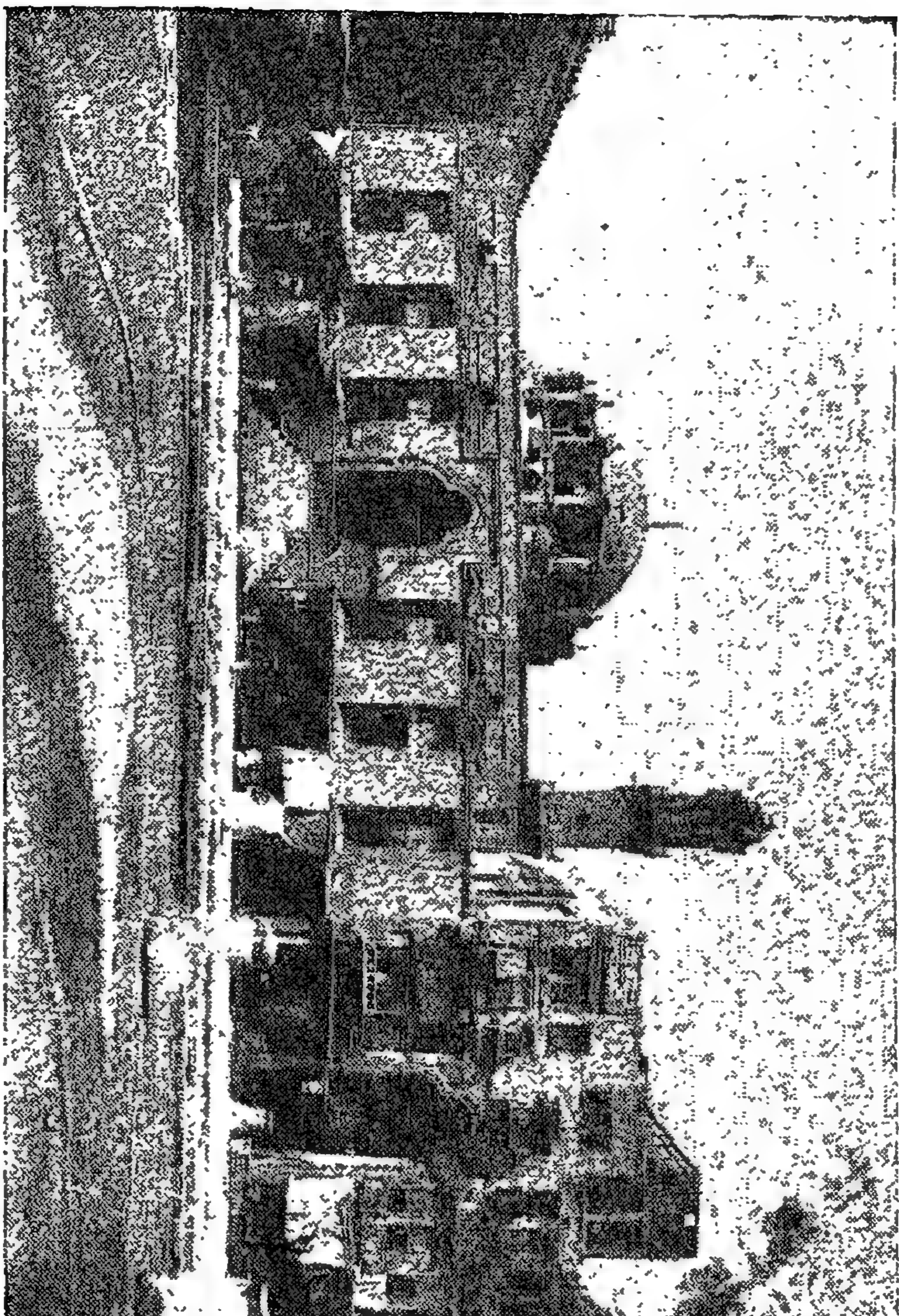
١٠ - الايوان الرئيسى وبه المحراب والمنبر  
لجامع المؤيد





١١ — مآذن مدرسة السلطان حسن وجامع الرفاعي  
بالقلعة





١٢ — جامع محمد أبو الذهب (الواجهة الشمالية) في ميدان الأزهر

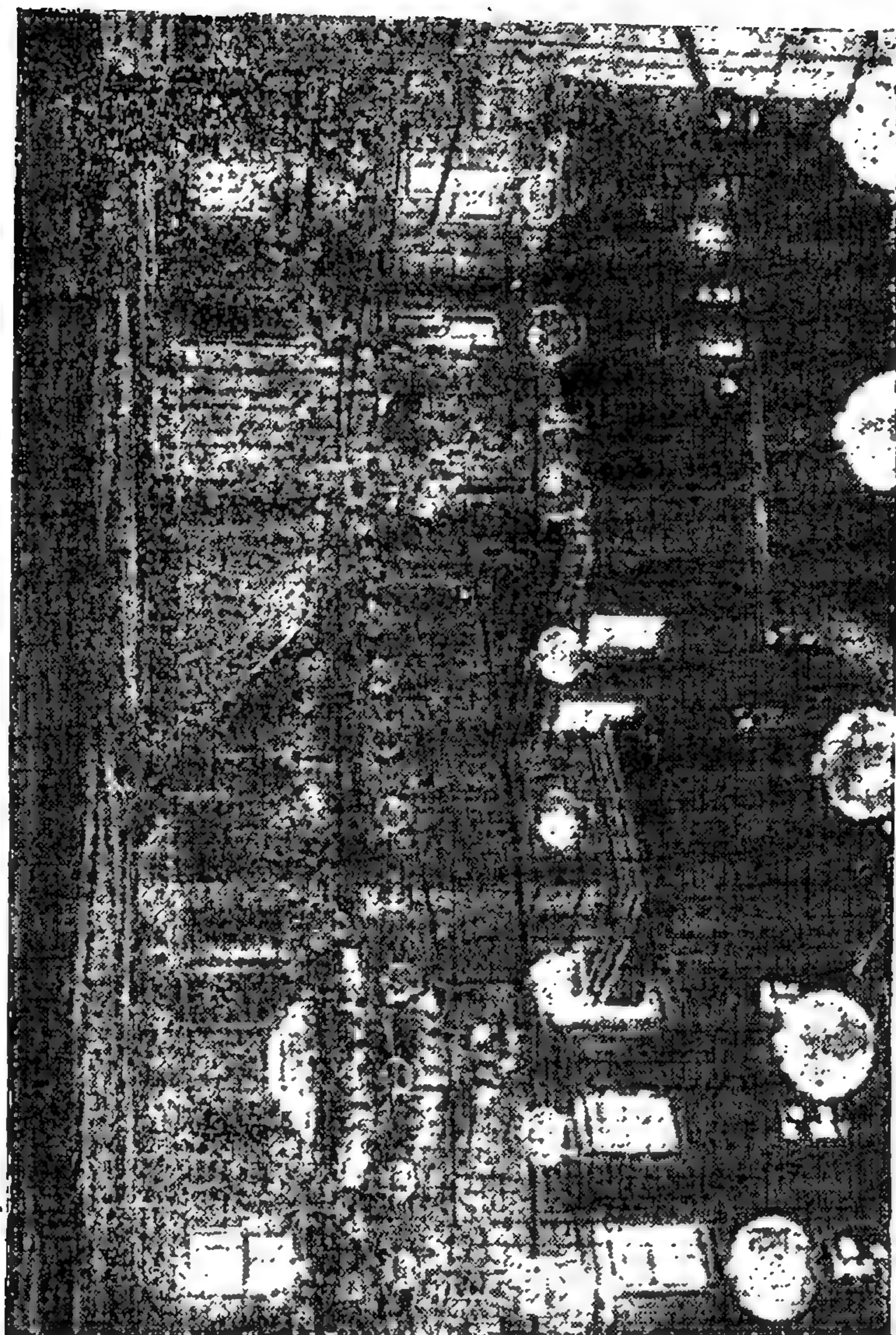




١٣ — مئذنتا جامع محمد علي وقبابة وواحدة من مآذن  
جامع الناصر محمد بن قلاوون بالقلمنة



١٤ — جامع محمد علي ومنبره الفخم — قلعة صلاح الدين

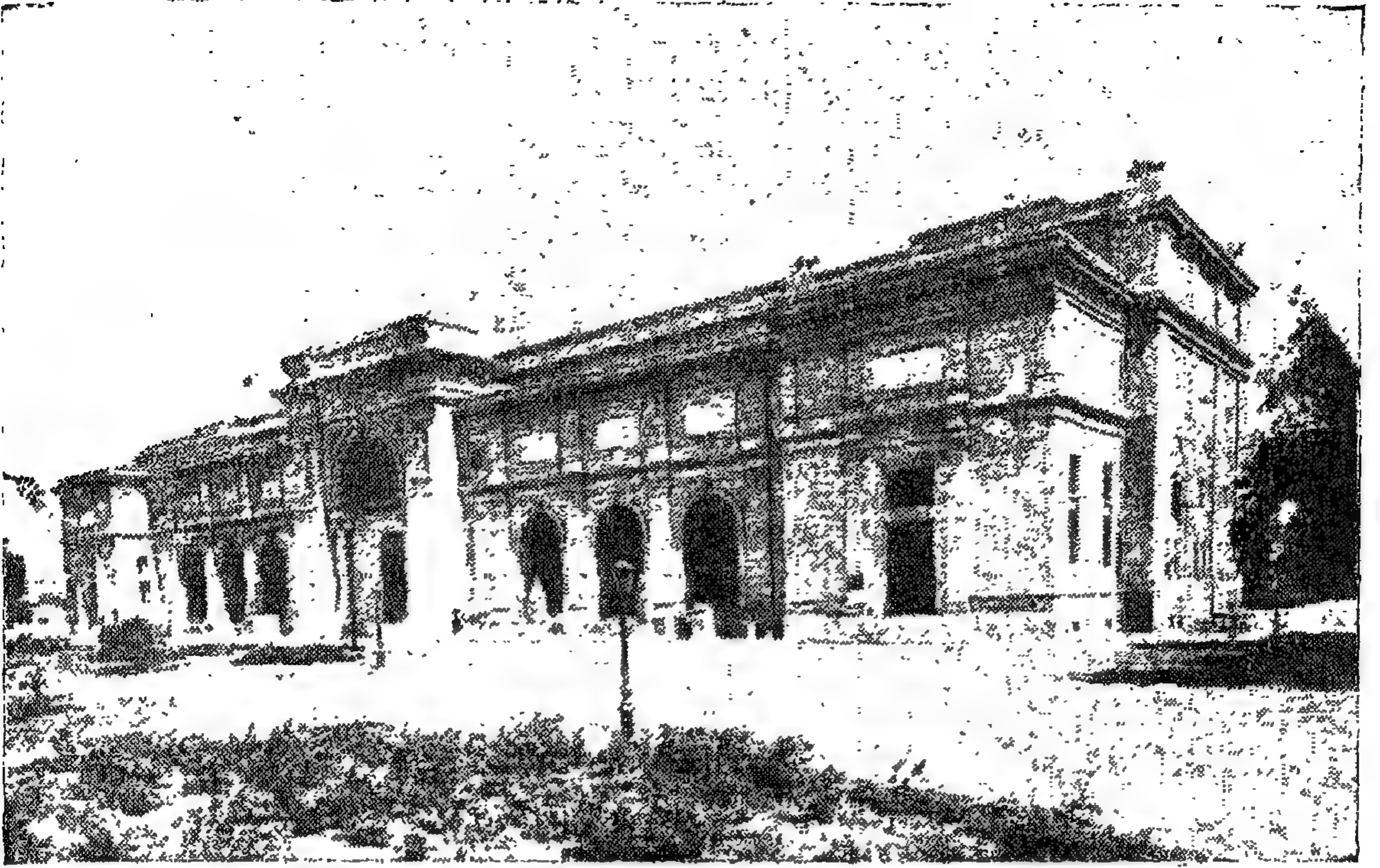




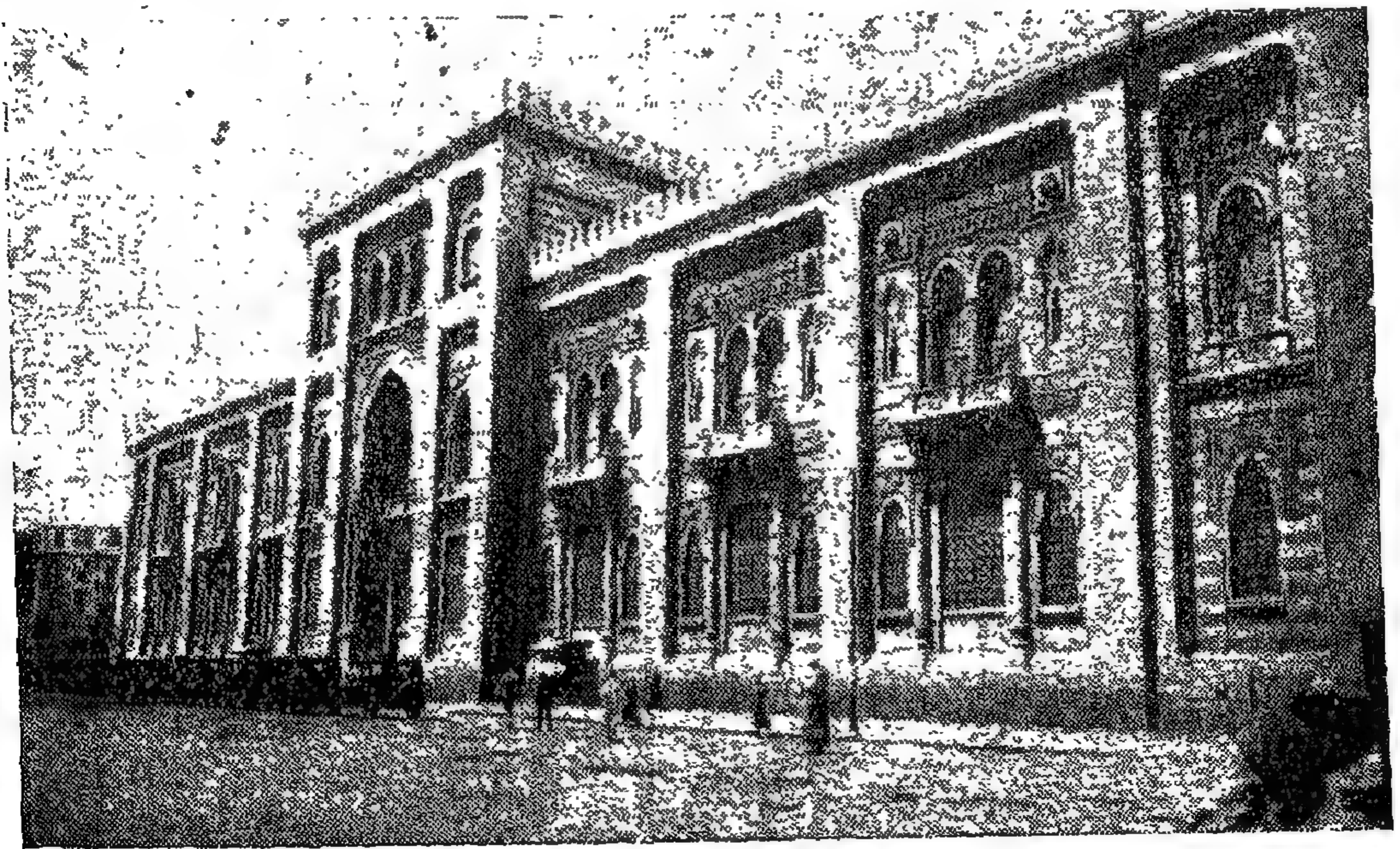


١٥ — كنيسة أبي السيفين بمصر القديمة — صحن الكنيسة وحجاب  
المبطل الأوسط



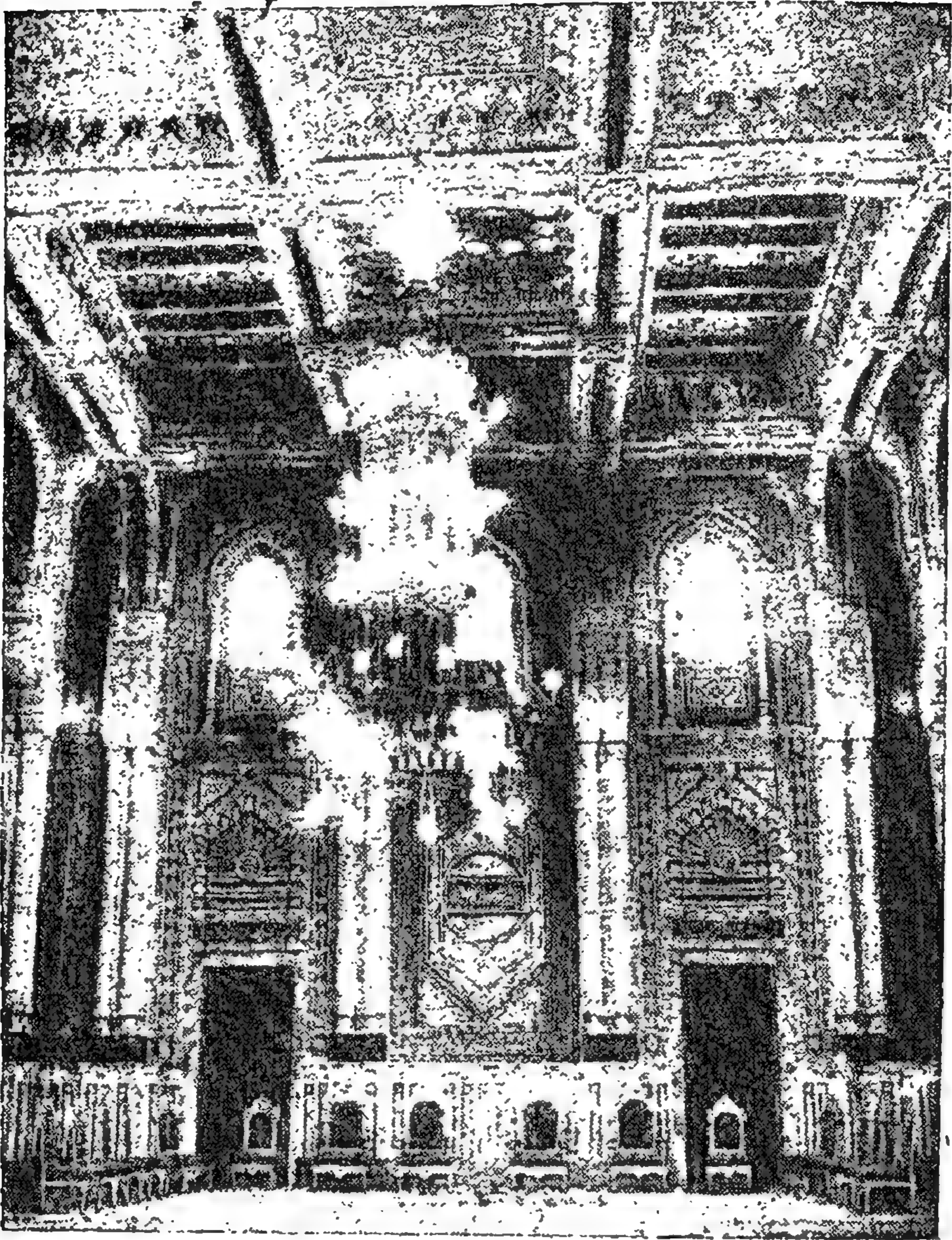


١٦ - المتحف المصري : الواجهة



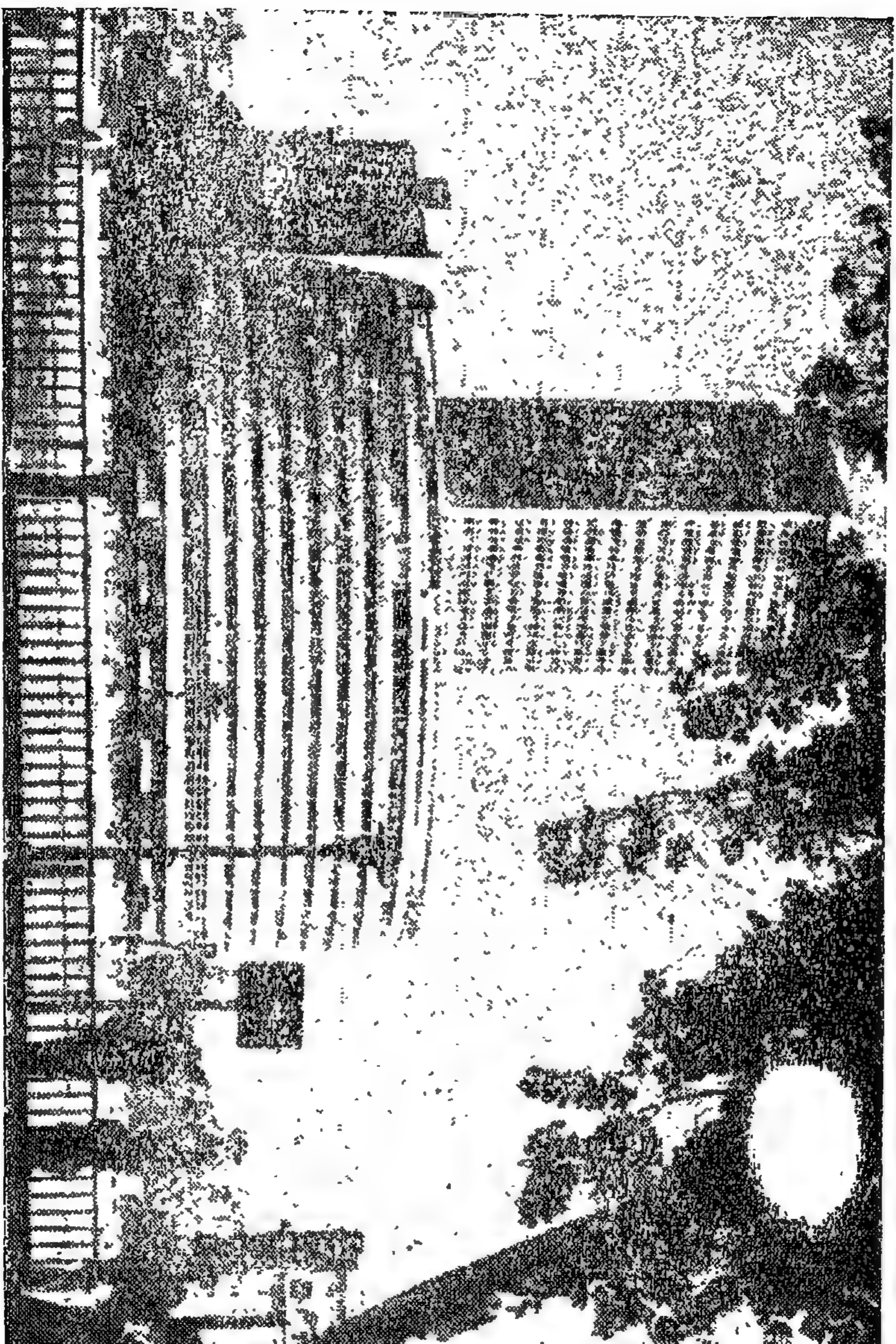
١٧ - دار الكتب القومية في مقرها الأول ومتحف الفن الإسلامي بميدان أحمد ماهر





١٨ - قاعة بالطراز العربى فى قصر عابدين الجمهورى  
بميدان الجمهورية





١٩ — مبنى الإذاعة والتليفزيون المطل على نهر النيل



— الدرر السكّانة في أعيان المائة الثامنة (١) .

• وكذلك العيني صاحب : عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان (٢) . وابن عربشاه مؤلف « عجائب المقدور في أخبار تيمور » (٣) . و خليل بن شاهين صاحب « زبدة كشف الممالك و بيان الطرق والمسالك » . ( ت ١٤٦٩ ) .  
والمؤرخ أبو المحاسن بن تغرى بردى ( ١٤١١ هـ - ١٤٢٠ ) الذى ألف عدة أسفار في التاريخ الإسلامى ، أهمها النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة والمنهل الصافى .

• وعاصر أبا المحاسن إثنين من مشاهير المؤرخين هما ابن الصيرفى (ت ١٤٩٤) وأبو الخير محمد السخاوى (١٤٢٧ - ١٤٩٧) .

ولأولهما : تزهة النفوس والأبدان في تاريخ الزمان — إنباء الحصر في أنباء العصر — سيرة الأشرف قايتباى — الجوهريّة في السيرة النبوية ولثانيهما • عدة مؤلفات قيمة أهمها : التبر المسلوک في ذيل السلوك — ذيل تاريخ دول الإسلام — الذيل المتناهى — الذيل على طبقات القراء — المنتقى من تاريخ

---

(١) راجع ترجمة حياته في المصدر السابق ص ١٨ - ٢٠ .

(٢) يقع هذا الكتاب في ٣٣ جزءا ، وهو محفوظ بدار الكتب المصرية رقم ١٥٨٤ معارف - وقد ولد العيني في الشام ، وجاء إلى مصر وعين في أوائل القرن التاسع الهجرى بحسبنا للقاهرة والوجه البحرى .

(٣) هو أحمد بن عبد الله شهاب الدين المعروف بابن عربشاه ولد سنة ( ٧٩١ هـ - ١٣٨٩ م ) بدمشق ورحل منها إلى بلدان عدة . ونزح إلى القاهرة في زمن الملك الظاهر جقمق . ومات عام ٨٥٤ هـ - ١٤٥٠ - جورجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية . ج-٣ ص ١٥٥ - ١٥٦ .

مكة — تلخيص تاريخ اليمن — الاعلان بالتاريخ لمن ذم التاريخ — الضوء  
اللامع لأهل القرن التاسع . إلخ .

\* والمؤرخ محمد بن أحمد بن أبياس المصرى كأبى المحاسن سليل أسرة مملوكية  
( ١٤٤٨ — ١٥٣٤ ) كتب لنا : بدائع الزهور فى وقائع الدهور — عقود الجمان  
فى وقائع الزمان — نزهة الأمم فى العجائب والحكم — مرج الزهور فى وقائع  
الدهور — نشق الأزهار فى عجائب الأقطار .

\* ومن زملاء ابن أبياس — المؤرخ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى  
( ٨٨١٩ / ١٤٤٥ — ٩١١ / ١٥٠٥ ) الذى كتب فى فنون عدة — من أهمها :

حسن المحاضرة بأخبار مصر والقاهرة — تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين —  
تاريخ السلطان الأشرف قايتباى — بدائع الزهور فى وقائع الدهور — تاريخ  
أسيوط — الشها رينخ فى علم التاريخ — نظم العقيان فى أعيان الاعيان — الملتقط  
من الدور الكامنة . والمؤرخ عبد الباسط بن خليل بن شاهين ( ت ١٥١٤ )  
الذى ولد بمطية بأطراف آسيا الصغرى حيث كان أبوه متوليا نيابتها من قبل  
السلطان جقمق . وقد شغف بالسفر وبالتحصيل الواسع ثم استقر أخيرا بالقاهرة  
فنزل بالحقاقه الشيخونية وتصوف واعتبره السخاوى من تلاميذه فى التاريخ ؛  
ومن مؤلفاته المعروفة فى التاريخ كتاب « نزهة الأساطين فى مصر من  
السلطين » ، وكتاب « نيل الأمل » وهو تسكئة لتاريخ الذهبى وكتاب « الروض  
الباسم فى حوادث العمر والتراجم » ، وكتاب « تاريخ الأنبياء » ، وزميله حسن  
ابن حسين الطولونى المولود فى عام ١٤٣٧ ، والمتوفى عام ١٥٧١ ، إتجه إلى التاريخ  
والفقه والأدب والفروسية ، ونال حظوة لدى السلطان إينال والسلطان قايتباى  
الذى ولاه نيابة القلعة فوجده مخلصا لقيامه بتحسينها عظيمًا . ولا بن الطولونى  
كتاب « النزهة السنية فى ذكر الخلفاء والملوك المصرية » . ثم الإدفوى

( ت ١٣٤٧ ) صاحب الطالع السعيد الجامع لانباء نجباء الصعيد - والبيدر السافر  
وتحفة المسافر في تراجم مشاهير القرن السابع. والمؤرخ ابن وصيف شاه المصري  
صاحب « جواهر البحور ووقائع الأمور وعجائب الدهور » ، وجمال الدين بن  
واصل الفقيه الفيلسوف المؤرخ صاحب مفرج الكروب في أخبار بني أيوب .  
والمؤرخ أبو البقاء بن الجيعان (توفي نحو عام ٩٠١ هـ - ١٤٩٥ م) صاحب  
القول المستطرف في سفر الملك الأشرف . . وغيرهم .

والمؤرخ ابن زنبيل الرمال ( ت . بعد ١٥٥٧ ) « كتاب تاريخ أخذ مصر  
من الجراكسة ، والدرة اليتيمة في مصر القديمة ، وتحفة الملوك والرغائب لما في  
البحر والبحر من العجائب والغرائب .



ومن أهم الأسباب التي دعت إلى علو شأن الثقافة وانتعاش الحياة الأدبية في  
مصر على أيام المماليك — كثرة وفود المهاجرين من علماء الشرق والمغرب إلى  
بلدان الشرق الوسيط وخاصة القاهرة. نتيجة لسقوط بغداد مركز الحضارة  
الإسلامية على يد جمافل التتار تحت زمامة هولاكو ( ٦٥٦ هـ - ١٢٥٨ )  
وغيرها من المدائن الحافلة بكنوز التراث كبخارى وممرقند ومرو ونيشابور  
وإصفهان وحلب والموصل . فقد هاجر كثير من علماءها إلى الممالك التي غربي  
نهر الفرات كالجزيرة والشام وفلسطين ومصر . وكان جلهم يفضل الإقامة في  
المدائن الكبرى ، كمكة المكرمة ، والمدينة المنورة ، والقدس الشريف ودمشق  
والقاهرة والفسطاط والاسكندرية .

وحدث مثل ذلك تماما في الأندلس ، حين نشط الإسبان في استرداد  
أراضيهم تدريجا من العرب ، فهاجر كثير من المسلمين إلى الأقطار الشرقية ،  
كالمغرب وتونس ومصر ، لاسيما الاسكندرية والقاهرة . . ونقلوا معهم كتبهم  
وعلمهم ، وكان للقاهرة أوفر نصيب .



وقد استقبل سلاطين المماليك والأمراء هؤلاء المهاجرين استقبالا كريما ،  
وخصصوا لكل عالم ذى شأن مدرسة من مدارسهم الكثيرة ليدرس فيها العلوم التى  
ينبغي هو فيها فى بلده ، كما اختاروا بعضهم للعمل فى دواوين الحكومة كابن  
منظور الأفريقى صاحب «لسان العرب» ، واتخذوا منهم مدرسين فى مدارسهم  
الخاصة ، وصارت مصر والقاهرة وطنا ثانيا لكثير منهم ، كابن فرح القروطبى  
صاحب «البر المشهور» . وكانت القاهرة تبذل لكل هؤلاء الوافدين الرواتب  
الكريمة .

---

(١) د . مصطفى السقا : الحياة الأدبية فى مدينة القاهرة . كتاب ندوة ألقىة  
القاهرة المنقعة فى القاهرة أبريل ١٩٦٩ :

# المتاهة

في العصر العثماني (١٥١٧ - ١٨٠٥ م)

لما أصبحت مصر تحت سيادة العثمانيين (١٥١٧) تحولت القاهرة من حاضرة دولة كبرى إلى عاصمة ولاية عثمانية يديرها وال من الولاة العثمانيين فيقوم بإرسال الجزية إلى السلطان وينفذ أوامره . ولا يخفى أنه كان للسياسة الداخلية التي اتبعها معظم الولاة في حكم مصر أثر واضح في الانقسام والفتنة والمؤامرات الداخلية التي كانت تنشب بين الزعماء مما كان يسبب سفك دماء الشعب ، وانتشار الخراب ، وهلاك السكان . فانكمشت القاهرة وذبلت حياتها الاقتصادية ، ومن ثم قل عدد سكانها . ومن المدهش أن يقدر كوستيلا Costella عدد سكان القاهرة سنة ١٦٠٣ بحوالي ثلاثة ملايين نسمة بالإضافة إلى النساء والأطفال ، وهو تقدير مبالغ جدا .

• الحسن بن محمد الوزان ( ليون الأفريقي ) Leone Africanus

ولدينا مرجع هام في كتاب رحلة الحسن بن محمد الوزان الذي تاقى العلم في واحدة من مدن شمال افريقية على أشهر أساتذتها فأفاد من علمهم في اللغة العربية والدين والتاريخ الإسلامي ، وقرأ ما صنفه أبو عبيد البكري الجغرافي والمسعودي المؤرخ ، وغيرها . ويهمننا فيما كتبه ، الفصل الموجز عن القاهرة ، بعد أن تناول وصف مصر وحدودها وطبيعة أرضها وشعبها ، ثم مدنها الهامة وفيضان نيلها ، وقد أطنب في وصف الاسكندرية وماضيها ومدارسها وحديثه عن القاهرة يمتاز بالدقة ، يقول عنها :

• هي أعظم وأشهر مدن العالم تقع على سهل فسيح . يمتد من المقطم وعلى

بعد حوالي ميلين من النيل وتحيطها أسوار ضخمة تكتنفها أبواب عالية ، أهمها أبواب زويلة والفتوح والنصر . أقيمت فيها القصور العظام والدور الرائعة والجوامع والمدارس الشاذلية ، ومن أروعها : جامع الحاكم بأمر الله ، ثم وصف الحسن بن محمد شارع بين القصرين ، وما فيه من حوانيت بائعي الشربات ، وذكروا مدرسة السلطان النوري وكان انتهى من بنائها قبيل وصول رحلتنا الحسن بسنوات ، ومر بدكا كين القماشين ، ووصف مارستان المنصور قلاوون العظيم ، وعرج على خط زويلة غرب الباب وكان يقطنه قرابة اثنتين وعشرة ألف أسرة ، وكان على مسافة ميل في اتجاه الجنوب الغربي يقع حي اللوق ويسكنه بعض الأعيان ، ثم وصف مدرسة مسجد السلطان حسن المواجه للقلعة . وقال عن حي اللوق أن به مسجد (١) ومدرسة الأمير أزيك اليوسفي ، وأطلق على الحي اسم الأمير ، فصار يعرف بحي الأزبكية وكان من أهم أحياء القاهرة المترفة يقصده الناس للترفيه حيث كان يعرض اللاعبون والحواة ومربو الحيوان الأعيان ، وكذلك كان يجلس القرقصاء المنجمون لكشف طوابع الناس بوساطة الطير ، وقد أراد الحسن أن يعرف طالعه ، فكان نحسا . وزار الرحالة حي بولاق ملتقى تجار القمح والزيت والسكر وكان يزخر بالمدارس والمساجد والدور وتؤم الشاطيء — السفن الشراعية المحملة بالعروض المتنوعة القادمة من الشمال .

### رحالة أوروبيون

وصف القاهرة في العصر العثماني بعض الرحالة الأوربيين الذين زاروها في القرنين السادس عشر والسابع عشر . وفي طليعتهم ، جيفافا (٢) وقد زارها عام ١٥٣٤ قال :

(١) كان يقع هذا المسجد في منطقة العشبة الخضراء وقد هدم ليقيم تمثال إبراهيم باشا في مكانه الأول وذلك قبل قلة في مواجهة دار الأوبرا التي حرقته منذ أعوام .

(٢) Affagart, Jeffin : Relation de Terre Sainte.

Edited by J. Chavaudon, V. Lecoffre, 1902.



« تقدر مساحة القاهرة بثلاثة أميال » (قدر مساحة باريس) وهي ذات شوارع ضيقة وملتوية وقصيرة وأكثرها غير منظم. وبعض هذه الطرقات مسقف بألواح الخشب أو القماش السميك لشدة حرارة الصيف. وفي أشد ساعات الحر يخلق أصحاب الحوانيت متاجرهم، فتتضاءل الحركة ويركن الناس في بيوتهم، أما في الليل فتضاء المدينة بمصابيح يعلقها أصحاب البيوت أمام دورهم.

• وزار الكاتب « جان دي تيفنو » القاهرة بين عامي (١٦٥٨/١٦٥٦) وذكر عنها في كتابه عن سياحته في بلاد الشرق ما يسع لنا بتكوين فكرة عما كانت عليه القاهرة في سنة ١٦٥٦.

أراد « دي تيفنو » أن يقيس طول القاهرة وعرضها وحجمها فركب حماراً، وطوف حول المدينة والقلعة. فقطع تلك المسافة في ساعتين وربع الساعة، ثم سار من بداية الخليج إلى آخره مشياً على القدمين ليعرف امتداد المدينة. فقال أن طولها بلغ مائة وخمسة آلاف خطوة وجعل كل خطوة قدمين ونصف قدم، وقال إنه رأى حول المدينة بعض أماكن غير مأهولة وبرك عدة تحيط بها منازل فسيحة.

• جاء بعد الرحالة « دي تيفنو » (Jean de Thvoenaut) رحلة آخر اسمه « فانسلب » زار مصر عام ١٦٧٢. جاء مبعوثاً من لدى الملك لويس ١٥ وقضى ستة عشر عاماً فيها وقد شغف بالآثار المصرية وتعلم اللغة العربية وألف كتاباً جيداً وصف فيه مصر عام ١٧٣٥ (١).

في ذلك الحين كانت قصور الممالك وأعيان التجار تؤلف منها أحياء

---

(١) Vansleb, J. M. Nouvelle Relation en forme de Journal d'un Second Voyage fait en Egypte, en 1672.

أرستقراطية تنهض حول بركة الفيل والبركة الناصرية والأزبكية ، وتتناثر قريبا من النيل والخليج بين البساتين . وقد بقيت حدود القاهرة في أيام العثمانيين على ما كانت عليه في أيام المماليك الشراكسة ، فكان باب الحديد نهاية حدود العمران في الشمال الغربي ، والأزبكية وما حولها من مبان نهاية العمران غربا ، والطريق بينها وبين بولاق مقفرة تكاد أن تكون خالية من البناء . كذلك كانت مصر القديمة . وقد كثرت بأحياء المدينة المباني المتهمة ، ودرست معظم قصور السلاطين والأمراء فيها عدا القليل منها . وبالرغم مما أصاب القاهرة من التدهور ، فقد أنشئت فيها المساجد والتكايا والأسبلة ، والدور التي سنذكرها بعد قليل .

• وفي النصف الأول من القرن الثامن عشر زار مصر الرحالة البريطاني القس ريتشارد بوكوك ( Richard Pococke ) أثناء رحلته الطويلة في الشرق ، ثم كتب مؤلفه النفيس رحلة للشرق وبلاد أخرى ( ١٧٤٣ - ١٧٤٥ ) (١) في مجلدين . جاء هذا القس العلامة عن طريق الاسكندرية وقصد رشيد لزيارة البطريك « كوسماس » وتعرف على بعض كبار المسلمين ورجال الكنيسة الرومانية الكاثوليكية من رهبان الفرنسكان ، ثم زار المحلة الكبرى ، وأخيرا قصد القاهرة وقضى فيها أسابيع يدرس أحوال أهلها وآثارها . ثم زار الفيوم ، وعاد منها إلى النيل ليصعده في زيارة لآثار الوجه القبلي .

• وفي العام ١٧٣٧ جاء مصر الرحالة « فردريك نوردن » ( Frederick Norden ) من ضباط البحرية الدنماركية بأمر ملك الدنمارك ، وكتب عن رحلته كتابه الجيد « رحلة إلى مصر » (٢) وبلاد النوبة في جزئين ، ويعتبر مؤلفه من

---

1. Pococke, R.: A Description of the East, and some other Countries. 2 vol. London 1743 - 45 (١)

Travels in Egypt and Nubia, 2 vols., with 161 pls. London (٢) 1757.

أهم ما كتب في الرحلات الشرقية وأوقافها — وللكتاب ملحق مصور فيه بعض اللوحات الاسكندرية وقلعة قايتباي ورشيد ومصر القديمة وغيرها من أقاليم مصر الأخرى .

وقد أتيح للقاهرة في أيام العثمانيين ، رجال كان لهم الفضل في إيراد القاهرة بكثير من العمار الجميلة بطابع البناء العثماني . هذا البناء العظيم هو الأمير عبد الرحمن كتحدا الذي شغل منصباً يعادل اليوم منصب محافظ القاهرة . أنشأ عبد الرحمن المساجد والزوايا والأسبلة والأضرحة . كما أضاف إلى الأزهر أروقة كثيرة فزادت مساحته . ويتجلى جمال عمارته في ذلك السبيل الرائع الذي ينهض عند ملتقى شارعى النحاسين والجمالية والذي يحمل اسم صاحبه إلى اليوم ، ويعطى هذا السبيل مكتبا أو مدرسة لتحفيظ العصبية — القرآن الكريم .

• وتشاء الظروف أن يستقل الأمير على بك الكبير ( ١٧٥٥ — ١٧٧٢ ) بمصر ويطرد الوالى العثماني منها ، وكان موفقا في حروبه ضد العثمانيين حتى خاضه زميله محمد أبو الذهب ويتغلب عليه ويتولى منصبه فيعيد مصر إلى أحضان الخليفة العثماني . وفي أيام على بك الكبير جاء إلى مصر الرحالة جيمس بروس ( James Bruce ) في طريقه إلى إثيوبيا وقابل المعلم رزق من كبار المتخصصين في علم الفلك فأفاد الرحالة كثيراً من علمه وقضى عدة أيام في ضيافة بطريرك الأقباط في مصر القديمة .

شيد في القاهرة في أيام العثمانيين ( قرابة ثلاثمائة سنة ) كثير من المساجد كان أولها مسجد نواير بك الذي دُفن فيه بحى باب الوزير ، ومسجد سليمان باشا ( سيدى سارية ) بالقلعة ( ١٥٢٨ ) ، وسبيل خسرو باشا بالنحاسين ( ١٥٣٥ ) ، ومسجد داود باشا ( ١٥٤٨ ) ، ومسجد محمود باشا ( الحمدوية ) بالمنشية ( ١٥٦٨ ) ، ومسجد الوالى ستان يولاق ( ١٥٧١ ) ومسجد الملكة



صفية بالداودية ( ١٦١٠ ) ومسجد البردينى بالدرب الأحمر ( ١٦١٦ ) — ومسجد يوسف الحينى بشارع درب الجماميز ( ١٦٢٥ ) ، وبيت وسبيل السكرية بـ ( ١٦٣١ ) ومنزل جمال الدين الذهبى ( ١٦٤٧ ) وسبيل ابراهيم أفا بشارع التبانة ( ١٦٣٩ ) ؛ ومنزل الشيخ السحيمى ( ١٦٤٨ / ٤٩ ) ومقعد رضوان بك ( ١٦٥٥ ) ومسجد أحمد كتخدا العزب داخل القلعة ( ١٦٩٧ ) ، ومنزل زينب خاتون ( ١٧١٣ ) وسبيل وكتاب عبد الرحمن كتخدا ( ١٧٤٤ ) وتسكية وسبيل السلطان محمود بالحباتية ( ١٧٥٠ ) وسبيل وكتاب السلطان مصطفى بالسيدة زينب ( ١٧٥٩ ) ، مسجد السيدة عائشة النبوية ( ١٧٦٢ ) ، جامع محمد أبو الذهب ( ١٧٧٤ ) والمسافر خانة بالجمالية ( ١٧٧٩ / ٨٠ ) ، وكالة الصناديقية ( القرن ١٨ ) ومنزل ابراهيم كتخدا السنارى بالسيدة زينب ( ١٧٩٤ ) ، ومسجد زين العابدين ( ١٨٠٥ ) . والجدير بالذكر ونحن نتحدث عن أهم العمارات القاهرية فى العصر العثمانى أن نقرر بأن « السبيل الكتاب » قد لحقه التطور للمعماري واللمسات الجميلة فأصبح بناء مستقلا له شخصيته وشيد على هذا النسق أسبلة شتى ، أهمها سبيل خسرو باشا ( ١٥٣٥ ) بالنحاسين وسبيل القزلار ( ١٦١٩ ) وسبيل حسين كتخدا وسبيل عبد الرحمن كتخدا . وفى أثناء القرنين الثامن عشر والتاسع عشر استدارت واجهة السبيل ، واشتملت على تقويسات تعلو شبائيك السبيل وصارت له قاعدة تلف حوله بدرجات من الرخام . .

## العلماء والمؤرخون فى العصر العثمانى

وطبيعى أن يضمحل شان الأدب والشعر والعلم فى ذلك العصر — بعد ما أصبحت القاهرة عاصمة ولاية تتبع حكومة القسطنطينية بعد أن حظيت قرونا طويلة واحدة من المدائن الكبرى فى العالم الإسلامى ، ومع ذلك والحق يقال ، تقابلنا كوكبة جليلة فى ظل العثمانيين ( ١٥١٧ — ١٨٠٥ ) تضم علماء الدين

الأجلاء والشعراء ، والكتاب والعلماء وأصحاب السير والمؤرخين (١) .

### شيوخ الأزهر

\* لم يكن للجامع الأزهر شيخ يتولى رياسته الدينية أو يدير شؤنه الادارية، بل كان يتولاه الولاية العامة بسلاطين مصر وأمرائها ويأشر أعماله الداخلية مشايخ المذاهب الأربعة ومشايخ الأروقة .. ولما استولى العثمانيون على مصر ، ساروا على نهج من سبقهم حتى عينت الدولة العلية قبيل نهاية القرن السابع عشر « شيخ عموم » يدير شؤنه ويراقب أموره ، ويلقب بشيخ الجامع الأزهر ، وكان الشيخ أبو عبد الله محمد الخرشى أول من ولى هذا المنصب الخطير ( ت ١٦٩٠ ) ، وجاء من بعده البرباوى فالشيخ النشترتى (ت ١٧٠٩) والشيخ البلقينى (ت ١٧١١) والشيخ شنين ( ت ١٧٢٠ ) والشيخ الفيومى ( ت ١٧٢٤ ) ، والشيخ عبد الله الشبراوى (ت ١٧٥٧) والشيخ محمد الحفنى (ت ١٧٦٧) ، فالسجيني ، فالدمهورى ، فالعروسى ( ت ١٧٩٤ ) فالشيخ عبد الله الشرقاوى ( ت ١٨١٢ ) .

\* ومن مشاهير شعراء العصر العثمانى عبد الله الشبراوى ، وعبد الله الادكاوى ، وعبد بن رضوان السيوطى الشهير بابن الصلاحى ( ١٧٢٢ — ١٧٦٦ ) ، وقاسم ابن عطاء الله المصرى ( ت ١٢٠٤ ) ، والمحمدى السرباى ( ١٧٩٥ م ) ، والظهورى وإسماعيل الظهورى ( ت ١٧٩٦ ) والشاعر إسماعيل الحشاب ( ت ١٨١٥ ) الذى خصه العلامة المؤرخ عبد الرحمن الجبرتى بصفحات طوال عنه وصديقه الشيخ حسن العطار ( ١٧٦٦ — ١٨٣٥ ) وقد تولى مشيخة الأزهر فى أيام محمد على باشا — وقد عرف العطار بمؤلفاته الكثيرة وخاصة حواشيه على كتب النحو والبلاغة ، كما امتاز بقراءته الواسعة العميقة .

---

(١) محمد سيد كيلانى : الأدب المصرى فى ظل الحكم العثمانى ، دار القومية العربية القاهرة عام ١٩٦٥ .

\* ومن مشاهير الكتاب في العصر العثماني بمصر — أحمد بن محمد الملقب بشهاب الدين الحفاجي السرياقوسي (ت ١٦٥٩ م) ، وكان والده على جانب من الثراء فاستطاع الشهاب أن يتفرغ للدرس ، وقد طبعت له كثير من مآثره في الشعر ومنها « شفاء الغليل في كلام العرب من الدخيل » ، والشاعر مرعي بن يوسف الحلبي (ت ١٦٣٣/٣٤) ، والأديب عبد البر الفيومي (١٦٦٢ م) ، وعبد القادر البغدادي (ت ١٦٨٢) وغير هؤلاء كثيرون . ومن علماء هذا العصر أيضا : داود الأنطاكي (ت ١٥٩٩) الذي اشتهر من مؤلفاته : نزهة الأذهان في طب الأبدان ، وتذكرة أولى الألباب والجامع للمعجب العجائب (تذكرة داود) وغيرها ، والعلامة محمد مرتضى الزبيدي (١٧٣٢ — ١٧٩١) الذي ولد بزييد في اليمن ثم جاء إلى مصر بعد أن اجتمع بعلماء مكة وقد أورد الشيخ الجبرتي ترجمة حياته ، كما ذكر له شعرا كثيرا ولما مات بالطاعون كان قد انتهى من شرح القاموس المحيط كما شرح إحياء علوم الدين .

\* أما مؤرخو هذا العصر فهم قليلون : نذكر منهم علي بن نور الدين الحلبي (ت ١٦٤٤) صاحب السيرة النبوية ، وعبد الباقي الإسحقى (ت ١٦٥٠) وله كتاب اسمه « لطائف أخبار الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول » . وعبد بن محمد بن أبي السرور البكري (ت ١٦٦٧) وهو صاحب مؤلفات كثيرة منها : « المنزهة الزهية في ذكر ولاية مصر والقاهرة المنزوية » و« عيون الأخبار ونزهة الأبصار » وغيرها مما اعتمد عليها شيخنا الجبرتي . وهناك أيضا أحمد الدمرداش كنيته عزبان صاحب كتاب الدرة المصانة في أخبار السكناة ، وزميله إبراهيم مصطفى صاحب كتاب تاريخ وقائع مصر القاهرة .

ويتوج هذه الأسماء الجليلة ، اسم المؤرخ الكبير الشيخ عبد الرحمن الجبرتي الذي يقف عملاقا بين زملائه من مؤرخي عصره ، فهو يتميز عليهم كثيرا بالنسبة لدقته وموضوعيته التي تفيض بالحياة الدائمة ، فضلا عن أن الشيخ الجبرتي تناول



فى موسوعته عصور ثلاث : مصر العثمانية ، والحلمة الفرنسية ، وظهور مجد على .  
ولذلك فسنتحدث عنه فى الصفحات المقبلة (١) .

## الأسبلة والحمامات

وفى ذلك العصر نشط بناء الأسبلة والحمامات فى أحياء المدينة كما لحق ببناء السبيل بعض التطور المعمارى . فقد كان السبيل إلى أواخر القرن الخامس عشر يلحق بإحدى المدارس أو يشغل ركنا من أركان المسجد أو الدار باستثناء نادر ولكنه فى العصر العثمانى استقل وحده . وأقدم الأسبلة العثمانية . . سبيل وكتاب الوالى خسرو باشا الذى بقى عام ٩٤٢ هـ (١٥٣٥) بالنحاسين ، ثم سبيل يوسف الكردى بدرب الجمان ، فسبيل الأمير محمد (١٦٠٥) ، فسبيل وكتاب القزلاز بالسيوف (١٦١٩) ، فسبيل مصطفى سنان بسوق السلاح (حوالى سنة ١٦٣٠) . فسبيل مصطفى طباطباى (١٦٣٧) . وقد وصل عدد هذه الأسبلة العثمانية قرابة المائة فكانت من أهم عوامل تجميل القاهرة ، ويمكن الوقوف عليها فى صفحات الجزء الأول من الخطط التوفيقية . . فجالنا لا يفسح للمزيد . . . .

\* أما الحمامات العامة التى تناثرت فى أحياء القاهرة العثمانية ، فىمكن التعرف عليها فى كتاب وصف مصر وقد بلغ عددها بين الثمانين والمائة ومع ذلك فإن العلامة جومار الذى كتب الدراسة الخاصة بالحمامات أكد أن القوائم التى عملت لم تقدم سوى ٩١ حماما فقط . ومع ذلك فإن خريطة القاهرة الملحقة بوصف مصر لم يظهر فيها سوى ٦٩ حماما فقط . يضاف إليها ثلاثة حمامات ذكرها جومار بعد ذلك

---

(١) لمريد من القراءة يراجع ما كتبه عنه السادة المؤرخون فى ندوة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية المنعقدة بين ١٦ و ٢٣ أبريل ١٩٧٤ . وقد بلغ عدد البحوث التى أليت ثلاثين بحثا ودراسة عن الجبوتى .

بين الحمامات الفخمة وبذلك يصل العدد إلى ٧٢ حماماً (١). وقد لاحظ العلامة أندريه ريمون في دراسته الرائعة عن القاهرة العثمانية — وجود مناطق في المدينة تتركز فيها الحمامات بدرجة ملحوظة. كمنطقة القصبة وهي الشريان التجاري الكبير الذي يمتد من القاهرة، وكنقطة القلعة حيث مقر الفرق العسكرية والأسواق الكبرى، والأحياء المحيطة بجامع ابن طولون.

كما يلاحظ وجود مناطق تكاد تكون محرومة من الحمامات وهي المناطق الواقعة عند مخوم المدينة حيث كان معظم سكانها من الفقراء وكان من أهم تلك الحمامات: حمام العربي، وحمام البابا، وحمام البارودية في باب الخرق، وحمام بشتك للرجال، وحمام الدرب الأحمر، وحمام الدود بشارع محمد علي، وحمام المقاصيص، وحمام المؤيد (للسيدات)، وحمام النحاسين أو حمام قلاوون الذي ذكره المقرئى باسم حمام السباط (ج ٢ ص ٨٠)، وحمام الصليبية (للسيدات)، وحمام الشرايبي الذي شيده التاجر الثرى محمد دادا الشرايبي قبل عام ١٧٢٥ وكانت له وكالة بامحه، ومن أهم تلك الحمامات: حمام سوق السلاح وربما كان هو الحمام الذي بناه مصطفى باشا (١٥٦٠ - ١٥٦٣)، وحمام الطنبلي البالغ الضخامة والخاص بالرجال وقد كتب عنه الفنان باسكال كوست وصفاً ضافياً... وغير ذلك كثير، وكثير ومع ذلك فلم يبق منها سوى القليل..

---

(١) د. أندريه ريمون وترجمة زهير الشايب: فصول من التاريخ الاجتماعى للقاهرة العثمانية — كتاب روزاليوسف ص ١١٥ — ١٦١ عام ١٩٧٤.

## القاهرة في أيام الحملة الفرنسية

( ١٧٩٨ - ١٨٠١ )

وصلت الحملة الفرنسية إلى مصر ولم تبق فيها زمنا طويلا ، فإن مدتها لم تزيد على ثلاث سنين ( ١٧٩٨ - ١٨٠١ ) ومع ذلك فقد تهدم كثير من أحياء القاهرة وخططها ، وفارقها كثير من أهلها ، وقد أسهب عبد الرحمن الجبرتي المؤرخ في شرح حوادث تلك المدة بأسهاب ، فمن يرغب الوقوف عليها ، فليراجع مادونه هذا العلامة . وسنوجز ما أصاب القاهرة في أعقاب دخول الفرنسيين إليها .

دخل الفرنسيون القاهرة ثاني يوم هزيمة الأمراء المماليك في معركة إمبابة ( ٢١ يوليو ١٧٩٨ ) ، فسكن بونابرت دار محمد الألفى بالأزبكية ، وسكن كل قائد فرنسي في دار من دور أمراء المماليك ثم رتبوا مجلسا من العلماء ، فاطمان الناس لذلك وعاد كثيرون إلى دورهم ، وبعد قليل أخذ الجنود الفرنسيون في تفتيش البيوت وأخذ ما يجدونه وألزموا التجار بدفع خمسمائة ألف ريال فرنسي ، ثم ضربوا مبلغا على كل حرفة ، فحصل بذلك للفقراء أشد المضايقة . ثم اتسع نطاق الفتن خارج القاهرة وداخلها ، وتوالى طلب النقود من البلاد فعمجز الناس لاسيا أهل القاهرة ، فقاوموا وتجمعوا في حي بين القصرين وعللوا المتاريس في بعض الحارات وحصل بينهم وبين الفرنسيين مناوشات شديدة ، فكانت المدافع من القلعة تضرب على الجهات المجاورة وعلى الأزهر ، فتخربت الدور وتشئت كثير من الناس أو ماتوا . وهاج سكان القاهرة هياجا شديدا في جميع الأحياء ، ولذلك أقام الفرنسيون حصونا فوق التلال المحيطة بالقاهرة وفي مصر القديمة وشبرا والجيزة ووضعوا بها المدافع ونشطوا في جمع الأسلحة من الأهالي ، وأخلوا بيوت الأزبكية من أهلها ، وأسكنوا بها رجالهم ومن انتهب إليهم .



ثم شغل الفرنسيون بمحاربة حملة حربية عثمانية قادمة لاجراج الفرنسيين ، فغادروا القاهرة وأخلوا القلاع لكن لم يظفر العثمانيون . فلم يدخلوا القاهرة فاتحين بل دخلها بعض جنودهم واشتغلوا بالنهب ، فتدارك الأمر المماليك الأمر فحصل الاتفاق على خروج العثمانيين وإقامتهم خارج القاهرة .

ولم يهدأ الحال طويلا فقد عزم أهالي القاهرة على أن تكون لهم الكلمة في طرد الفرنسيين من مدينتهم ، واستؤنفت أعمال الحرب مدة سبعة وثلاثين يوما خرب فيها خط الأزبكية وخط الفوالة وخط الرويعي إلى حارة النصارى وخربت معظم حارات بولاق أيضا من الحرق والمدم وجهة بركة الرطل وباب البحر . وانتهت هذه المقاومة بفرض مبلغ مليونين من الريالات الفرنسية على الأهالي ، فحصلوا لهم غاية الضيق في تحصيلها وأهانوا المشايخ والأعيان وضرب الشيخ السادات وحبس وأخذت منه أموال جمة ونهبت دور شق وصودر كثير منها .

وفي خلال ذلك سافر بونابرت واستخلف على القيادة الجنرال كليبر فاحتاله سليمان الحلبي في حديقة مقر القيادة بالأزبكية ، فاشتد غيظ الفرنسيين وحقنوا على أهل مصر فرأوا إحراق المدينة ، لولا أنهم قبضوا على الحلبي فقتلوه . وقتلوا معه بعض ممن اتهموا بمعاونته . وبعد أشهر تم الصلح وخرج الفرنسيون من مصر ( ١٨٠١ ) ، ثم جاء العثمانيون واستقروا بها . . إلى أن تولى محمد علي ولاية مصر عام ١٨٠٥ .

كانت القاهرة في نهاية القرن الثامن عشر تتألف من ثلاث مناطق سكانية متفرقة عن بعضها ويفصلها الخرائب أو الأراضي الزراعية ، وتلك المناطق هي - مدينة القاهرة ، وضاحية بولاق ، ومصر القديمة . وكان يربط القاهرة بضاحية بولاق طريقان : الطريق الشمالية وهي تجارية تنتهي عند باب الحديد

ومكانها الآن شارع المفجالة وكان طريقاً متعرجاً . أما الطريق الثانية فتصل  
ضاحية بولاق بالقاهرة عند ركن الأزبكية مارة بمسجد أبي العلاء فالأزبكية ،  
ثم تصل إلى القلعة وقد عني الفرنسيون بهذه الطريق فأقاموا جسراً عريضاً  
يتناسب مع أعمالهم العسكرية . وكان يربط القاهرة بضاحية مصر القديمة - الخليج  
المصري وكان عرضه عشرة أمتار تقريباً ، كذلك يربطها شارع المعز لدين الله  
بمصر القديمة وكانت تحف هذا الشارع الرئيسي الأسواق الكبيرة والصغيرة .  
أما المقابر فكانت مبعثرة في داخل المدينة بالقرب من دور الأحياء ، كما كانت في  
شمالها الأشرقي أو في جنوبها .

اهتم نابليون بونابرت أثناء إقامته بمصر بسن لوائح لتنظيم إقامة المباني وفتح  
الشوارع وتنظيف الأحياء ورشها وإنارتها ، ثم أنشأ بعض الميادين والشوارع  
لخدمة الأغراض الحربية وتسهيل نقل الجنود وعتادهم ، ك ميدان الأزبكية والمفجالة  
وشارع بولاق ، كما أنه أزال بعض البوابات القديمة التي كانت تقسم المدينة إلى  
عدة نواح وأحياء ، وذلك لتيسير إدارة المدينة وتدير أحوالها .

### خريطة القاهرة

ولكي يسيطر العسكريون على القاهرة ويتيسر لقواتهم التحرك فيها ، كان  
لابد لهم أن يستر شدوا عند كتابة تعليمات القادة وأوامرهم للجنود أن تكون لديهم  
الخرائط الموضحة التي تيسر لهم مهامهم . لم يكن في أيديهم شيء من هذا القبيل  
ولذلك بدىء العمل بسرعة في رسم خريطة للاسكندرية وأخرى للقطر المصري ،  
وثلاثة لمدينة القاهرة . وقد بدأ ضباط المساحة العسكرية والمهندسون في تقسيم  
المدينة إلى أجزاء وقامت كل جماعة منهم برسم الجزء الخاص بها وهكذا نهض  
جاكوتين Jacotine وجماعته بجميع المعلومات الخاصة بخريطة لنواحي القاهرة ،

في حين نهض رئيس الجماعات وهو Jestevuide بأعداد رسم خريطة مصر بعد أن حدد مقياس رسمها . . . وفي منتصف أكتوبر عام ١٧٩٨ كان العمل في خريطة القاهرة على وشك الانتهاء . فقد كانت المنافسة شديدة جدا بين المهندسين للمدنيين منهم والعسكريين في سبيل انجاز تلك الخرائط . وهو جز القول أصبحت للقاهرة في نهاية عام ١٧٩٨ خريطة واضحة عليها جميع المعالم الطبوغرافية المقيمة وأصبحت أساسا فيما بعد لجميع الخرائط التي رسمت للقاهرة وغيرها من المدن الرئيسية ، وما زالت هذه الخريطة تقدم للمعلومات الوفيرة لمؤرخي القاهرة منذ العصور الوسطى حتى نهاية القرن التاسع عشر .

#### \* الجمع العلمي المصري

ولم يسكد يفرغ القائد بوناپرت من انتصاره على المماليك في معركة إمبرابة ، حتى أصدر قرارا في ٢٠ أغسطس ١٧٩٨ بإنشاء أول مجمع علمي في القاهرة Institut d'Egypte ، هكذا اسماء واختير العلامة مونتج Monge رئيسا له ، وبوناپرت نائب رئيس ، وفورييه Fourier سكرتيرا مدى الحياة . وكان هذا المجمع العلمي المصري يضم على غرار شقيقه الأول — مجمع فرنسا العلمي ( Institut Egyptien ) أربعة أقسام : (١) قسم الرياضيات (٢) قسم الطبيعة (٣) قسم الاقتصاد السياسي (٤) قسم الآداب والفنون الجميلة . وكان الباعث على إقامة هذا المجمع (١) العمل على تقدم نور العلم في مصر ونشره في أبحاثها ، (٢) بحث ودراسة ونشر أحداث مصر التاريخية ومرافقها الصناعية وعوامها الطبيعية . وبد ثلاثة أيام من تأليف هيئة هذا المجمع عقدت جلسته الأولى في بيت حسن كاشف أحد أمراء المماليك بحى القاصرية وقد صرت بهذا المجمع حوادث كثيرة عقب رحيل الفرنسيين حتى دبت الحياة إلى المجمع المصري في ٦ مايو سنة ١٨٥٩ في مدينة الاسكندرية تحت اسم Institut Egyptien بفضل وإلى مصر محمد سعيد . وفي غضون سنة ١٨٨٠ انتقل المجمع المصري



إلى القاهرة ، ومنذ ذلك الحين وهو ينهض برسائله العلمية العالمية بفضل سبعين  
عضوا عاملا وخمسين عضوا منتسبا في الخارج . والجدر بالذكر أن للمجمع  
مكتبه تعتبر من أغنى مكتبات مصر العلمية .

### موسوعة وصف مصر

ومن أهم منجزات علماء الحملة الفرنسية - الذين رافقوا القادة العسكريين  
أثناء الأعوام الثلاثة القاسية كتابة الموسوعة الضخمة عن مصر المعروفة  
Description d'Egypte - وصف مصر . فهي تعتبر بحق أول موسوعة  
بالفرنسية عن مصر في القرن التاسع عشر تناولت أحوال البلاد في دراسات لنواحيها  
المختلفة بالإضافة إلى مئات الصور والرسوم والخرائط . وتعتبر إلى اليوم بين  
المراجع القيمة في شئون مصر وفي الوقت نفسه شهادة تقدير للعلماء والفنانين  
الفرنسيين (١) .

---

(١) مما يثابح الصدور أن نهض الأستاذ زهير الشايب بترجمة هذه الموسوعة إلى اللغة  
العربية خلال النصف الثاني من القرن العشرين دون أن يعنى أحد بترجمتها منذ عام ١٨٢٥ .  
فالله العكر والثناء لقد فاز بجائزة الدولة التشجيعية في الترجمة .

## القاهرة في القرن التاسع عشر

في أيام محمد علي وخلفائه ( ١٨٠٥ — ١٨٥٥ )

تدهورت القاهرة وآل إليها الإهمال في القرنين السابع عشر والثامن عشر ، ثم دمرها الفرنسيون في ثلاث سنوات . إن ما بقي من آثار دور الأمراء والحكام ومساجدهم ومدارسهم ، صار مساكن للمحتاجين والمشعوذين ، ومعاطن للدباغ وملقى للأوساخ . ولقد أحاطت القلال بالقاهرة وعوضا عما كان بالقرافة مساجد وأضرحة وقصور ، وبانفساط من مدارس وديارات ، أصبحت معظمها خاوية على عروشها . . لا ترى إلا خرابا ممتدا أينما قصدت وبركا آسنة يتصاعد منها ما يزعج الأنوف ؟

لم يكن بالقاهرة حينذاك سوى ميدانين : ميدان الأزبكية في غرب القاهرة وميدان قره ميدان في جنوبها تحت القلعة ، وكانت قد خربت جميع الميادين والرحاب التي تكلم عنها المقرئ وكان عددها تسعة وأربعين ، فنذ صارت مصر ولاية عثمانية ، احتكر للناس أرض البساتين والليادين والرحاب وشيدوا فيها . ثم لما كثرت الفتن وتوالت المحن والمجاعات صارت المدينة الجميلة تلالا من الخرائب والأنقاض !

وفي عام ١٨٠٥ تقلد محمد علي حكم ولاية مصر ، ففضى على منافسيه وأدرك أن حالة القاهرة أصبحت لا تليق بمجد البلاد وشهرتها التليدة . فوجه عناية حكومته إلى إزالة الدور الخربة ، والقضاء على الخرائب التي تشوه العاصمة ، فصدرت الأوامر في سنة ١٢١٥/١٦ بأعداد حملة من المهندسين للكشف على

دور القاهرة ، فإن وجدوا بها خللاً أمروا بإصلاحه أو هدمه . وذكر الجبرتي ضمن حوادث شهر ذى القعدة عام ١٢٣١ هـ - ١٦/١٨١٥ ، أن الباشا أطلق المتادين في شوارع القاهرة وأحيائها ، وتذب جماعة من المهندسين وملاحظي المباني لاكتشف على الدور والمساكن فإن وجدوا بها خللاً أمروا أصحابها بهدمها وتعميرها ، فإن كان يعجز عن ذلك يؤمر بإخلائها حتى يعاد بناؤها على نفقة الحكومة وتسكون من أملاك الدولة وكان سبب هذا الأمر سقوط بعض الدور وموت الناس تحت أنقاضها (١) .

ثم اتجه نشاط الحكومة إلى إزالة الكيان من القاهرة وغرس الأشجار ، وكان ذلك في عام ١٨٢٩ فازيلت الكيان المجاورة للقصر العالي ( جاردن سقى ) والمعروفة بكوم العقارب وكان مسطحها تسعة أفدنة فازيلت في قرابة عام ، وكذلك أزيلت التلال السكائنة بين حى الناصرية وجاردن سقى ومساحتها ٣٨ فدانا وغرست بأشجار الزيتون وغيرها (٢) وكذلك أزيلت الأكمة التى كانت تسد الطريق إلى شبرا بجوار قنطرة الليمون وحولت إلى منتزه (٣) .

أرادت الحكومة أن تعجل بعمارة القاهرة وأن تتخلص من خرائبها ، فصدر قرار بتعمير أراضى الخرائب ، سواء أكانت مملوكة أم موقوفة ، وذلك في عام ١٨٣١ بعد إحصائها (٤) .

وفي عام ١٨٣٧ صدر نون بمعاينة المساكن الآيلة إلى السقوط ، وإزالتها

---

(١) الجبرتي : عجائب الآثار ج ٤ ص ٢٥٣ .

(٢) تفويم النيل ج ٢ ص ٥٣٢ .

(٣) الوقائع المصرية رقم ١١٤ ( ٢ رمضان سنة ١٣٤٥ ) .

(٤) وثيقة رقم ٨٦ بتاريخ ١٩ ربيع الثانى سنة ١٢٤٧ ، ووثيقة ١٩١ بتاريخ ١٩

ربيع الثانى سنة ١٢٤٧ .



مع الجيشان والدور المتخربة المستعملة كستودعات للقاذورات والتنبيه على أصحابها  
ببنائها مساكن ، وذلك في ظرف ثلاثين يوما ، وإلا عرض العقار للبيع ، فإن  
لم يتقدم مشتر اشتريته الحكومة ، وإن كان تابعا لوقف تنبه على ناظره بالبناء ،  
فإن لم يستطع يصير استبداله .

وفي عام ١٨٤٦ استعجل الأمر الصادر بتوسيع أركة وفتح شوارع الموسيقى ،  
وقطع كوم سلامة ، وشوارع بولاق وفم الخليج والقلعة (١) .

وكان الباشا قد أصدر أمره في ٨ ذى الحجة سنة ١٢٥٩ هـ - ديسمبر ١٨٤٣  
بإنشاء مجلس للإشراف على تزيين وتجميل القاهرة وتعديل طرقها أسوة بما  
استحدثت بالأسكندرية ، وكان المجلس مؤلفا من رشيد أفندي مفتش الأبنية  
الأميرية ، ولينان دي بلفون مهندس القناطر ، والمهندس مصطفى بهجت رئيس  
قلم الهندسة بديوان المدارس (٢) . وفي ١٢٦٤ هـ - ١٨٤٧ ورد ذكر مجلس  
تنظيم « المحروسة » في الأمر الصادر بترقيم الدور وتسمية شوارع القاهرة .

وفي العام المذكور ( ١٨٤٧ ) شرع في توسعة الشارع من باب الحديد إلى  
الظاهر ، والمتصل بطريق السويس ، وأجرى توسيع شوارع درب الجماميز  
وباب الحلق ، والمشهد الحسيني ، ثم غرست الأشجار في الطرقات ، ومهدت  
طريق متسعة بين مصر وشبرا غرست على جانبيه أشجار الجميز واللبنج وكان من  
أجل شوارع القاهرة المؤدية إلى قصر محمد علي بشبرا . وردمت بركة الأزبكية  
تمهيدا لتحويلها إلى منتزه عام (١) ، ثم غرست الأشجار على حافتي طريق الرمية  
وقره ميدان تحت القلعة .

---

(١) الوقائع المصرية .

(٢) دئير ٢٠٩١ ورقة ١٤ ديوان المدارس .

(٣) الوقائع المصرية رقم ٨٩ في ٢٣ ذى القعدة سنة ١٢٦٤ .

وكان القائد ابراهيم يعاون. أيه وذلك لكي تسمو القاهرة إلى المستوى اللائق بعاصمة البلاد ، ولذلك قدم مساعدته إلى مهندسه مسيو « بونفور » لازالة أكروام الأنقاض الواقعة بين النيل وبولاق ومصر والفسطاط وطلب إليه إنشاء متنزعات خاصة مكانها فتجلبث الرياض الفيحاء تزينها الأشجار الباسقة . واختفت تلال حى الناصرية وفي أحياء الظاهر والفجالة وكانت تلقى الأنقاض وتطرحها فى البرك المجاورة لاسيما فى بركتى الرطل والطبالة وغيرها حتى تخلصت منها القاهرة وحلت محلها البساتين والمزارع ، وجففت أكثر البرك والمستنقعات التى كان الفيضان وعدم العناية يحولانها إلى مستنقعات تتولد فيها الجراثيم .

وقبل وفاة محمد على بثلاث سنوات ، كان قد أمر بفتح شارع السكة الجديدة وكان ذلك فى عام ١٢٦٢ هـ / ١٨٤٦ واشترت الأملاك التى تقابل الشارع فى مروره ، وعمل له رسم بقلم الهندسة التابع لديوان المدارس . وفى زمن ابنه عباس الأول استمر العمل فى فتح الطريق إلى أن وصل إلى شارع النحاسين . وفى زمن الخديوى اسماعيل امتد إلى جهة الغرب وزيدت عليه الأرصفة على جانبيه فى أيام ابنه توفيق .

### بولاق

والجدير بالذكر أن طريقا بين للقاهرة وضاحيتها بولاق أنشئت فى أيام محمد على . وكان الفرنسيون قد بدعوها وفى بولاق تمت ضاحية صناعية جديدة فيها المسابك والمصانع وقامت منطقة مثلها تعرف اليوم بالسبتية .

وفى بين بولاق وشبرا على ساحل النيل أقيمت الورش الكبرى والمطبعة الأميرية ودار الصناعة الكبرى والمباني الحكومية وحظيرة واسعة أطلق عليها اسم « المبيضة » وكانت تبيض فيها الأقمشة بالأساليب المستحدثة ، وأنشئ مصنع للجوخ على شاطئ النيل أمتاز بجودة سلعه . وأزيلت أنقاض بولاق مما تبقى منذ أيام الحملة الفرنسية وحولت إلى حى صناعى راق . فقامت فيه المصانع والمخازن

ومما كن المهندسين ومدرسة صناعية. وقد وصف رحالتان أحدهما بريطاني وهو « تيلور » ( ١٨٣٩ ) وثانيها فرنسي اسمه كومب ( ١٨٤٧ ) ما طرأ على بولاق من النشاط العجيب الذي كان معدوما في نهاية القرن الثامن عشر ، بل وأوائل القرن التاسع عشر .

### بركة الفيل وجزيرة الروضة

هذا ما كان في وسط القاهرة وشماليها ، فكيف تطورت للمدينة في جنوبها ؟ عاد العمران إلى جزيرة الروضة حينما أخذ ابراهيم باشا وبعض الأمراء والحكام يشيدون قصورهم ويعنون ببساتينهم . ففي جنوب الجزيرة شيد قصر حسن للاستترلى بالقرب من مقياس النيل ، ولا تزال قطعة منه هناك . وفي الجهة البحرية أقيم البستان العظيم الذي أنشأه القائد ابراهيم للنزهة وكان الناس يترددون عليه في أيام الأعياد وشم النسيم وقد احتوى على الأشجار المنوعة المجلوبة من الشرق الأقصى ، وعلى أنواع الحيوان والطيور كما كان به خلجان تجرى فيها المياه . وعلى الجانب الشرقي للجزيرة كانت قصور الأمراء وبساتينهم ، منها قصر سليم باشا الجزا ئلى ، وبستان للندورة وأرض السيدة البارودية ، وأرض حسن باشا يسكن ، وقصر وحدائق على باشا شريف ، وقصر وحديقة ذى الفقار باشا ، ثم قصر وبستان الخديوى اسماعيل ، والطريق الموصلة إلى مسجد قايتباى بوسط الجزيرة تفصل هذا القصر عن قصر والدته عباس الأول . أما الشاطئ الغربى للجزيرة للمقابل لمدينة الجيزة يليه من الجهة الجنوبية قصر أمين باشا يليه أرض حسين يكن باشا ثم أرضى على شريف باشا ، فأرض للخديو اسماعيل ثم مثلها للفريق أحمد المنكلى باشا . . وغيرها .

وفي طرف الجزيرة ( الروضة ) أقيم معمل للبارود بعيدا عن المساكن وتولى إدارته الفرنسي « بارتلا » .



## بركة الفيل

كذلك كان الحال في بركة الفيل ، فقد أمر محمد علي أن تروم فجىء لها بالأتربة من التلال القريبة والاتقاض المجاورة وغرس على حافتها الأشجار وشيد بالقرب منها قصران عظيمان عرفا بقصر الخلية ودرب الجماميز ، وبني أتباعه الدور الفخمة وأصبح سكان حى بركة الفيل من صفوة القوم ومعظمهم من الأتراك .

وكانت أهم جوامع هذا العصر - الجديدة : مسجد محمد علي الذى اختار له أجل بقعة في القاهرة وهى القلعة وقد بدأ عمارته سنة ١٢٤٦ هـ / ١٨٣٠ ، كما جددت في أيامه مساجد أخرى كـ مسجد عمرو بن العاص ومسجد السيدة زينب .

هكذا اتسعت القاهرة خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر في اتجاه الشمال إلى شبرا وفى اتجاه الغرب إلى بولاق التى أصبحت نجر القاهرة فى الشمال . وامتدت بل زاد عمرانها فى القلب ( حى بركة الفيل والصلبية ) وفى الجنوب ( مصر القديمة وجزيرة الروضة ) . ولعل أهم ما لحق بالقاهرة فى تلك السنين إزالة الخرائب والاتقاض التى شوهت للمدينة الحاضرة سنين طويلة .

## نهضة التعليم

شاهدت القاهرة فى أيام محمد علي نهضة علمية رفيعة وأدرك أن لإبد من سباق نشيط مع الزمن ليعوض ما فات على البلاد ، وصرعان ما نظم ديوان المدارس ليستعيد به الوالى على وضع نظم التعليم وإنشاء المدارس وبرامج التعليم وكان على رأسه موظف مستير كنفه اسمه مصطفى مختار بك وأصبح مسيطرا على جميع المعاهد العسكرية والمدنية ومديرا على المصانع والمشاغى والمؤسسات التى استجدت . واجدير بالله كره أنه كان لسلك مدرسة مجلس التعليم والتنظيم يجمع أعضاؤه

ممرات كثيرة أثناء الشهر ثم يقدم تقريراً عن أعماله خلال كل شهر لديوان المدارس ، وكانت جميع المعاهد تتبع النظم العسكرية . وفي عام ١٨١٥ افتتحت مدرسة الهندسة والمساحة . وفي عام ١٨٢٤ افتتحت مدرسة الموسيقى ثم افتتحت المدرسة الحربية ( ١٨٢٥ ) في قصر العيني ، ونقلت فيما بعد ( ١٨٣٢ ) إلى أبي زعبل . وفي عام ١٨٢٧ افتتحت مدرسة الطب والصيدلة ( ١٨٢٧ ) في أبي زعبل وكان الطبيب كلوت بك في الواقع محركها الدافع ومسيرها على الأسلوب الفرنسي ، وفي عام ١٨٣٧ انتقلت إلى القاهرة في قصر العيني وبعد عام افتتحت مدرسة أخرى للطب في الإسكندرية وكانت مدة الدراسة خمس سنوات . وفي عام ١٨٣٢ افتتحت مدرسة المشاة للجيش بالخانقا ، ثم نقلت بعد عامين إلى دمياط ، وفي ١٨٤٢ عادت إلى القاهرة . وفي عام ١٨٣١ أنشئت مدرسة للغرسان بالجزيرة كما افتتحت في السنة نفسها مدرسة المدفعية في طره . أما المدرسة البحرية فقد أنشئت برأس التين في الإسكندرية لتسكن قرية من دار الصناعة ( الترسانة ) والميناء التي دب فيها النشاط البحري . وأنشئت مدرسة للطب البيطري عام ١٨٣١ بأبي زعبل ثم أغلقت بعد أشهر لتفتح مرة أخرى عام ١٨٣٧ .

أما مدرسة الزراعة فقد نهضت عام ١٨٣١ وافتتحت مدرسة المهندسين العليا عام ١٨٣٤ وغرضها إمداد القوات المسلحة بالمهندسين العسكريين الأكفاء ، كذلك افتتحت مدرسة للغات ( الألسن ) عام ١٨٣٦ وكانت تدرس فيها اللغات الفارسية والعربية والتركية والفرنسية وكان من أهم أهدافها تخريج مترجمين يضطلعون بترجمة الكتب الأجنبية إلى العربية — وبالإضافة إلى إنشاء تلك المعاهد الخاصة كانت هناك مدارس التعليم العام وكان التعليم في جميع هذه المدارس بالجان وفي بعض الأحيان كان يتلقى التلاميذ المصروفات والملابس علاوة على الغذاء .

## البعثات للخارج

وانتجبه نشاط محمد على بهمة إلى إيفاد البعثات الكبرى إلى البلدان الأوربية للتخصص في جميع العلوم والفنون والصناعات ، واقتباس النظم الحديثة التي يصلح استخدامها في المدارس المصرية .

## الطباعة الحديثة في بولاق

وأسست في مصر أول دار للطباعة العربية تجاور مصنعا لصناعة الورق بمد المطبعة بما تحتاج إليه ، ومسبك لسبك الحروف العربية بأشكالها المتنوعة . ونحوات منطقتا بولاق والسبتية إلى منطقة صناعية فيها مسابك الحديد ومصانع الأقمشة للنبعة وورش النجارة والحداة . . الخ .

## الأزهر في بولاق

رأينا محمد على ورجاله ينهضون بمعاهد العلوم الحديثة وينشئون لها كبر مصر شعوب العالم في العلم والمعرفة ، فإذا كان نصيب الأزهر من تلك العناية ؟ الواقع أنه كان في مقدمة أعمال محمد على وهو يبحث عن مصادر الأموال التي ينفق منها على مشروعاته الطامحة — أن أحصيت جميع الرزق والأوقاف المرسدة على للمساجد وأعمال الخير ، السكائنة بالقطر ، وأوقاف سلاطين مصر للمتقدمين وخيراتهم ومساجدهم وأضرحتهم ، وفرضت عليها الأموال الباهظة ( سنة ١٢٢٧ هـ / ١٨١٢ م ) . فاحتج المشايخ على ذلك وحاولوا عيئاً مخاطبة الباشا في إلغاء قراره (١) وكان لذلك أثره في اقتطاع موارد الأزهر ، وفي التضييق على الأساتذة والطلاب ،

(١) الجبرتي عجائب الآثار ج ٤ ص ١٥٨ و ١٦٤ — تاريخ الجامع الأزهر للدكتور =



يقول الدكتور فولز Vollers في دراسته عن الأزهر في دائرة المعارف الإسلامية لم يتورد محمد علي في أن يصادر الأراضي الموقوفة على الأزهر ، وهي واسعة الرقعة بالرغم من أنها موقوفة عليه ، وبذلك أوقع أضراراً بليغة بالأساتذة والطلاب ، ويلاحظ العلامة المستشرق Edward Lane فيقول :

أنه قد نزع ملكية الأراضي التي كانت مملوكة للأزهر وقل عدد الطلبة الذين ينتمون إلى الأروقة قلة ظاهرة (٢) .

وبقي الأزهر طيلة قرابة خمسين سنة شبه معزول عن النهضة العلمية وانكماش نفوذه القديم انكماشاً واضحاً ، لكنه أخذ منذ عصر اسماعيل حفيد محمد علي يتأثر بتيار الحركة الإصلاحية المنبثقة وينفض عنه غبار الركود ، وحدث في ذلك العصر حادث كان له أثر عميق في مضاعفة وعي الأزهر — ذلك هو مقدم العلامة والمصلح الكبير السيد جمال الدين الأفغانى إلى مصر سنة ١٨٧١ واتصاله بالأزهر وطلابه (٣) .

### رحالة وعلماء أوروبيون

اجتذبت القاهرة في أيام محمد علي نفراً من الأجانب الذين قدموا إلى مصر لخدمتها أو لمشاهدة ما سمعوه عنها في أعقاب حوادث الحملة الفرنسية في مصر . ونذكر من هؤلاء القائد سليمان الفرنساوى ( Colonel Seves ) الذى أخذ على

---

محمد عبد الله عنان : القاهرة ١٩٥٨ — الطبعة الثانية ص ٢٢٩ .

(٢) E. Lane : Manners and Customs of Modern Egyptians

( Everyman ed. ). p. 21.

(٣) محمد عبد الله عنان : المصدر السابق ص ٢٥٢ .

عاقبه تنظيم الجيش المصرى الحديث وتدريبه على النمط الأوروبى ، والطبيب  
الفرنسى كلوت بك الذى يرجع اليه الفضل فى ادخال الطب الحديث كما عرفته  
أوروبا فى ذلك الحين . عاش الاثنان فى القاهرة معيشة المواطنين وامتزجا بهم وقدموا  
أجل الخدمات للمصريين .

وفى أوائل سنى حكم محمد على وقد على الإسكندرية ( ١٨٠٦ ) الأديب  
الفرنسى شاتوبريان ، وبعد أيام قضاها فيها ورشيد قصد القاهرة وفى اليوم التالى  
لوصوله طلب السماح له بمقابلة الوالى بقصر الجوهرة بالقلعة وكان الباشا غائبا فتاب  
فى استقباله أحد أبنائه الأمراء . وزار شاتوبريان جزيرة الروضة والأهرام  
وسقاره وميدان معركة الأهرام . وبعد عشرة أعوام من زيارة شاتوبريان مر  
بمصر فى أواخر عام ١٨١٧ الكونت دى فوربان ( de Forbin ) . وقد وصف  
فى كتابه مدينة القاهرة وصفا سريعا عقب زيارة بعض مساجدها ووكالاتها  
وحماماتها وأسواق الرقيق وقد ابتاع صبية جركسية رائعة الجمال دفع لصاحبها  
سته آلاف من الجنيهات . وجاء بعده طائفة من الرسامين المشهورين وعلماء الآثار  
وفى طليعتهم شامبوليون الكبير مكتشف اللغة المصرية القديمة ، والمؤرخ  
جوزيف ميشو ( ١٨٣٠ ) وجماعة « سينت سيمون » ( ١٨٣٣ - ١٨٣٦ ) ، وقاموا  
بعدة دراسات فى طبيعتها قتاة السويس والقناطر الخيرية . ولا ننسى أن نذكر  
المهندس الفنان « بريس دافن » ( Prisse d'Avenness ) الفرنسى الذى عمل  
بالتدريس فى بعض المعاهد الخاصة وقدم عدة مشروعات هندسية للحكومة . وقد  
عشق بريس دافن العمارة العربية ، ويشهد بذلك كتابه النفيس فى العمارة العربية  
ولا يزال إلى اليوم مرجعا ملهما .

تنتقل بعد ذلك إلى شخصية نادرة أحببت مصر والمصريين لاسيما القاهرة وشعبها ، عشق هذه المدينة حينما كانت مرآة صادقة لمدينة تشع منها ألوان الفنون والتقاليد الإسلامية الأصيلة . كانت رحلته الأولى إلى مصر ( ١٨٢٥ - ١٨٢٨ ) ، فوصل القاهرة في اليوم الثاني من أكتوبر ١٨٢٥ وألقى مركبه مرساء في بولاق ميناء القاهرة ومضى مع زملائه إلى المدينة ليقوم بمنزل القنصل البريطاني . أعجبه القاهرة وعزم على أن يتخصص في الكتابة عن أحوال أهلها وعاداتهم بعد أن يتعلم العربية عن أساتذة كبار — لكنه اضطر إلى السفر إلى موطنه لوضع تدابير رحلته الثانية إلى مصر ( ١٨٣٣ - ١٨٣٥ ) ، ومع جده ونشاطه و مثابرته أصبح ادوارد لين عالما ملما بالعربية ، ومن هنا نهض بدواسته بثوذة وكان يعاونه على ذلك خلة الحميد ومسلكه مع المصريين أثناء إقامته بينهم . سافر علامتنا إلى وطنه ليعود ثانية ليمضى رحلته الثالثة ( ١٨٤٢ - ١٨٤٩ ) وفي أثناء تلك الرحلات الثلاث التي قضى معظم سنيها في القاهرة (١) اتم علامتنا ادوارد وليم لين المؤلفات الآتية :

١ — وصف مصر Description of Egypt وهو مخطوط يصف

مصر من سنة ١٨٢٥ — إلى ١٨٢٨ .

٢ — المصريون المحدثون — عاداتهم وشمائلهم ، ١٨٣٩ —

An account of the Manners and Customs of Modern Egyptians

٣ — ألف ليلة وليلة — صدر أولا في أجزاء شهرية ١٨٣٨ — ١٨٤٠

The Thousand and One Nights.

(١) عدلى طاهر تور : المستشرق الكبير ادوارد وليم لين — حياته ومؤلفاته —

القاهرة ١٩٧٣ .



٤ — مختارات من القرآن . ١٨٤٣ . Selection from the Koran.

٥ — الفاموس — ١٨٦٣ . An Arabic English Lexicon.

٦ — المجتمع العربي في العصر الوسيط — ١٨٣٣

Arabian Society in the Middle Ages.

٧ — القاهرة منذ خمسين عاما — ١٨٩٦ ( بعد وفاته ) أخرجه العلامة  
المستشرق ستانلي لين بول .

وفي عام ١٨٤٩ ، وهى السنة التى توفى فيها محمد على الكبير — كان إدوارد  
لين قد أتم رحلته الثالثة فى وطنه الثانى مصر — وكانت حصيلتها اتمامه الجزء  
الثالث من قاموسه الكبير — وفى العام نفسه كان العلامة الأثرى البريطانى  
سيرجون جاردنر ولكنسون قد كتب دراسة عن العمارة فى مصر القديمة . وتشاء  
الصدف أن يزور مصر فى عام ١٨٤٩ — الأديب والروائى الفرنسى  
Jestave Flaubert والسيدة فلورنس نايتنجيل بطلة حرب القرم المعروفة ،  
وتشارلس سبيك Charles Speke رائد منابع النيل ومؤلف كتاب « منابع  
نهر النيل » ، وأوجست مارييت Auguste Mariette قبل تعيينه أميناً لقسم الآثار  
المصرية فى متحف اللوفر وقبل كشفه معبد سيرايس ومقابر عجول أيس . إلخ .

### • حركة التعريب .

والجدير بالذكر أن حركة الترجمة إلى اللغة العربية ، والتأليف والنشر ،  
نشطت فى أيام محمد على بفضل بعض العلماء العباقرة ، أمثال الشيخ رفاعة رافع  
الطحاوى بعد عودته من فرنسا ، وقيامه بشت أعمال الكتابة والترجمة بالإضافة

إلى التدريس في مدرسة الآسنة (١) وتأليفه طائفة من الكتب العلمية في شق  
المبادئ ، لاسيما الرسائل الحرية وكتب الطب والفنون الحديثة .

### صدور الوقائع المصرية

وفي أيام محمد علي صدرت أول جريدة عربية في القاهرة بالمعنى الفنى  
المعروف هي الوقائع المصرية وقد أنشئت بمعونة الأستاذ رفاعة الطهطاوى  
(ت ١٨٧٣) وكانت تصدر أولا بالتركية والعربية ثم حررت بالعربية ونولى  
تحريرها نخبة من أفاضل الكتاب ، كالشيخ حسن العطار ، والسيد شهاب ،  
والشيخ محمد عبده ، والشيخ عبد الكريم سليمان . .

---

(١) د. محمد خلف الله أحمد : معالم التطور الحديث في اللغة العربية وآدابها (١) . الجمعية  
المصرية للدراسات التاريخية القاهرة ، ١٩٦١ .

## القاهرة في أيام الخديوى اسماعيل

( ١٨٦٠ - ١٨٨٠ )

تولى اسماعيل (١٨٦٣) حكم مصر في أعقاب وفاة عمه سعيد، فواصل سياسة جده محمد على في العناية بعمران القاهرة . ولذلك أمر بإزالة ما بقى في شمالها من تلال الأنقاض ويردم ما لم يردم من البرك الأسنة وتنظيف شوارع الأحياء لاسيما في حى قلعة السكيش جنوب الصليبية والسيدة زينب كما أمر بتعميم السكس والرش .

### • تخطيط القاهرة الحديثة .

لما عاد الخديوى اسماعيل من باريس عام ١٨٦٧، قرر أن يجعل بستان الأزبكية (وكان قبل ذلك بركة ردمها محمد على) على شاكلة حدائق باريس ، ومن ثم أصبحت من أبهى المنزهات وبلغت مساحته ثمانية عشر فدانا تضيئها الأنوار وتزينها النافورات وتتلوى فيه البحيرات وقد احتفل بافتتاح الحديقة في عام ١٨٧٢ . ومنذ ذلك الحين أصبح ميدان الأزبكية مركزا للأحياء الجديدة التى خططت ، فأوصله بحى الموسيقى شرقا، ثم اتجه إلى غربية فأزيل ما كان يعرف بباب الجنينة ، وخط إلى جنوبه بميل فى اتجاه الغرب — الأحياء الجميلة التى تعرف اليوم بأحياء التوفيقية والامماعيلية وطابدين بعد أن أقام فى طرف الأزبكية الجنوبي مسرحين فخمين هما المسرح الجديد ودار الأوبرا ( ١٨٦٩ ) .

واختط فى تلك الأحياء الطرق المريضة الغليظة التى مازالت من أهم مسالك القاهرة ، منها شارع عبد العزيز وشارع قصر النيل وشارع سراي الامماعيلية غربا وغيرها .



أما في جنوب القاهرة، فخطت طرق جديدة، واتمت دروب وأزقة كثيرة،  
فاتصلت أحياء السيدة زينب بحى عابدين، وأنشئ الميدان الفسيح أمام قصر  
عابدين الذى أنشئ ليكون مقرا للحكم بدل قصر الجوهرة بالقلعة.

### الاسماعيلية والثيرة والمبتديان

كان يشغل حى الاسماعيلية والانشاء، أراضى اللوق وميدانى الصالح نجم  
الدين أيوب، والناصر محمد بن قلاوون وبستان الفاضل، وقد بلغ العمران في  
تلك المنطقة في أيام الناصر محمد بن قلاوون ذروته وكماله، لاسيما بعد أن تم حفر  
الخليج الناصري، فكان على حافته من أوله عند قصر العيني إلى منية السيرج  
كثير من قصور الأمراء والأعيان في أيام المماليك ثم خربت وتحوات إلى كثبان أثرية  
وبرك مياه وأراض سيخة، وفي السبعينات من القرن التاسع عشر صارت على  
قول على باشا مبارك: «من أبهج خطط القاهرة وأحضرها» وأنشئت فيها الشوارع  
والحارات على خطوط مستقيمة وأغلبها متقاطع على زوايا قائمة، ودكت شوارعها  
وحاراتها بالحجر، ونظمت على جوانبها الأفاريز، ومدت في أرضها أنابيب المياه،  
وأقيمت عليها عمد المصاييح الغازية، وسكن الاسماعيلية الأمراء والأعيان ومنهم:  
حسين باشا الدرمللى، وأحمد باشا خيرى ومحمود باشا الفلكى، وعمر باشا  
إطفي وغيرهم، وقد بلغت مساحة الاسماعيلية ٣٥٩ فدانا.

ويمكن تلخيص أهم أعمال الإصلاح التى تمت في القاهرة خلال النصف الثانى  
من القرن التاسع عشر فيما يلى:

#### • تحويل مجرى النيل

كان المجرى الرئيسى يمر في الجهة الغربية محاذيا لشارع الدقي الحالى مارا  
بيولاك الدكرور وامبابه، بينما كان الفرع الشرقى أو النيل الحالى عبارة عن سيالة  
ضيقة تنحسر عنها المياه أكثر فصول السنة لارتفاع منسوب قاعها وكان السقاؤون

ينقلون المياه منها إلى أحياء القاهرة ، فكانت سبباً في انتشار كثير من الأمراض كما كانت تلك السيالة في نفس الوقت موطناً للبعوض . فلما تولى الخديوى اسماعيل حكم مصر سنة ( ١٨٦٣ ) وضع في مقدمة مشروعاته الإصلاحية ا تعمير مدينة القاهرة مشروع تحويل مجرى النيل الأصل من الجهة الغربية إلى الجهة الشرقية محاذياً لمدينة القاهرة .

بدأ ديوان الهندسة بإجراء عملية التحويل بإقامة جسر في النيل في أواخر سنة ١٨٦٣ يبدأ من مدينة الجيزة ويمتد إلى امبايه وقد تمت العملية في سنة ١٨٦٦ وأخذ النيل يسير في مجراه الحالى ، وبذلك تم أول مشروع حيوى كان له أكبر أثر في اتساع القاهرة وتحديد ساحل النيل بجسرين قويين .

### حي الزمالك ووصل نشاطى النيل

نتج عن تحول مجرى النيل الرئيسى من الضفة الغربية إلى الضفة الشرقية أن تسلط تيار النهر على الجزء الجنوبى من الجزيرة الكبيرة وكان ساحلها الجنوبى قريب الاتصال من جزيرة الروضة — كذلك أثر في الساحل الشرقى للجزيرة فتآكل جزء كبير منه عند توسيع مجراه خصوصاً في المنطقة المواجهة لحي بولاق وكان النشاط البحرى للجزيرة ينتهى عند شارع ٢٦ يوليو (فؤاد الأول) حيث تبدأ المنطقة المعروفة حالياً باسم الزمالك، ولم يكن موجود بها في ذلك الوقت سوى قصر للنزهة أنشأه محمد على مكان نادى الضباط الحالى .

وعند مدخل القاهرة في شمالها ( ميدان رمسيس اليوم ) خططت من جديد مناطق الفجالة وكانت مزارع وبرك ترويهها مياه الفيضان ونهض حي الفجالة والسكاكين وخط فيه الشوارع ونبت القصور وأصبح من أجل أحياء القاهرة . وأصبحت منطقة عابدين — قلب القاهرة بعد بناء قصر عابدين وردت برك الفرائين ثم بركة السقاين وبركة الفوالة ، وبركة الناصرية .

وفي غرب القاهرة شيدت القصور وقامت حديقة الأورمان ، ثم أنشئت حديقة الحيوان . وفي جنوب القاهرة عفى بدراسة منطقة حلوان تمهيدا لاقامة مدينة للاستشفاء ، وقد تحقق ذلك في أيام الخديوى توفيق .

أما الشوارع الجديدة التى امتدت بالإضافة إلى ما ذكرناه منها : فشارع محمد على ( القلعة الآن ) وشارع كلوت بك تمجيذا لإنشائه للطب الحديث وشارع الفجالة ، وشارع عبدالعزيز ، وشارع السكة الجديدة ، وشارع الخليج المصرى بمذرم الخليج ( ١٨٩٦ ) وشارع العباسية وشارع الهرم الذى أنشئ فى الأصل عام ١٨٦٩ لايصال منطقة الأهرام بالجيزة بقلب القاهرة ، واستجدت ميادين شتى كميدان باب الحديد والحازندرا وعابدين ، بميدان باب اللوق وميدان الامم اعيلية ( التحرير الآن ) .

ولعل أهم من ذلك كله ، تيسير اىصال القاهرة بموانئ البلاد الشمالية والشرقية فبعد أن كان النقل البرى عبر الصحراء أو المائى عن طريق فرعى النيل والثرع المنقرعة فتطورت الحياة الاقتصادية للقاهرة . ووفر الوسائل السريعة لحركة السياحة وقد نتج هذا التغيير عن تنفيذ الوسائل الآتية :

فى عام ١٨٥٤ : تم إنشاء الخط الحديدى الذى يربط الاسكندرية بالقاهرة وفى عام ١٨٥٦ : تم إنشاء الخط الحديدى الذى يصل بين السويس والقاهرة وفيما بين ١٨٥٩/١٨٦٩ : تم مشروع شق قناة السويس .

وفى عام ١٨٦٥ : أنشئت شركة مياه القاهرة لامداد الأهالى بما يلزمهم من الماء .

وفى عام ١٨٧٣ منحت شركة الغاز امتياز لاضاءة القاهرة ، ومنذ ذلك الحين أخذ عدد الفنادق يزداد فى القاهرة — فنادق سياحية من الطراز الحديث . . وأنشئت فى القاهرة مسارح حديثة ، من أهمها مسرح الكوميدي فرانسيز



وكان موقعه مكان دار البريد الحالية في شارع طاهر واحتفل بافتتاحه في ٤ يناير ١٨٦٨ وفي عام ١٨٦٩ افتتحت دار الأوبرا وبلغت تسكايها ١٦٠٠٠٠ من الجنهات ومثلت قها مساء ٢٩ نوفمبر ١٨٦٩ أول أوبرا امها « ريجوليتو » وطلب اسماعيل من الموسيقى الايطالى Verdi فردى أن يضع أول أوبرا تمثل فى دار الأوبرا ، فوضع العلامة الفرنسى « ماريت » موضوع أوبرا « عايدة » ولحنها فردى ومثلت فى دار الأوبرا المصرية المرة الأولى فى ٢٤ ديسمبر سنة ١٨٧١ فنالت أعظم النجاح .

### • رخالة وأدباء

وفى أيام اسماعيل زار القاهرة طائفة من الكتاب والفنانين والعلماء المرموقين، منهم Gerard de Nerval وفلوير ومكسيم دو كام، وماريلاو كراييليه Crapelet وفى خلال ١٨٦٣ - ١٨٦٧ شاهد الفرنسيون لوحات جيروم Gerome الثلاثة وهى الأسيرة ، وتاجر الرقيق ، وتاجر الملابس كما انتهى الفنان بيدى Beda لوحة مذبحة المماليك .

كما زار الأديب الفرنسى الكبير ثيوفيل جوتيه Theophile Gautier مصر وأقام بفندق شبرد حينما وصل إلى القاهرة وبدأ تجولاته وبحوثه فى أنحاء القاهرة فتجول فى شوارعها وحاراتها ودخل حماماتها وبعض قصورها ودورها ثم انتقل إلى الريف المصرى ينشد هدهده كما أنه زار آثار مصر فى الصعيد . وزار القاهرة أيضا الكاتب الفرنسى إدمون أبوت Edmond Abbot وكتب مؤلفه « أحمد الفلاح » فاكتسب الشهرة .

### • تأليف الكتب العامة والتعليم

ونشطت فى القاهرة حركة تأليف مرموقة فى العلوم الحديثة بفضل طائفة من الشبان المصريين الذين كانوا أوفدوا فى بعثات علمية إلى مختلف البلاد الأوربية،

ففي فنون الطب والصيدلة ، برع ابراهيم النبراوى (ت ١٠٦٢) ، وأحمد حسن الرشيدى (١٨٣٥) والدكتور محمد على البقلى (ت ١٨٧٦) ، وأحمد ندى (١٨٧٧) وسالم باشا سالم (ت ١٨٩٣) ، ومحمد الدرى باشا (١٩٠٠) وحسن محمود باشا (ت ١٩٠٣) . ومن نبغ في العلوم الفلكية والرياضية : محمد بك يوبى (١٨٥١) ، وبهجت باشا (١٨٦٧) ، ومحمود باشا الفلكى (١١٨٥) ، وشفيق بك منصور (١٨٩٠) ومحمد مختار باشا (١٨٩٧) ، وإسماعيل الفلكى (ت ١٩٠١) . واشتهر بعد المؤرخ عبد الرحمن الجبرتى (١٨٢٥) ، الشيخ رفاة بك رافع الطوطاوى (١٨٧٣) رافع نبراس العلم والتعليم ، ومحمد قدرى باشا (١٨٨٥) ، والشيخ حسين المرصفى (١١٨٩) والمهندس على مبارك باشا (١٨٩٣) ، وعثمان بك جلال (١٨٩٨) ، وأمين فكرى باشا (١٨٩٩) ، ومن بعدهم كثير من اللامعين المصريين .

بقى أن نتكلم عما آل إليه التعليم الحديث في مصر عامة ، والقاهرة خاصة ، وتمثل خطة التطور العلمية في القانون الأساسى الذى صدر فى ١٠ رجب سنة ١٢٨٤ هـ و ١٨٦٨ ميلادية ، فقد كان يهدف لتجديد ما اندرس فى المدارس بعد وفاة محمد على ، لتكون فى أحسن تنظيم ، ويقصد القانون بالكتائب القديمة ( المدارس الصغرى ) المنتشرة فى أنحاء مصر لتعليم القراءة والكتابة والقرآن الكريم بالزوايا والمساجد وبيوت الفقهاء ونص القانون الجديد على اغلاق الكتائب التى لا تتوافر فيها الوسائل الصحية ، كما نص على تعديل منهج الدراسة بإضافة مادة الحساب وأنشئت فى ديوان المدارس منذ عام ١٨٧٢ إدارة خاصة تشرف على هذا النوع من التعليم ، كذلك نظم القانون ، فنص على إنشاء مدرسة ابتدائية فى كل مديرية ( محافظة ) على أن يدخلها الجميع دون تمييز وجعل مدة الدراسة أربع سنوات ينتقل التلاميذ الممتازين بعدها إلى المدارس — التجهيزية ، وفى تلك المدارس وضعت برامج التعليم المتقدمة وتعليم اللغات . واتجهت عناية

الدولة إلى تعليم البنات أسوة بالبنين، ففتحت أول الأمر مدرسة للبنات في السيوحية وتبعها بأخرى في حى القروية . . وأدركت الحكومة ما يحتاج إليه هذا التوسع من توفير المال وزيادة عدد المدرسين، فدبرت لذلك جميع الحلول الممكنة فأوفدت البعثات تباعاً إلى أوروبا وأنشأت دار العلوم لتخريج مدرسي اللغة العربية والدين وتأهيل مدرسين لتدريس المواد الاجتماعية والمواد الرياضية والطبيعية ، وأنشئت دار الكتب لجمع المؤلفات القديمة وتعويض الناس على حب المطالعة ، ووسعت المطبعة الأميرية بيولاقي لطبع الكتب للتلاميذ ، وازداد عدد الصحف في البلاد وكان منها ما يصدر باللغات الأجنبية . . هذا بالإضافة إلى فتح أبواب المدارس العالية المتخصصة كالطب والهندسة والزراعة والإدارة والقانون إلى جانب المعاهد العسكرية لتنوعه ، وبالإضافة إلى ذلك العناية بالتعليم الديني في الأزهر .

وأخذ التعليم الأجنبي الخاص ينتشر في المدن الكبرى لاسيما القاهرة والاسكندرية وكانت تنشأ وتديرها الجاليات الأجنبية ، والارماليات الدينية وكانت تحظى بتشجيع الحكومة الأدبية والمادية . وكان في طليعة تلك المدارس الأجنبية : مدارس الارماليات الدينية ، وأهمها مدارس الراهبات ( الراعي الصالح مثلاً ) ومدارس الفرير التي انتشرت كثيراً في القاهرة والاسكندرية والمدريات ، ومنها كلية سان جوزيف بالخرنقش وكلية دى لاسال ، ومدارس الجزويت التي بدأت نشاطها في مصر عام ١٨٧٩ بعدما وافق على إنشائها السلطان العثماني ، كذلك مدارس الليسيه التابعة للبعثة الدينية الفرنسية ، وفي أعقاب هذا النشاط أخذت المدارس الانجليزية تفتح أبوابها وكان أكثرها تابعاً للارماليات الدينية . كمدارس الارماليات الاسكتلندية بالاسكندرية ( ١٨٥٦ ) للبنين ، والبنات ثم اتجه النشاط بعد الاحتلال البريطاني ( ١٨٨٢ ) إلى إنشاء كليات بريطانية بمقياس كبير ، فكانت كلية فكتوريا بالاسكندرية ( ١٩٠١ ) — فالمدرسة



الانجليزية بالقاهرة (١٩١٦) ، فالسكنية الأسقفية الانجليزية (١٩٢٤) أما النشاط الأمريكي التعليمي فبدأ منذ عام ١٨٥٥ بإنشاء عدة مدارس عام ( ١٨٧٠ ) كان عددها ١٢ مدرسة ) وفي عام ١٨٩٧ بلغت فيه المدارس الأمريكية أقصى زيادتها ففيه وصل عدد المدارس ١٦٨ مدرسة وعدد تلاميذها ١١٠١٤ وعدد إلمدرسيها ٧٢ مدرسا (١).

\* \* \*

### • الصحافة العربية •

وفي أيام اممأهيل وثبت الصحافة وثمة ملحوظة ، فأصدر المرحوم محمد على باشا البقل الطيب — مجلة اليعسوب وهي طيبة شهرية بمعونة الشيخ محمد الدسوقي وفي عام ١٨٦٦ ظهرت جريدة وادي النيل السياسية لأبي السعود أفندي وكانت تصدر مرتين في الأسبوع . وفي عام ١٨٦٩ أصدر الأديب ابراهيم بك المويلحي ومحمد بك عثمان جلال جريدة نزهة الأفكار وكانت أسبوعية شديدة اللهجة فألغاها الحديوى . وفي سنة ١٨٧٠ صدرت مجلة روضة المدارس وهي مجلة علمية أدبية قام بتحريرها نخبة من ذوى المكانة في العلم والأدب ، ثم صدرت الأهرام سنة ١٨٧٦ ، فالوطن سنة ١٨٧٧ ، فجريدة مصر ، فالمحرسة ، لصاحبها أديب إسحق سنة ١٨٨٠ وبعد الاحتلال البريطانى صدرت صحيفة المقطم ( ١٨٨٨ ) ، ثم المؤيد للشيخ على يوسف .

• ومن أساطين الأدب في تلك الأيام : الشاعر محمود صفوت الساعاتى ( ت ١٨٨٠ ) ، والشيخ عبد الهادى الإييارى الشاعر المطبوع واللغوى النابة ( ت ١٨٨٠ ) وقد عمل في الإفتاء ، ثم العلامة الشيخ حسين المرصنى شيخ المعلمين وعمدة المؤلفين وخريج الأزهر ( ت ١٨٨٩ ) ، ثم الأديب الشاعر عبد الله باشا

---

(١) A. Watson : The American mission in Egypt. p. 144

فكري ناظر المعارف في أيام اسماعيل ومؤلف الفوائد الفكرية للمكاتب المصرية  
(ت ١٨٨٩) ، والمصلح الكبير والموسوعي الفذ والعالم القدير على مبارك باشا  
الذي تقلب في مناصب كثيرة إلى عهد توفيق (ت ١٨٩٣) ، والأديب الجريء  
السيد عبد الله النديم خطيب الثورة العرابية (ت ١٨٩٦) والسيدة الفاضلة  
الشاعرة عائشة التيمورية وخلفت ديوانين (ت ١٩٠٢) والأستاذ الإمام محمد  
عبد الله الذي ترك آثارا في الدين واللغة والأدب (ت ١٩٠٥) ، والمكاتب المبدع  
صالح مجدي ، وعلى الليثي ، والشاعر الكبير ، رب السيف والقلم ، محمود سامي  
البارودي الذي عاش المد والجزر في الحياة المصرية طوال النصف الثاني من  
القرن التاسع عشر ، وشاهد الإزدهار العمراني والثقافي الذي حققته مصر ،  
وخاض معارك « كريت » و « البلقان » والقرم « وشارك في الثورة العرابية  
ثم قضى عليه » بالنفي وأدركته المنية عام ١٩٠٤ .

## القاهرة في تطورها الحديث

( ١٨٨٢ - ١٩٥٢ )

### فجر الثورة العرابية

كان يوم الجمعة ٩ سبتمبر ١٨٨١ يوما مشهودا في تاريخ مصر الحديث ، ففي هذا اليوم تفجرت الثورة العرابية ضد الحكم الأجنبي . وفي هذا اليوم مهدى الشعب ويمثلة القائد أحمد عرابي ، وظالمه ، ووقف القائد بسيفه المشهر على ظهر جواده في مواجهة الخديوى محمد توفيق والقنصل البريطانى . . حدث ذلك أمام قصر الخديوى في ميدان عابدين . . .

وكانت الخطة قد وضعت بحضور جميع آليات الجيش الموجودة في القاهرة إلى ميدان عابدين في ٩ سبتمبر ١٨٨١ « لعرض طلبات عادلة لا بد منها لضمان حرية الأمة وسعادتها » . وفي الموعد المقرر في الساعة الرابعة عصرا احتشدت وحدات الجيش في ميدان عابدين وقد بلغ عدد الجنود أربعة آلاف جنديا ، كما احتشدت جماهير الشعب وامتلات النوافذ والشرفات والشوارع المحيطة بالأهالى ليشاركوا قادة الثورة في وقفهم الندية . . ثم جاء أحمد عرابي متمطيا جواده وشاهرا سيفه وخلفه قرابة ثلاثين ضابطا شاهري السيوف .

وشاهد الخديوى تجمع الجنود في الميدان ، وتوافر عليه الوزراء ثم وصل بعض قناصل الدول . . . ونزل الخديوى من القصر ومعه مستر كوكس نائب قنصل بريطانيا وأوكلن كولفن المراقب المالى الانجليزى ، وسار حتى بلغ وسط الميدان ، فنادى عرابي وسأله عن سبب إحضاره الجيش ، فأجاب القائد جئت يا مولاي



لنعرض عليك طلبات الجيش والأمة كلها » ثم حدد له المطالب وأهمها : عزل  
وزارة رياض باشا ، وتشكيل مجلس لنواب ، وزيادة عدد الجيش ، فأشكر  
الخديوى على عرابى طلباته كلها وقال له .. وأنا ورثت ملك هذه البلاد من آبائى  
وأجدادى وما أنتم إلا عبيد إحساننا فتعهداه عرابى قائلا : لقد خلقنا الله  
أحرارا ولم يخلقنا ترانا وعقارا . فوالله الذى لا إله إلا هو إننا سوف لانورث  
بعد اليوم . . .

وانتهى هذا اليوم بإذعان الخديوى ومعه قناصل الدول الأجنبية إلى مطالب  
العرايين . . .

وفى صباح ١١ يولية سنة ١٨٨٢ أطلقت البوارج الانجليزية مدافعها على  
حصون الاسكندرية ، فجابت الحصون باطلاق مدافعها . . ثم صمدت نيران  
الحصون بعد أن دك بعضها دكا . . . وأدرك القادة حرج الموقف فقرروا الانسحاب  
من الثغر إلى خط الدفاع الأول عند كفر الدوار . . . ثم عدلت الخطه ليكون  
الدفاع الرئيسى فى شرق الدلتا . .

ولم تعبأ الإمبراطورية البريطانية بحجدة قناة السويس . وسرعان ما احتلت  
قواتها بوزسعيد والاسماعيليه ( ٢٢ أغسطس ) . وبعد فوات الفرصة أعلنت  
الحكومة العثمانية عصيان عرابى وأيدت الخديوى فى عرشه ، وكان هذا قد عزل  
عرابى من نظارة الحرية وأعتبره ثائرا . . .

وأخيرا انهزم أحمد عرابى فى موقعة النيل الكبير يوم ١٢ سبتمبر ودخلت  
طلائع القوات البريطانية القاهرة فى اليوم الخامس عشر من سبتمبر ١٨٨٢ . . .  
وأسر القادة والزعماء وسرعان ما حوكموا ، وحكم على كثيرين منهم بالنفى بعيدا  
عن أرض الوطن . . ليس هذا فحسب . . بل وصرح الجيش المصرى . . .  
بأمر من الخديو ا

## المجتمع الثقافي

في تلك الفترة لمت أسماء كثيرة من الأدباء والشعراء والكتاب ، منهم إبراهيم المويلحي ( ١٢٦٢ — ١٣٢٣ هـ ) صاحب الفرج بعد الشدة ، وما هنا لك بالإضافة إلى ما كتبه من المقالات في الصحف والمجلات . والعلامة اللغوي حفي ناصف ( ١٢٧٢ — ١٣٣٧ هـ ) وهو شاعر أيضاً ومن آثاره « مميزات لغة العرب ، وحياة اللغة العربية ، وكتاب القطار السريع في علم البديع » وأبنة الشاعرة ملك ناصف ( باحثة البادية ) ( ١٨٨٦ — ١٩١٨ ) ولها مكانة مرموقة في العلم والأدب . لها مجموعة من المقالات كانت كتبها في صحيفة الجريدة ، ثم أصدرتها تحت عنوان النسائيات . والأديب المبدع مصطفى لطفي المنفلوطي ( ١٨٧٦ — ١٩٢٤ ) وله عدة مؤلفات وترجمات ، منها : النظرات ( ٣ أجزاء ) ، والعبرات وهو مجموعة من الأقاصيص الموضوعة والمنقولة ، ومختارات المنفلوطي « وبول وفرجينى » وسيرانودى برجواك لأدمون رستان . . .

والعالم الأديب الشيخ عبد العزيز جاويش ( ت ١٩٢٩ ) وقد ظهر في الكتابة السياسية وكان أسلوبه خطايا . يؤثر بالعاطفة أكثر مما يؤثر بالمنطق (١) ومن مؤلفاته « غنية المؤدبين » ، والإسلام دين الفطرة في الدفاع عن الدين وبيان بعض أحكامه ، وكتاب « أسرار القرآن » ، . . . وله مئات المقالات التي كتبها في صحيفة اللواء وكان رئيس تحريرها عقب وفاتها الزعيم العظيم مصطفى كامل رحمه الله .

وفي هذا العصر لمع اسم اللغوي العلامة الأستاذ الشيخ حمزة فتح الله ( ١٨٤٩ — ١٩١٨ ) . مثل الحكومة المصرية في عدة مؤتمرات — مرتان في

---

(١) أحمد حسن الزيات : تاريخ الأدب العربي ( الطبعة ١١ ) — مطبعة الرسالة ، القاهرة ص ٢٤٨ .

المؤتمر العلمى الشرقى ( ١٨٨٦ و ١٨٨٩ ) ثم زاول التعليم بمدرسة الألسن فدار العلوم ، ثم أنتقل إلى التفتيش ، فمكث فيه إلى أن تقاعد ( ١٩١٢ ) . من مؤلفاته « المواهب الفتحة فى علوم اللغة العربية » (١) .

وجدير بالذكر أن تنوء بأهمية الدور الذى قام به الزعيم مصطفى كامل رئيس الحزب الوطنى ( ١٨٧٤ — ١٩٠٨ ) وكان لأسلوبه البلاغى الوطنى أثر بين المثقفين وكان خطيبا طاق البديهة رائع المنطق وندى الصوت وهو صاحب العبارة الخلابة : بلادى ا بلادى ا لك حبى وفؤادى ، لك حياتى ووجودى ، لك دمى ونفسى ، لك عقلى ولسانى ، لك لى وجنانى ، فانت أنت الحياة ، ولا حياة إلا بك يا مصر (٢) .

وفى طليعة الخطباء : الزعيم الخالد سعد زغلول ( ت ١٩٢٧ ) يقول عنه العالم أحمد حسن الزيات : « لم ير التاريخ المصرى ، بل الشرقى ، قبل سعد خطيبا ، رفيع الصوت ، حافل البديهة ، دافع الحجة ، رائع البيان ، حسن السمات ، يزاوج بين المنطق والشعر . . . إلخ

وفى شعراء تلك الفترة : إسماعيل صبرى باشا ( ١٨٥٤ — ١٩٢٣ ) وقد شب فى عهد إسماعيل ونال إجازة الحقوق سنة ١٨٧٨ . وتقاعد سنة ١٩٠٧ ولزم داره يدارس أصحابه الأدب ويساجلهم القريض ، وكانت داره منتدى للشعراء ومثابة للادباء .

والشاعر الفنان أحمد شوقى بك ( ت ١٩٣٢ ) ابن القاهرة ، نشأ بها ، ويكاد النقاد يجمعون على أن شوقى كان تعويضا عادلا عن عشرة قرون خلت من تاريخ العرب بعد المتنبى لم يظهر فيها شاعر موهوب يعمل ما أنقطع مزوحي

---

(١) المرجع السابق ذكره ، ص ٤٦٠ — ٤٦١

(٢) « » « » ص ٤٦٩ — ٤٧٠



الشعر ، ويجدد ما اندرس من نهج الأدب . . عالج الشعر التمثيلي ، فنظم عدة روايات خلدها المسرح العربي . وقد جمع شعره في ديوان يقع في أربعة أجزاء ، وله غيره في الشعر كتاب « عظماء الإسلام » .

ومعاصره الجندي الشاعر « محمد حافظ ابراهيم » ( حوالي ١٨٧٠ — ١٩٣٢ ) المولود في ديروط . التحق بالمدرسة الحربية ورقى ضابطا في الجيش وأشخص إلى السودان في الحملة المصرية تحت قيادة كوشنر ، بقي هناك زمنا ثم ألح في العودة إلى مصر ، وحوكم عسكريا مع فئة من الضباط سنة ١٨٩٩ تم أحيل إلى الاستبداع ومنها إلى المعاش . ثم استدعى للعمل في دار الكتب المصرية ( ١٩١١ ) رئيسا للقسم الأدبي وظل في هذا المنصب حتى تقاعد ، ومحمد حافظ ابراهيم شاعر موهوب ، ويعتبر ثاني الخمسة الذين تيقظت على دعوتهم نهضة الشعر وتجددت على صنيعتهم بلاغة القصيد . وهؤلاء الخمسة هم البارودي ، وصبري ، وشوقي وحافظ و خليل مطران ، رحمهم الله .

• والشاعر الكاتب علي الجارم ( ١٨٨١ — ١٩٤٦ ) الذي درس في الأزهر ودار العلوم وسافر في بعثة إلى بريطانيا واشتغل بعد عودته في التعليم حتى كان كبيرا لفتش اللغة العربية واختبر عضوا في مجمع اللغة العربية . وقد ألتمز في شعرة الصياغة القديمة التي أحياها البارودي وصقلها شوقي . وأستمر ينظم الشعر حتى وفاته .

والفيلسوف الكاتب محمد فريد وجدي ( ١٨٧٥ — ١٩٥٤ ) وزميله العالم الجليل طنطاوي جوهرى الذى أثرى المكتبة العربية بأفكاره المتقدمة .

## القاهرة تتنفس الصعداء

اتسعت حدود القاهرة عما كانت عليه في بداية القرن التاسع عشر وأصبحت في حاجة شديدة إلى شبكة مواصلات سريعة بدلا من اعتماد سكانها على دواب الحمل في تنقلاتهم . ففي أغسطس عام ١٨٩٣ أعلنت الحكومة المصرية عن رغبتها في أن تقوم شركة بمد خطوط للترام في القاهرة ، وسرعان ما صدق مجلس النظار على منح امتياز بإنشاء خطوط ترام كهربية لشركة بلجيكية وكان ذلك في نوفمبر ١٨٩٤ . وقد تقرر أن يشتمل الامتياز على ثمانية خطوط تبدأ من ميدان العتبة الخضراء ، يتجه الخط الأول إلى القلعة ، والثاني إلى بولاق ، والثالث إلى باب اللوق فالناصرية ، والرابع إلى البعاسية عن طريق الفجالة ، والخامس إلى مصر القديمة ، والسادس من دم الخليج إلى الروضة ثم ينتقل الركاب بزورق بخاري إلى الشاطئ الآخر ليستقلوا قطارا إلى الجزيرة وهذا هو الخط السابع ، ويبدأ الثامن من ميدان قصر النيل ويسير موازيا للترعة الاسماعيلية إلى كوبري الليمون ( ميدان باب الحديد ) . وفي ١٢ أغسطس عام ١٨٩٦ جرى احتفال رسمي بتسيير قطارات الترام في ميدان العتبة الخضراء ، وكانت أجرة الركوب ستة مليمات للدرجة الأولى ، وأربعة مليمات للثانية .

ولما ردمت شركة الترام الخليج المصري بموافقة الحكومة ، مدت خطا من السيدة زينب إلى غمرة وكان ذلك في عام ١٩١ ، وفي صيف عام ١٩١١ حصلت الشركة على امتياز بخط يمتد من الجزيرة إلى الهرم ، كما حصلت في شتاء عام ١٩٠٢ على امتياز آخر بخط يمتد من باب الحديد مارا على كوبري شبرا ، ثم يتفرع منه خط إلى ساحل إروض الفرج وقد تم هذا الخط في ١٩ مايو عام ١٩٠٨ سيرت الشركة قطاراتها من العتبة إلى الجزيرة رأسا عن طريق كوبري الملك الصالح وكوبري عباس بعد أن تم إنشاءهما وفي عام ١٩١٢ سارت القطارات إلى الجزيرة عن طريق الزمالك :

ومنذ اتسعت القاهرة أدرك القائمون بشئون المدينة أهمية تنفيذ مشروع  
للمجارى بدلا من المصارف والخزانات التى كانت تقام تحت للنازل وكانت تنزع  
هذه الخزانات بطرق غير صحيحة بوساطة رجال شركة تأسست سنة ١٨٨٧ .

وبحث الأمر عدة سنوات ، وفى عام ١٩١٦ استقدمت الحكومة المصرية مستر  
كاركيت جيمس المهندس لدراسة مشروع لمجارى القاهرة وعين مراقبا لمصلحة  
المجارى ، ثم بديء فى تنفيذ للمشروع عام ١٩٠٩ وانتهى منه فى يناير ١٩١٤  
وتكلف حوالى مليونى جنيه .

## ضواحي القاهرة الجديدة

١١ من الجديدة .

وأنشئت فى أوائل القرن العشرين ضواحي جديدة لمدينة القاهرة ، كانت  
( هيلوبوليس ) ، وهذه الضاحية تدين بإنشائها إلى رجل المال البلجيكي البارون  
إدوارد إمبان الذى أسس فى عام ١٩٠٥ شركة لإنشاء هذه الضاحية ، وفى ذلك  
العام شرع البارون إمبان Baron Empain فى مفاوضة الحكومة المصرية على  
شراء ستة آلاف فدان من أرض الصحراء بواقع جنيه للفدان الواحد ، ثم ازدادت  
تلك المساحة فيما بعد إلى اثنى عشر ألف فدان أخرى ، وقد افتتحت الشركة  
أعمالها بإنشاء خط حديدى كهربى يبلغ طوله خمسة أميال بين شارع عماد الدين  
بالقاهرة وبين أملاكها بمصر الجديدة ، وفى نفس الوقت شرعت فى تشييد للبقاى  
الجميلة على الطراز العربى وبناء فندق رجب عظيم .

وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى استعادت الشركة نشاطها ، فامتد عمران  
هيلوبوليس إلى قلب الصحراء وهى مازالت إلى اليوم تمتد وتتطور حتى أصبحت  
مدينه عظيمه يربطها بالذكر أن القاهرة كانت تمتد شمالا إلى سنة ١٩٠٥ حتى



العباسية ، وكانت الشكنات العسكرية تؤلف معظم مبانيها . أما ضاحية عين شمس القديمة وتقع إلى غرب مصر الجديدة فقد تمت بطريقة عشوائية لاسيما بعد ما امتدت إليها السكة الحديدية من محطة كوبرى الليمون مارة بمنشية الصدر وكوبرى القبة وسحابات القبة والمطرية .

### المعادي

وفي جنوب القاهرة حصلت شركة أراضى الدلتا المصرية عام ١٩٠٥ على امتياز تعمير ضاحية المعادى على ضفة النيل للشرقية وعلى بعد قرابة أربعة أميال من جنوب العاصمة . ولقد كان نجاح هذه الضاحية الجميلة سنة ١٩١٤ أقل مما قدر لها . أما فى خلال سنين الحرب العالمية الأولى وما بعدها إلى آخر عام ١٩٢٠ فلم تتأثر المدينة كثيرا . وفى عام ١٩٢٠ شيدت الشركة ناديا جميلا وحمامات للسباحة كما أعدت ملعبا للتنس وأراضى للعب الجولف مع حدائق فسيحة . وفى نهاية ١٩٢٧ كانت الشركة قد شيدت قرابة ١٦٠ دارا أغلبها من الفيلات ، وتشغل المعادى اليوم نحو أكثر من ١٢٠٠ فدان امتدت فيها المشافى والمساجد والمدارس علاوة على استقلالها بإدارة محطات المياه وتوليد الكهرباء .

### حدائق القبة

تألفت شركة حدائق القبة فى عام ١٩٠٨ لتعمير مساحة تقدر بقرابة مائة وعشرة أفدنة وتقسيمها ، وأنشأت تلك الشركة شارعاً يمتد شرقاً أراضيها عرضه ٦٦ قدما وجعلت للطرق الآخذة منه بعرض ٢٦٣٣ر٤٠ قدما . ولقد انتعشت بسرعة أعمال البناء التى قامت بها الشركة أو الأفراد حتى اتصلت حدائق القبة بقلب القاهرة وأصبحت فى زمن ما تنافس المعادى فى هذوها . وفيما عدا تلك الضواحي الثلاث امتد عمران القاهرة إلى أحياء العباسية الشرقية والغربية كما اتصلت فيما بعد ضواحي منشية الصدر وحمامات القبة والزيتون والمطرية والحلمية وعين شمس .

أصبحت القاهرة في الثلث الأول من القر في العشرين تشغل مساحة تبلغ قرابة ٢٢٠٠٠ فداناً بعد ما كانت مساحتها لا تتجاوز ٣٤٠ فداناً فقط على أيام مؤسسها .

### شوارع حديثة

لقد ضمت ضواح سكنية أنيقة على الضفة الغربية للنيل وفي طليعتها حي الجزيرة وامتد في شمالها حي الزمالك ، وقامت ضاحية الدقي ووصل العمران إلى إمبابه وإلى أراضى وزارة الأوقاف حتى بولاق الدكرور كما عمرت أيضا منطقة المعجوزة وشقت شوارع جديدة في عام ١٩٢٦ فتح شارع الجيش ( فاروق سابقا ) ، فسهل اتصال قلب القاهرة بحي العباسية وشمالها ، وفتح شارع الأزهر بعرض ٢٦ مترا فأدى إلى تخفيف حركة الضغط المتزايدة في شارع الموسيقى .

وفي الثلاثينات بدأ توسيع شارع الخليج ليكون عرضه ٤٠ مترا - وهدمت من أجل ذلك الدور القديمة الآيلة السقوط ، كذلك وسع شارع الأهرام إلى أربعين مترا وأصبحت تتوسطه الأشجار الباسقة وشيدت على جانبيه الدور وبعض العمار ، كما بنى نفق عند بدايته تمر عليه قطارات السكة الحديد إلى الوجه القبلى . أما شارع رمسيس ( الملكة نازلى سابقا ) وامتداده شارع الخليفة المأمون والذي يربط قلب القاهرة الحديثة بمصر الجديدة فقد أصبح شريان القاهرة الرئيسى .

وعلى جانبي شارع شبرا امتد العمران في جهة الشرق وفي الغرب أيضا ، واكتظت الأحياء بالمساكن ، وارتبطت العباسية والإمام الشافعى . وازدحم شارع قصر العيني بالعمارات الكبيرة حتى منطقة فم الخليج ، كما نهض حي المنيل بين مستشفى جامعة القاهرة وحي الروضة واخترق شارع متوسط الاتساع ذلك الحى ومن أهم ما نذكره هنا ، بناء أكبر مستشفى حكومى عرفته البلاد ، ويعرف اليوم باسم مستشفى جامعة القاهرة .

وفيما بين الثلاثينات والأربعينات تطورت طرز البناء في القاهرة فبعد أن كنا نشاهد البيوت العظيمة « ذات طابق أرضي وطابقين أو ثلاثة »، أصبحت ذات عشرة أو عشرين طابقا تختبرها المصاعد السريعة وتجري في أنابيبها المياه الدافئة وأجهزة التدفئة ومن بعض العمار الشاهقة عمارة بحري بميدان التحرير (الجمعية العلمية سابقا) ومثيلتها بميدان مصطفى كامل، وعمارة شركة التأمين الإيطالية وعمارة الإيو بليا، وكثيرا من المباني الحكومية كدار مصلحة التأمين ومصلحة الكيمياء، ودار القضاء العالي بشارع رمسيس، ودار البريد بميدان العتبة الخضراء وغيرها من مباني النقابات والجمعيات العلمية.

وما كاد ينتصف هذا القرن حتى بلغت مساحة القاهرة قرابة ١٧٤ مليون متر مسطح أي حوالي ٤٢ ألف فدان، وعلى هذه المساحة يقوم ١٥٠٠٠ منزل يزيد ارتفاع الواحد عن خمسة طوابق و ١٦٥٠٠٠ لا يزيد ارتفاعه عن أربعة طوابق ومساحة الأراضي الفضاء داخل القاهرة كافية لبناء ١٥٠٠٠٠ منزل أي حوالي عدد العمار والمنازل الموجودة الآن، ويعادل مساحة الطرق ١٥٪ من مساحة القاهرة وحول الطرق ما يقرب من ٣٠٠٠٠٠ من الأراضي الخضراء في الميادين والحدائق والمنتزهات وعلى نهر النيل عبر القاهرة عشرة كبارى تصل من المدينة وغربها بين إمبابة شمالا ومصر القديمة جنوبا. وأصبح للقاهرة ثلاثة مطارات تربطها بالخارج وهي مطارات القاهرة الدولي والمناظرة وإمبابة...



## القاهرة بين ثورتين

٢٣ يولية ١٩٥٢ — ١٥ مايو ١٩٧١

### أقسام القاهرة وأحيائها

بعد ما اتسعت القاهرة اتساعا شاسعا ، وامتد همرانها إلى غرب نهر النيل ملتحمة بالجيزة ، أصبح من الضروري لتسيير الشؤون الإدارية والإشراف على جميع المرافق أن يعاد تقسيمها إلى سبعة أقسام أو أحياء ، وعلى كل حى ، كبير يعرف برئيس الحى يساعد محافظ القاهرة على إدارة حيه .

• حى شرق القاهرة : يتألف من أقسام المطرية والزيتون وحدائق القبة وقسم الشراية الجديد ( يضم شياخة الأميرية فضلا من قسم الساحل وشياخات العزب — الشراية — الزاوية الحمراء — مهبشة فضلا من قسم شبرا ) (١) ويقدر عدد سكان هذا الحى بمليون نسمة .

• حى غرب القاهرة : يتألف من أقسام الموسكى ( مضافا إليه شياخات الرملى — درب مصطفى\* — النوبى — الجامع الأحمر ) — وقسم الأزبكية وقسم بولاق وقسم قصر النيل ، وقسم هابدين ، يضاف إليه شياخات الحنفى ، وشياخات باب البحر ( الشمبكي — سيدى مدين — درب الأقاعية فضلا من قسم باب الشعريه ) ويقدر عدد سكان غرب القاهرة قرابة ٧٠٠.٠٠٠ نسمة .

\* حى وسط القاهرة : يتألف من قسم الوايلى ( عدا شياخة الزعفران

---

(١) محافظة القاهرة : الدليل الإحصائى ١٩٧٢ / ١٩٧٣

وجزء من شياخة العباسية الشرقية) — قسم باب الشعرية (عدا شياخات  
الرملى — درب مصطفى — النوبى — الجامع الأزهر — الطمار — باب  
البحر — الشعبى —) — قسم القاهرة — قسم الجمالية — قسم الدرب  
الأحمر — شياخة الفجالة (فصلا من قسم الأزبكية)

ويقدر عدد سكان حى وسط القاهرة ٢٠٠٠٠٠٠ نسمة .

• حى شمال القاهرة : يتألف من قسم شبرا ( عدا شياخات العزب —  
الشراية — الزاوية الحمراء — مهمشة ) — قسم الساحل ( عدا شياخة (الأيرية ) —  
قسم روض الفرج ، ويقدر عدد سكان حى شمال القاهرة ٢٠٠٠٠٠٠ نسمة .

• حى مصر الجديدة : يتألف من قسم مصر الجديدة — قسم النزهة —  
قسم مدينة نصر (١) شياخة الزعفران ( فصلت من قسم الوايلى — وجزء  
من العباسية الشرقية ) ، ويقدر عدد سكان هذا الحى ٢٤٢٠٠٠٠ نسمة .

• حى جنوب القاهرة : يتألف من قسم السيدة زينب ( عدا شياخة الخنفى —  
الدرب الجديد — سنقر — السباعين — خيرت — الكيش وجزء من الانشاء —  
قسم الخليفة — قسم مصر القديمة . يقدر عدد سكان هذا الحى ٨٠٠٠٠٠٠ نسمة .

• حى حلوان : يتألف من قسم المعادى ، وقسم حلوان — ومنطقة التبين .  
يقدر على سكان الحى بقرابة ٣٦٠٠٠٠٠ نسمة .

وأصبحت القاهرة تضم قرابة ثمانية مليون نسمة .

---

(١) أنشئ قسم مدينة نصر بالقرار الوزارى رقم ١٠٦٣ لسنة ١٩٧٢ — مصدر  
هذه البيانات الجهاز المركزى للتنبؤ العامة والإحصاء

## الأعمال الكبرى

تمت بضعة أعمال كبرى بالقاهرة خلال الستينات وما بعدها ، كان في طليعتها شق طريق يصل بين مصر الجديدة وحي الخليفة ، مخترقة منطقة المساكن القديمة ومقابر المهايك وحي الأزهر والقلعة ، والغرض الرئيسى تخفيف حركة المرور التى تضاعفت والتى تخترق قلب القاهرة عبر شارعى الخليفة المأمون ورمسيس .

وكان العمل الثانى طريق كورنيش النيل التى تصل بين شبرا البلد وحلوان مارة ببولاق وجاردن سيقى وقصر العينى أمام الروضة فمصر القديمة ، فالمعادى .

وكان العمل فى إقامة عدة كبارى جديدة عبر النيل ، منها كوبرى الجامعة ، ومجديد كوبرى الجزيرة بإنشاء آخر جديد . وأهم من كليهما إقامة كوبرى ٦ أكتوبر ( ١٠ رمضان ) وهو مشروع ضخم جدا ، وصل بين المعجزة والدقى من ناحية ، والزمالك وماسبيرو وميدان عبد المنعم رياض ، ويتفرع منه إلى شارع الجلاء ، فيدان رمسيس . وبالإضافة إلى ذلك إقامة عدة كبارى علوية فى الميادين الكبرى ، مثل كوبرى ميدان رمسيس ، وميدان باب اللوق وميدان التحرير .

## بيوت الله

كان من الحيوى بعد أن اتسع عمران القاهرة وأمتدت هذا الامتداد الشاسع أن تضيق مساجدها بالمصلين المؤمنين لاسيما بعد الستينات . أصبح عددها وإمكاناتها لا تتناسب مع إزدحام القاهرة بأهلها والمتزدين عليها وخاصة أيام الجمعة وأثناء الأعياد الدينية . وقد صرح مرة السيد الدكتور عبد العزيز كامل وزير الأوقاف (١) لندوب صحيفة الأهرام قائلا : . . . فى مصر الآن حوالى ٣٠٠٠٠ مسجد ،

(١) صحيفة الأهرام : العدد الصادر يوم السبت الموافق أول مارس ١٩٧٥ .



منها ستة آلاف تقريبا تابعه لوزارة الأوقاف و٢٤ ألف مسجد أهلى . ولقد زاد عدد المساجد بعد عام ١٩٦٧ فى فترة الاستعداد للمعركة ، ولكن عدد المساجد رغم زيادته ما يزال أقل مما يجب . ولقد طلبنا من وزارة التخطيط إعداد دراسة حول احتياجات البلاد من المساجد ، وحسبت فصف متر مربع لكل مهمل ، وإتممت إلى أننا مازلنا نحتاج إلى عدد أكبر من المساجد يصل إلى ٣٠٪ من مساجد الصلاة الحالية . . . . .

وبعد مرور قرابة خمس سنوات على هذا القول ، تناول السيد الشبغ الدكتور عبد المنعم النمر وزير الأوقاف ( صحيفة الأخبار فى ١٢ نوفمبر ١٩٧٩ ) فقال فضيلته فى حديث طويل لملندوب الصحافة : « وبالإحصاء أتكلم . . فآخر إحصائية تقول أن فى البلاد نحو من ثمانية وملايين ألف مسجد والذى يتبع الوزارة منها نحو ستة آلاف مسجد ، ومعنى هذا أن فى البلاد اثنين وملايين ألف مسجد أهلى تشرف عليها الجمعيات الدينية وأهل البر . . وقد تشارك وزاره الأوقاف بمونة ضئيلة لبعضها على قدر حالها وضآله ميزانيتها . . .

والجدير بالذكر أن بالقاهرة وحدها قرابة ألف جامع ومسجد ، نصفها تقريبا يتبع وزارة الأوقاف (١) . .

### مساجد القاهرة الجديدة

وزاده عدد مساجد القاهرة خلال الثلاثين سنة الأخيرة ، فشهد مسجد الزمالك وأحتفل بإفتتاحه يوم عيد الأضحى عام ١٩٥٥ ويذوفية طابع العصر ، ومسجد أسد بن الفرات بالجيزة ، ومسجد الروضة بالمتيل ( ١٩٥٥ ) ومسجد

(١) كان هذا الرقم من المساجد عام ١٩٦٧ حوالى مبعائة وخمسين فقط أى أنه زاد خلال ١٨ سنة قرابة ٢٥٠ مسجد . .

رابعة العدوية بمدينة نصر ، ومسجد صلاح لدين بمئذنتيه الشاهقتين بالمنيل شرقى قنطرة الجامعة ، ومسجد عمر مكرم بميدان التحرير ( ١٩٥٨ ) وقد ألحقت به منظره كبيرة ومكتبة ، ومسجد المقطم بمدينة المقطم ، ومسجد جمال عبد الناصر بكوبرى القبة ، ومسجد منشية البكرى ، ومسجد مؤسسة الزكاة بالمرج ومسجد السلطان قطز بمصر الجديدة ، ومسجد الأوقاف بالمعادي ، ومسجد حسين صدقي بالمعادي ، ومسجد طارق بن زياد بمدينة المهندسين ( ١٩٦٧ ) . ولعل أحدث مسجد فى القاهرة أقامته قيادة القوات الجوية وافتتحته رسميا فى اليوم الأول من شهر رمضان المبارك عام ١٣٩٠ . ( ١٩٧٩ ) حيث افتتحه السيد محمد حسنى مبارك نائب رئيس الجمهورية وشهد حفل الافتتاح الفريق أول كمال حسنى على وزير الدفاع والفريق محمود شاكر عبد المنعم قائد القوات الجوية ، وعدد كبير من علماء الدين . .

والجدير بالذكر أنه سيفتح أثناء عام ١٤٠٠ هـ ( ١٩٨٠ ) جامع أولاد عنان الكبير الذى شيد عند ملتقى شارعى الجمهورية ورمسيس ويطل على ميدان رمسيس ( محطة القاهرة للسكة الحديدية ) وتحتضن هذا الجامع الكبير معهد مكتبة ومظلة لمشيمى الجنائز وعبادة جديده . ويشتهى خلال عام ١٩٨١ جامع شاهق آخر عند بداية شارع أحمد لطفى السيد وبالقرب ، من كلية الطب ( جامعة عين شمس ) . . .

#### ماذا تحتويه القاهرة اليوم

أصبحت القاهرة أم الملايين ، كالمدائن الكبرى الأخرى ، تمتص كالاسفنج مئات الآلاف من النازحين عن القرى ، وقد ارتفع مستوى المعيشة فيها أسرع من ارتفاعه فى هبة البلاد عامه فقد كان سكان القاهرة فى عام ١٨٨٢ حوالى

٥٧٣ ألفا وسيربون على عشرة ملايين قبل عام ١٩٨٠ .

والمعروف أن الطبقة الوسطى هي العنصر السكاني الذي يسيطر على القاهرة اليوم، ومن صفوفها قام ببناء المدينة في شكلها الحاضر بمعاونة من قدموا إليها من أقصى الصعيد .

وصف دزموند ستوارت (١) مدينة القاهرة في كتاب طريف له قائلا : إن القاهرة كانت منذ مطلع القرن التاسع عشر عاصمة دولة حديثة ، وفي أية دولة حديثة مزيج من الحسنات إلى جانب السيئات . . . وفي القاهرة - في سبيل المثال وليس الحصر أكثر من ثلاثين محكم من مستويات متنوعة ، فيها ستمائة وخمسون قاضيا ومستشارا ، وثلاثة سجون قد يهدم واحد منها قريبا (٢) فيه ثمانية آلاف سجين ، وخمسة وستون مستشفى فيها قرابة ١٤٠٣٢ سريرا ، وما يزيد على الألف ومائة شرطى .

في القاهرة آلاف المطاعم الشعبية الصغيرة فيها عشرون مطعما أنيقا على النيل تقصدها الضيوف العرب أثناء الصيف ومطاعم القاهرة ، وخاصة المطاعم في الفنادق المصرية تقدم الطعام على الطريقة الغربية والشرقية أحيانا . وفي القاهرة ما يقرب من الستة آلاف مقهى وقد قل عددها في السنوات الأخيرة ذلك لأن أصحاب الدور والعمارات يفضلون الآن إقامة جراج للسيارات بدلا من الحوانيت والمقاهى . وفي المدينة اثنتان وتسعين دارا للسينما وفي القاهرة صناعة سينمائية جيدة . ومع أن المسرح وجد في مصر منذ أواخر القرن التاسع عشر في أيام اسماعيل إذا تناسينا ما أقيم أثناء الحملة الفرنسية بحى الأزبكية ، ففي القاهرة — اليوم ما لا يقل عن ثمانى عشر فرقة مسرحية وأربعة عشر مسرحا للعرض ويزداد

---

(١) القاهرة — ترجمة يحيى حق ، كتب المقدمة د . جمال حمدان — كتاب الهلال رقم

٢١٦ — مارس ١٩٦٩ .

(٢) مدم السجون وغرست حديقة في مكانه ( ١٩٦٠ )



عدد المسارح باستمرار في القاهرة ، وفي الاسكندرية وبالمصايف . وبها أيضا معاهد للفن المسرحي والسينمائي ، كما توجد معاهد للموسيقى والغناء والعرائس . إلى جانب فرق سيرك نسكبت احداها بحريق منذ سنوات . وكان هناك إلى عهد قريب دار أوبرا فخمة أنشأها الخديو اسماعيل عام ١٨٦٩ حينما افتتحت قناة السويس ولكن اشتعلت فيها النيران إهالا منذ أعوام ( ١٩٧١ ) والجهود قائمة كما يكتب في الصحف لبناء دار جديدة .

### واليوم -

والقاهرة مركز للاشعاع العلمي والثقافي ويشرف على نشاطها هذا عدة مجالس متخصصة منها المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، والأكاديمية العلمية ، وجمع البحوث الدينية التابع للآزهر ، والمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، وعدد عظيم من الجمعيات العلمية وعلى رأسها : الجمعية الجغرافية المصرية التي احتفلت منذ أربعة أعوام بعيدها المئوي ( ١٨٧٥ - ١٩٧٥ ) والجمعية التاريخية ( ١٩٤٧ ) والجمع العلمي المصري الذي أنشأه بونابرت ( ١٧٩٨ ) وجمع اللغة العربية وجمعية الآثار القبطية والجمع الثقافي المصري ، وجمعية محبي الفنون الجميلة ، وجمعية الأدباء ، بالإضافة إلى أكثر من خمسة وعشرين متحفا للآثار والتاريخ والفنون ، ينهض على قتها : دار الآثار المصرية ، كنز التراث المصري القديم ، والمتحف الحربي ، ومتحف الشؤون الصحية ، ومتحف الفن الحديث ومتحف مخطا ومتحف السكك الحديدية ومتحف البريد ومتحف سعد زغلول ( بيت الأمة ) . . . وحتى اليوم لم يقم متحف لتاريخ مدينة القاهرة ، وبالقاهرة ١١ دارا للكتب أكبرها دار الكتب القومية في ميدان أحمد ماهر - بالإضافة إلى مكاتب الجامعات والجمعيات العلمية والجمع المصري ومكتبة الأزهر ومكتبة مركز البحث . والمعهد الفرنسي للآثار الشرقية والمكتبة البريطانية .

ويعمل بالقاهرة حوالى ستمائة مؤسسة وشركة وفيها ما لا يقل عن عشرة آلاف مصنع صغير . ومن الإحصائيات الطريفة أن القاهرة وحدها تأكل كل يوم عشرين مليون رغيف ، علما بأن مصر هي أكثر شعوب العالم استهلاكاً للخبز . وفي القاهرة أربعمائة تاجر خضروات يبيعون بالجملة ولا يخفى أن زراعة الخضر تزداد سنة بعد سنة وقد وصلت المساحة المزروعة بالخضروات عام ١٩٧١ - ٢١٠٠ ر ٠٠٠ فدان قدمت ٢٠٥ مليون طن بدلاً عما كانت في عام ١٩٦٥ - ٢٢٣ ر ٠٠٠ ألف فدان . وفي القاهرة مذبج كبير للحيوان أنشئ منذ خمسة وسبعين سنة وهو يمد سكان القاهرة وحدها بـ ٢٩٠ ر ٠٠٠ ألف رأس سنوياً تمثل نصف استهلاك اللحوم على مستوى مصر كلها ، وبالمدينة مذابح ثلاثة صغيرة أخرى في الزيتون وحلوان وطرة ، وتزداد كمية اللحوم التي تلتهمها أفواه القاهرة سنة بعد أخرى ففي عام ١٩٦٩ وصلت السكينة إلى ٨٦٤٦٢ طناً ، أضف إليها ما تستورد من اللحوم المجمدة ، وللمائة جمل التي تأكلها أفواه القاهرة كل يوم ١١ وفي القاهرة أكثر من عشرة آلاف عامل ينظفونها يومياً بالأساليب التقليدية وذلك بمعدل أربعمائة عامل لكل قسم من أقسام القاهرة .

وفي القاهرة في عام ١٩٧٥ أكثر من عشرة آلاف عربية تاركى بالإضافة إلى تكسيات مدينة الجيزة في حين يبلغ عدد السيارات الملاك الخاصة ٧٥ ر ٠٠٠ في القاهرة و ١٢٠٠٠ في الجيزة ، وفي كل شهر تراخيص تصدرها إداره مرور الجيزة .

والمعروف أن القاهرة تعاني أزمة شديدة في المساكن ، كبقية مدن العالم الكبرى ، ولذلك ففي القاهرة ٣٨٠ ر ٠٠٠ ألف من السكان يعيشون في المقابر مع الأموات في مكان واحد ، فضلاً عن هؤلاء الذين يلجأون إلى الأماكن الأثرية القديمة ومن أجل هؤلاء أقامت وزارة التعليم بعض المدارس الابتدائية والإعدادية وفي القاهرة وحدها اثنان أو سبعون حانوتياً يحملون تصاريحات عمل ويعملون بموجب لائحة للحنوتية صدرت منذ أكثر من خمسة وسبعين سنة تقريباً .

## الأزهر الشريف

وكانت القاهرة خلال الألف سنة الأخيرة أو أكثر، المركز التعليمي الرئيسي في أفريقيا، فقد كانت مراكز التعليم وأكثرها دينية قليلة جدا في البلدان الأفريقية. ويبدو أن الأزهر الذي أسسه جوهر الصقلي (٩٧٢ م) أول جامعة إسلامية، فقد سبق بناء الأزهر كثير من حلقات الدراسة ومراكز العلم في الكوفة والبصرة وبغداد والفسطاط وغيرها من المدن الإسلامية الكبرى. ومن المعروف أن جامع الزيتونة بتونس وجامع القرويين بفاس بالمغرب والقيروان بتونس من المراكز الهامة للدراسة الدينية والسكن لم تكن الدراسة فيها في صورة أكاديمية واضحة إلا في الأزهر. فلقد كانت الدراسة في المساجد الإسلامية قبل الأزهر تتخذ محورها من أحد المتخصصين في فرع من فروع المعرفة الدينية ينصب نفسه مدرسا لذلك الفرع ويرتاد حلقاته من رغب التعليم، بيد أننا نجد في الأزهر لأول مرة منهجا دراسيا عاما يشمل طائفة من العلوم بما في ذلك العلوم غير الدينية. كما نجد أساتذة ثابتين يعملون لقاء أجر، ونظما للمنع الطلابية والامتحانات والاجازات العلمية، ويضاف إلى عامل الدراسة الأكاديمية المنظمة بالأزهر أنه مازال باقيا يؤدي وظائفه حتى يومنا. وكان يقد إلى حلقات الأزهر للطلبة من جميع أنحاء العالم فينتلمذون لأساتذته ثم يعودون إلى بلادهم لتعليم مواطنيهم. وقد تم تجديد الأزهر في مراحل ثلاث: الأولى بفضل الشيخ محمد عبده في العقد الأخير من القرن التاسع عشر، والثانية بفضل الشيخ مصطفى المراغي في الثلاثينات من هذا القرن، والمرحلة الثالثة ( ) في عام ١٩٦٤ حينما اتخذت خطوة جريئة وهي مشروع لتأسيس جامعة أزهرية جديدة في بقعة مساحتها خمسمائة فدان في مدينة نصر شرق العاصمة، وبالقرب منها أعطيت مائة وخمسون فدانا أخرى لإقامة جامعة إسلامية للبنات ترتبط بالأزهر.

---

(١) نص قانون تطوير الأزهر (١٠٣ لسنة ١٩٦١) على إنشاء عدد من الكليات

العملية التي لم تسكن موحدة من قبل.



وتتألف اليوم جامعة الأزهر من الكليات والمعاهد الآتية ( ١٩٧٥ ) : كلية أصول الدين — كلية الشريعة والقانون — كلية اللغة العربية — كلية التجارة — كلية البنات الإسلامية — كلية الهندسة — كلية الطب — كلية الزراعة — كلية التربية — كلية العلوم — كلية أصول الدين بأسبوط — كلية الشريعة والقانون بأسبوط — كلية اللغة العربية بأسبوط ومعهد الدراسات الإسلامية والعربية ، معهد اللغات والترجمة . ولجامعة الأزهر فروع أخرى بطنطا والمنصورة والاسكندرية ويجرى اليوم إنشاء مكتبة أزهرية كبرى بمدينة نصر وقاعة كبرى للمحاضرات ومسجد كبير ، وملعب رياضي ومدينة جامعية . . إلخ كما أن هناك مدينة للبعوث الإسلامية يشرف عليها ويديرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

وموجز القول فقد بلغ عدد طلاب الأقسام الابتدائية والثانوية والجامعية بالأزهر أكثر من خمسين ألف طالب . بقي أن نذكر أن بالقاهرة — بالإضافة إلى جامعة الأزهر العتيقة وهي في شرق القاهرة — فهناك ثلاثة جامعات أخرى ، جامعة القاهرة وهي في غرب القاهرة وقد أنشئت عام ١٩٢٥ ، وجامعة عين شمس التي تعيد إلى ذا كرتنا جامعة أون القديمة ( هليوبوليس ) وقد أنشئت عام ١٩٥٢ وهي في شمال القاهرة ، وأخيرا جامعة حلوان التكنولوجية ، وقد أنشئت عام ١٩٧٥ في جنوب القاهرة . وبالإضافة إلى تلك الجامعات ، فإن لها فروع في الخرطوم وبيروت ، كما أن لها معاهد كثيرة للدراسات العليا .

وفي القاهرة ما لا يقل عن ٤٥ مدرسة حضانة لصغار الأطفال ، وتسعمائة مدرسة ابتدائية و ١٢١ مدرسة إعدادية ومائة مدرسة ثانوية و ٨ مدارس للمعلمين ، في القاهرة ١٥٢٥ جمعية خيرية و ٣٢٠ جمعية تعاونية والجدير بالذكر أن القاهرة تنقسم من الناحية الإدارية إلى ٢٢ قسما .

إن القاهرة اليوم هي خليفة مدينتين عظيمتين ، هما هليوبوليس القديمة مدينة

العلم والنور ، والاسكندرية بؤرة الاشعاع العلمية في عصر البطلمة والرومان . .  
حينما احتلت أفكار المصريين منذ القدم بأفكار غيرهم من أهل المشرق والمغرب . .  
فلا غرو بعد كل ما ذكرنا . . أن تصبح مصر ، والقاهرة خاصة قاعدة الثقافة  
ومعقلها للعالم العربي وللعالم الأفريقي بل وللعالم الإسلامي قاطبة . . ولا نبالغ إذا  
قلنا إنه لولا أن قبض الله للإسلام هذا البلد الأمين ذا التراث العقلي والإسلامي  
والفني ، وهذا الموقع الجغرافي المتوسط المطل على بحرين هامين ، ما كان له ذلك  
الذيوع ، ولا كانت لثقافته العربية تلك المكانة .

وتتمتع القاهرة بمميزات كثيرة ، فهي من أقدم مدن العالم حضارة ، وأكبر  
المدن الإسلامية ، وأعظم مدن أفريقيا وهي أيضا ملتقى ثلاث قارات كبرى  
وملتقى الثقافتين العربية والأوربية . كما أنها أعظم المدن التي تقع على نهر النيل -  
وهو من أكبر أنهار العالم ، ولذلك نستطيع أن نقول متأكدين أن القاهرة  
تفرد بمحطات كالأساطير كما وصفها واحد من أبنائها وهو الكاتب سلامة موسى ،  
فضلا عن أنها مدينة سياحية تجتذب إليها ملايين المثقفين .

والقاهرة مقر جامعة الدول العربية فهي محط أفكار العرب جميعا ، فيها  
يتجمع شملهم في كل ما يخصهم في الشؤون التربوية والاقتصادية والسياسية والثقافية  
وهي أيضا مقر أمانة الجماعة الأفريقية الآسيوية ، فهي إذن تهم ملايين الأفريقيين  
والآسيويين ، فلا يكاد يمر أسبوع ، حتى يقصد القاهرة مندوبو بعض الدول  
الاجتماع للنظر في مشاكل العالم الكثيرة . إذن فالقاهرة مدينة عالمية ، فها أوفى  
الاسكندرية عاصمة الجمهورية الثانية ، مكاتب اقليمية تمثل الهيئات الخاصة التابعة  
للأمم المتحدة ، مثل هيئة الزراعة والطعام ، وهيئة الصحة العالمية ، ومنظمة  
السياحة العالمية وصندوق النقد الدولي وبنك التنمية الدولي وغيرها . ومعظم  
هذه المكاتب يشرف ، في حدود اختصاصه على شئون الشرق الأوسط جميعة  
من وجهة النظر العالمية . فالقاهرة اليوم واحدة من مدن قلائد تعد آهلة  
أنظار العالم .

## الندوة الدولية لتاريخ القاهرة

٢٧ مارس إلى ٥ أبريل سنة ١٩٦٩

وقررت حكومة جمهورية مصر أن تقيم ندوة دولية لتاريخ القاهرة في مناسبة مرور ألف عام على إنشاء القاهرة ، فدعت طائفة من العلماء الأجلاء ، والمشتغلين بالحضارة الإسلامية والتراث الفنى . ولا شك أن القاهرة على مر السنين احتلت المكان اللائق بها بين مدائن العالم علما وثقافة وحضارة وفنا ، وأصبحت ذات منزلة مرموقة . إجتمع هؤلاء العلماء وتدارسوا وتناقشوا في عدة مشكلات تاريخية وأثرية وأدبية وعمرانية وإقتصادية . . جميعا تتصل بالقاهرة الحاضرة ، وكان من ثمار هذه الندوة صدور عدة مجلدات ضخمة تضم البحوث التى أثيرت في هذه الندوة (١) .

### علماء القاهرة وأدباؤها

فى النصف الثانى من القرن العشرين

والمدينة ، أية مدينة فاضلة ، ليست مجرد عمائر ومنشآت المرافق الكثيرة ومساكن يعيش فيها أهلها . . إن هؤلاء ، المساجد والمعاهد والمنتديات والمسارح والمقاهى ، ودور الطباعة التى تصدر الكتب والصحف والمجلات وما يحتاجون إليه لصقل عقولهم وتثقيف نفوسهم . إذن ، فمن هؤلاء الذين يغدون أجهزة الأدب

---

(١) وزارة الثقافة : أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة ( مارس - أبريل ١٩٦٩ ) — ثلاثة أجزاء . ط دار الكتب ١٩٧٠



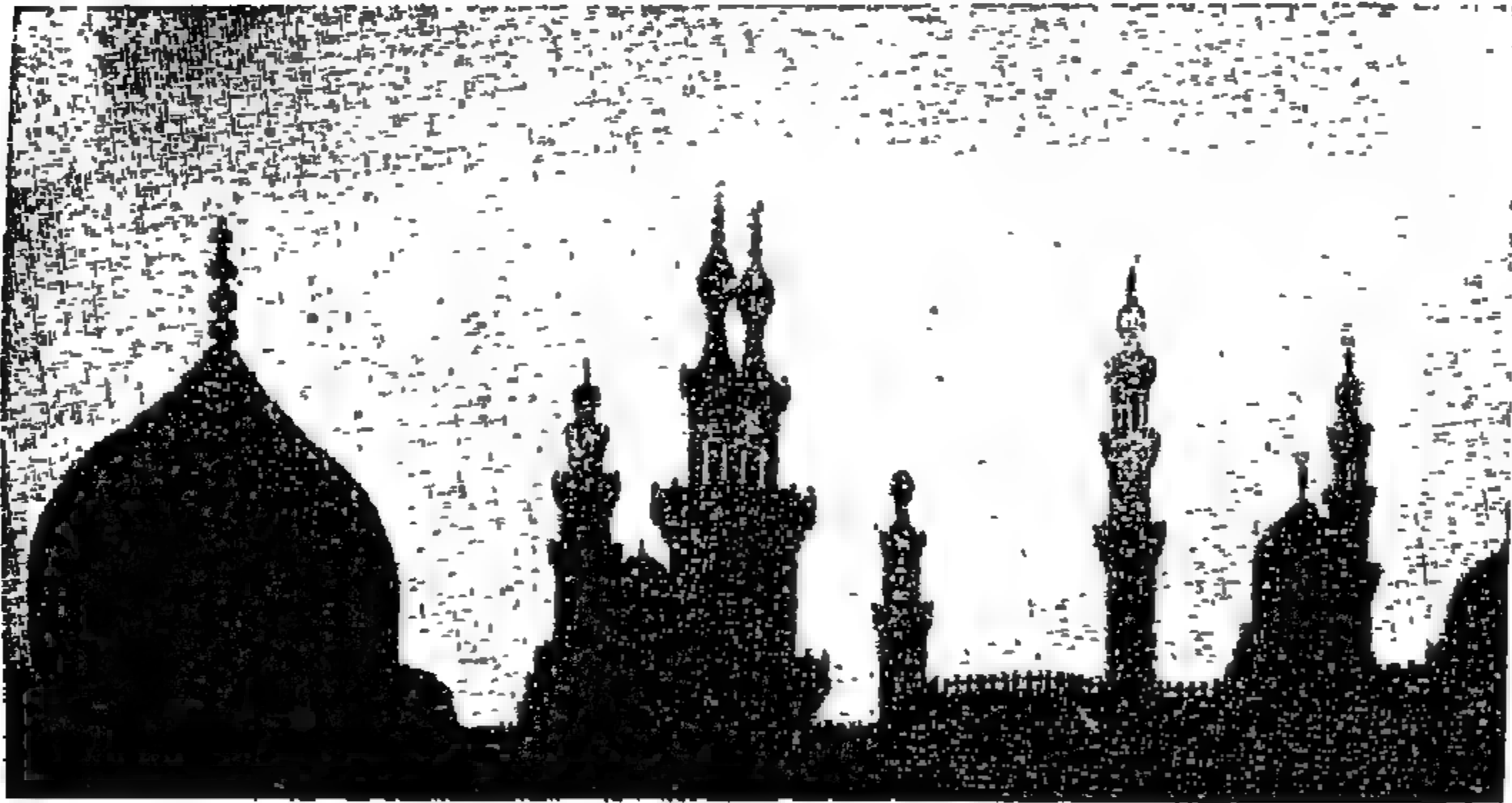
والفن والعلم والتعليم، من مفكرين وأدباء وشعراء وفنانين ومؤرخين وتربويين  
و... و... هؤلاء الذين يتغلغلون بأفكارهم بين جميع الناس... والقاهرة في أي  
عصر عاشته منذ أن أنشئت الفسطاط كانت بؤرة إشعاع للثقافة الإسلامية في جميع  
ألوانها. لقد مرت أسماء بعض مفكرينا وأدبائنا وعلمائنا الذين أثروا في  
حضارتنا في أكثر من تسعمائة عام. والآن نحاول أن نسجل بعض أسماء بقية  
الكوكة اللمعة من مفكرى القاهرة وأدبائها وعلمائها...

نذكر من هؤلاء الأدباء والمفكرين :

اسماعيل مظهر ( ١٨٩١ - ١٩٦٢ ) ، وأمين الخولى ( ١٨٩٥ - ١٩٦٦ ) ،  
وتوفيق الحكيم ( ١٨٩٨ - ) ، وثروت أباظة ( ١٩٢٧ - ) وحسين  
القباني ( ١٩١٨ - ) ، ورشاد رشدى ( ١٩١٩ - ) وزكى نجيب محمود ،  
وسمير القلماوى ( ١٩١١ - ) ، وشوقي ضيف ( ١٩١٠ - ) وصالح  
عبد الصبور ( ١٩٣١ - ) وعائشة عبد الرحمن ( ١٩١٣ - ) وعبد الحميد  
جودة السحار ( ١٩١٣ - ١٩٧٤ ) ، وعبد الرحمن الشرقاوى ( ١٩٢٠ - ) ،  
وعبد الرحمن صدقى ( ١٨٩٩ - ١٩٧٣ ) ، ومحمد على غريب ، ومحمد عبد الحليم  
عبد الله ، وعبد المنعم خفاجة ، ومحمد سعيد العريان ، ومحمد عبد الغنى حسن ،  
ومحمد عوض محمد ( ١٨٩٥ - ١٩٧٢ ) ، ومحمد فريد أبو حديد ، ومحمد  
مندور ( ١٩٠٠ - ١٩٦٥ ) ، ومحمود تيمور ( ١٨٩٤ - ١٩٧٣ ) ، ومحمود  
طاهر لاشين ، ومصطفى محمود ، ومصطفى السحرى ، ونجيب محفوظ ، ونعمات  
أحمد فؤاد ، ووديع فلسطين ، ويحيى حقى ، ويوسف إدريس ، ويوسف جوهر ،  
ويوسف السباعى ( ١٩١٢ - ١٩٧٨ ) ، ويوسف الشارونى ، ومحمود عزمى ، ومحمد  
حسين هيكل ، ومحمد شفيق غربال ، وحافظ محمود ، ومحمد زكى عبد القادر ، وعبد  
الحميد يونس ، وعلى حمدى الجمال ( ت ١٩٧٩ ) ، وعبد العزيز الدسوقي ، وحسين  
ؤنس ، وفتحية رضوان ، ورشدى صالح ، وحسين فوزى ، ولويس عوض ، وأليس  
منصور ، وإبراهيم خورشيد... وغيرهم .

## ومن شعرائها :

إبراهيم ناجي (١٨٩٨-١٩٥٣) ، وأحمد رامى (١٨٩٢ - ) ، وأحمد زكى  
أبو شادي (١٨٩٢ - ١٩٥٥) ، وأحمد عبد المعطى حجازى (١٩٣٥ - ) ،  
وحسن كامل الصيرفى (١٩٠٨ - ) ، وحسن فتح الباب ، و خليل جرجس  
خليل (١٩١٤ - ) ، وضاح عبود (١٩١٢ - ١٩٧٧) ، وعبد الرحمن  
شكرى (١٨٨٦ - ١٩٥٨) ، وعبد القادر القط (١٩١٦ - ) ، وعزيز  
أباظه (١٨٩٩ - ١٩٧٣) ، وعلى الجندى (١٩٠٠ - ١٩٧٣) ، والعوضى  
الوكيل (١٩١٥ - ) ، ومحمد الأسمر (١٩٠٠ - ١٩٥٧) ، ومحمد أبو الوفا ،  
ومحمود حسن اسماعيل (١٩١٠ - ١٩٧٧) . ومحمود غنيم (١٩٠٢ - ١٩٧٣) .  
وصلاح عبد الصبور ، وغيرهم من الشعراء الجيدين .



## القاهرة الظافرة ومعركة التحرير

( ١٠ رمضان ١٣٩٣ - ٦ أكتوبر ١٩٧٣ )

واحتفلت ملايين القاهرة وأهل مصر باستقبال أبطال معركة تحرير سيناء وعلى رأسهم زعيم البلاد الرئيس المؤمن محمد أنور السادات وقائد العبور الذي دون تاريخ المنطقة بحروف تشع نورا وكرامة ، لقد حيت القاهرة أبناء مجاهدى معارك حطين ، وعين جالوت ، وعكا الإسلامية ، ونزيب ، وسيناء . وما تزال القاهرة تذكّر شهداء تلك المعارك سنة بعد أخرى حينما يحتفل الأبناء بذكرى نصرهم ، ويترحمون على أرواحهم . . . فهؤلاء أحياء عند ربهم برزقون . . .

## القاهرة تحيي رسول السلام

أعان الرئيس محمد أنور السادات فى تاسع نوفمبر ١٩٧٧ فى مجلس الشعب المصرى ، « سوف يندهش الإسرائيليون لدى معامهم ما سوف أقوله الآن » إننى على استعداد لأن أذهب إليهم فى عقر دارهم . . أنا على استعداد لأن أذهب إلى الكنيسة لأناقش السلام معهم . . . ولأوفر كل قطرة من دماء أولادى فى القوات المسلحة .

ثم وجه مناحم بيجن « رسالة إلى الشعب المصرى أكد فيها موافقته على ما أعلنه الرئيس السادات » من رغبة فى زيارة إسرائيل . . . وكان ذلك يوم الجمعة ١١ نوفمبر .

وفى يوم الخميس ١٧ نوفمبر ، أعلنت القاهرة والقدس أن رحلة الرئيس



« السادات » سوف تبدأ مساء السبت ١٩ نوفمبر .. بعد نهاية راحة السبت ..

وفي يوم السبت ١٩ نوفمبر ٧٧ ، في الساعة الثامنة إلا دقيقتين ، ووسط أضواء المصابيح السكاشفة أخذت طائرة بوينج ٧٠٧ بيضاء مصرية تسير ببطء إلى أن توقفت تماما على أرض مطار « بن جوريون » ، فانطلقت أبواق موسيقى الجيش الإسرائيلي في تحية ترحيب ، وبينما أخذ آلاف الاسرائيليين يلوحون بالأعلام المصرية .. خرج من الطائرة الرئيس أنور السادات ... ولدى نزول سيادته على سلم الطائرة — حياه بحرارة الرئيس « إفرام كاتزير » و « مناحم بيجين » رئيس الوزراء ... وتبادل الجميع كلمات الترحيب والشكر .

بعد هذا المشهد ركب « السادات » سيارة أقلتته إلى مدينة القدس .. ثم نزل في فندق « الملك داود » .. كان العالم جميعه يرى هذا المشهد النادر !

وفي اليوم التالى ٢٠ نوفمبر ألقى الزعيم الشجاع سيد مبادرة السلام كلمته التاريخية المشهورة في الكنيسة .. ! سبحان الله .. إنها حقاً شجاعة المواجهة .. لقد صفق العالم .. كله .. تقديرًا وتحية ، فقد نجح الزعيم فى إزالة الحاجز الذى يفصل بين بلدين متحاربين فأصبحا صديقين .

وفي اليوم نفسه خرج شعب مصر فى القاهرة يؤيد مبادرة السادات .. خرج الشعب فى صورة لم يسبق لها مثيل .. خرج يحمي الرئيس ويؤيد مبادرة السلام ... ومضت الأيام فى التفاوض حتى وقع الطرفان ، والولايات المتحدة الأمريكية ، إتفاقيتى كامب دافيد للسلام .

ثم أخذت اسرائيل تنسحب رويدا رويدا فى مراحل ستة من سيناء وعلا على ترابها علم مصر الخفاق .. ومن ثم هادت إلى أحضان أمها مصر ...

## الجمعية المصرية لمحبي الآثار

ولما كانت آثار القاهرة فريدة في عصرها الإسلامي ، فضلا عن أساليبها المعمارية الرائعة التي تمثل العصر الذي شيدت فيه . خير تمثيل — فإنه ينظر إليها دواما بتقدير وإجلال باعتبارها تراثا مشرفا للحضارة الإنسانية ، ينبغي الحفاظ عليها وصيانتها على مر الزمن . .

إذن ، كان من الطبيعي أن تؤسس الجمعية المصرية لمحبي الآثار ، وتنهض تحت رئاسة سيدة مصر الأولى — السيدة جهان السادات ، ومعها جماعة من علماء الآثار والمؤرخين وللتقنيين . . يعملون جميعا للدفاع عن تراث مصر المعماري بشق الوسائل ، بالإضافة إلى العمل على تعميق مفهوم الآثار المصرية النادرة عند أبناء الأجيال الحاضرة والمساعدة . . . كان تأسيس هذه الجمعية يوم ٢ شعبان ١٣٩٩ الموافق ٢٧ يونيو ١٩٧٩ في بيت السيد الرئيس بالجيزة . . .

وتهدف الجمعية إلى حفظ وصيانة الآثار ضد عوامل التلف ومعالجتها أولا بأول وتربية الوعي للإهتمام بالآثار والتعريف بها وتشجيع البحث الأثري العلمي ودراسة العماثر المسجلة ، أو التي تقترح الجمعية تسجيلها . .

ومن مؤسسي جمعية محبي الآثار ، السادة : د . مصطفى كمال حلمي ، ود . بدر اوى محمد فهمي ، ود . صريت خالي ، ود . عبد الرحمن زكي ، والسيدة ليلى على إبراهيم ، ود . جورج سكانلون ، ود . جيفري كنج ، ود . شعاعته آدم ، والأستاذ محمد صفوت الشريف . . .

## الفهرست

الموضوع	الصفحة
* الفسطاط قاعدية مصر الإسلامية	١ — ١٤
خليج أمير المؤمنين — ميناء الفسطاط — القرافة خاتمة الفسطاط — الفسطاط كما شاهدها الرحالة العرب — ابن حوقل — المقدسي — الفسطاط والنهضة العلمية	
* المعسكر : الخاضرة الإسلامية الثانية	١٥ — ١٦
* القطانع : الخاضرة الإسلامية الثالثة	١٧ — ٢٠
جامع ابن طولون جوهرية معمارية — علماء العصر الطولوني	
* القاهرة : الخاضرة الرابعة ( ٩٦٩ — ١١٦٩ م )	٢١ — ٤٧
تلال المقطم — النيل الخالد — الصحراء — القاهرة الفاطمية — المعز لدين الله — أسوار القاهرة وأبوابها — الجامع الأزهر — أخطاط القاهرة الفاطمية — القصور الزاهرة — جوامع الفاطميين القاهرة في أيام الفاطميين — امتداد القاهرة وتوسيعها — جزيرة الروضة — إنسحاب نهر النيل وظهور أرض جديدة — القاهرة الفاطمية	



وما كتب عنها -- ناصري خسرو -- الشاعر  
 أبو الصلت -- العلم والعلماء أيام الفاطميين --  
 الرياضيات والفلك -- الطب -- الفيزياء -- ابن الهيثم --  
 المؤرخون -- الأزهر الشريف وأثره النبيل

٥٨ — ٤٨

\* القاهرة في عصر الأيوبيين ( ١١٦٩ - ١٢٥٠ م )

ظهور أحياء جديدة -- بركة النيل -- جبل  
 بشكر وقلعة الكباش -- جزيرة الروضة --  
 القاهرة الأيوبية وما كتبه الرحالة عنها -- العلم  
 والعلماء أيام الأيوبيين --

٨٠ — ٥٩

\* القاهرة في عصر المماليك ( ١٢٥٠ - ١٥١٧ )

طرح النيل -- جزيرة الروضة -- جزيرة  
 الزماليك -- ابن بطوطة ومجتمع القاهرة --  
 الرحالة البلوي ومارستان القاهرة -- ابن خلدون  
 وحضارة القاهرة -- المنشآت الدينية في القاهرة --  
 الأسبلة -- رأى المقرئى -- تطور خطط  
 القاهرة -- المقابر -- مجتمع العلماء في القاهرة  
 المماليك -- علماء في علوم الحضارة

٩٦ — ٨١

\* صور الكتاب لأهم عمائرها

١١٠ — ٩٧

\* القاهرة في العصر العثماني ( ١٥١٧ - ١٨٠٥ )

الحسن بن محمد الوزان ( ليونى الأفريقى ) --  
 رحلة أوريون -- جان دي تيفنو -- ريتشارد

بوكوك — فردريك نوردن — جيمس بروس —  
مساجد العصر العثماني — العلماء والمؤرخون في العصر  
العثماني — شيوخ الأزهر — أدباء وشعراء العصر  
العثماني — الأسبلة والحمامات

\* القاهرة في أيام الحملة الفرنسية ( ١٧٩٨ - ١٨٠١ ) ١١١ — ١١٥

شق طريق جديدة — خريطة القاهرة — المجمع العلمي  
المصري — موسوعة وصف مصر

\* القاهرة في القرن التاسع عشر في أيام محمد علي ١١٦ — ١٢٨

مجلس الإشراف على تجميل القاهرة — بركة  
الزبكية — بولاق وازدهار تجارتها ونمو مصانعها —  
الحديثة بركة الفيل وجزيرة الروضة — نهضة  
التعليم — البعثات العلمية للخارج — الطباعة الحديثة  
— الأزهر الشريف — رحالة وعلماء أوريون —  
شاتوبريان وبريس دافن — إدوارد ولیم ابن  
ومؤلفاته — حركة التعريب — الوقائع المصرية

\* القاهرة في أيام تحديوي اسماعيل ( ١٨٦٣ - ١٨٧٩ ) ١٢٩ — ١٣٧

تخطيط القاهرة الحديثة — الامم اعيلية والمنيرة  
والمبتديان — تحويل مجرى النيل الغربى — الزمالك  
ووصل شاطئ النيل — شق للطرق الحديثة —  
المواصلات والمياه والإضاءة — كتاب وعلماء طاليون —  
نهضة التأليف العربية — التعليم الحديث

\* القاهرة في تطورها الحديث ( ١٨٨٢ - ١٩٥٢ ) ١٣٨ - ١٤٧

تفجر الثورة العرابية ( ١٨٨١ - ١٨٨٢ ) - المجتمع

الثقافي - لغويون وأدباء ومفكرون - القاهرة

تتنفس الصعداء - ترام في الخلبج المصري - تصريف

مياه القاهرة - ضواحي القاهرة الحديثة - مصر

الجديدة - المعادي - حدائق القبة - الجزيرة

والزهالك - النيل والروضة - نمو مساحة القاهرة

\* القاهرة بين ثورتين ( ٢٣ يوليو ١٩٥٢ - ١٥ مايو ١٩٧١ ) ١٤٨ - ١٦٤

أقسام القاهرة الحديثة - الأعمال الكبرى -

بيوت الله - مساجد القاهرة الحديثة - ماذا

تحتويه القاهرة اليوم - الندوة الدوائية لتاريخ القاهرة -

علماء القاهرة وأدباؤها - شعراؤها •

١٦٢

القاهرة الثقافية لمركبة التحرير

١٦٤

الجمعية المصرية لمحبى الآثار -

\* انتهى والله الحمد \*

رقم الإيداع ٧٩ / ٥٢٨٣

دار الأمل للطباعة ونشر

١٩ شارع أرض الحرمين - الظاهر ت : ٩٣٣٥٤٢







الناشر  
مكتبة الانجلو المصرية  
١٦٥ شارع محمد فريد

Bibliotheca Alexandrina



0632605